المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العـــدد الســـابع **يوليــو ١٩٩١**

رئيس التحرير : **أ. د/ سيد أحمد الناصرى**

مـــدير التحرير : **د/ محمود عرفة محمـــود**

هيئـــة التحـــــرير

أ. د/ عبد اللطيف أحمد على
أ. د/ ســـيد احمـــد الناصرى
أ. د/ محمد جمال الدين سرور
أ. د/ حســـن أحمـــد محمود
أ. د/ عصام الدين عبد الرءوف
أ. د/ سعيد عبد الفتاح عاشور
أ. د/ حسنين محمـــد ربيـــع
أ. د/ حامـــد زيـــان غـــانم
أ. د/ رءوف عبـــاس حـــامد
أ. د/ محمد جمال الدين المسدى

المراســـلات :

ترســـل البحـــوث والمقـــالات باسم الســـيد الاســـتاذ الدكتور / **سيد احمد الناصرى** على العنوان التالى :

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

محتـــوى العـــدد

الصفحة

ثانيا ـــ القســــم الاجنبى :

جامعة القاهرة
كلية الآداب

يصـــدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد السابع
يوليو ١٩٩١

أولا - القسم العربي :

١- الأبحاث والدراسات :

٢- عرض الكتب :

ثانيا - القسم الأجنبي :

جامعـــة القـــاهرة

كليـــة الآداب

العدد السابع

يوليو ١٩٩١

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

يصدرها قسم التاريخ

قواعـــد النشـــــر

* ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحـــاث والدراسات الأصـــيلة ذات المستوى الأكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

* تقبـــل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضـــارية المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية على ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن ٣٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق حجم كوارتر بما فى ذلك الهـــوامش والجـــداول وقائمة المراجـــع .

* المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير باخطار المؤلفين باجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم .

* تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث المقدمة للنشر دون ابداء الأسباب ، كما لا تلتزم باعادة الأبحاث أيا كان قرار هيئة التحكيم .

* النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربيـــة والأجنبيـــة وســـائر المهتمين بالدراســـات التاريخيـــة .

* الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـة العـدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد ..

إنه لمن دواعى السرور أن نقدم بكل فخر واعتزاز العدد السابع من المؤرخ المصرى ، وسوف يلحظ القارىء مدى التطور الذى أنجزناه على هذا العدد سواء من ناحية نوعية وتنوع الأبحاث ، أو من ناحية الاخراج ، ونأمل أن نستمر فى التطوير الى الأفضل حتى نحـقق الصورة المثالية التى فى أذهاننا .

ولقد بذلت ـ وزميلى الدكتور محمود عرفه ـ كل ما استطعنا وفى حدود الامكانيات المتاحة لكى نجعل اخراج هذا العدد مختلفا عن الأعداد السابقة ، فقد كان الدكتور محمود عرفه شعله نشاط ، بل تحمل العبء الأكبر وكنت سعيدا أن أرى هذا النشاط المتفانى الذى لو تكرر واستمر لحققنا المزيد من النجاح ، فله منى كل شـكر وكل تقدير ، وانه لمن دواعى الأسف أن يغادرنا هذا العام ـ بعد صدور هذا العدد ـ الى الكويت ومن ثم فاننا ندعو له بالتوفيق والسداد موقنين أن احساساته وعواطفه ستظل فى قسم التاريخ وفى المؤرخ المصرى ، لأنه ليس من شيمة الأوفياء أن يبخلوا أو يتناسوا .

لقد حققت المؤرخ المصرى نجاحا لا ينكر على الصعيد العلمى ، كما أنها الطاقة التى تنفذ اليها ابداعات الشباب من المؤرخين ، لا فرق بين أحد منهم الا بقيمة العمل العلمى الذى نحيله الى التحكيم الأمين من جانب أساتذة كبار ، وفى هذا الصدد لابد أن نقدم عظيم الشكر والتقدير للاستاذ الدكتور رءوف عباس حامد رئيس القسم السابق

والذى على يديه بدأ التطوير وظهور « المؤرخ المصرى » ، وكذلك الى الاستاذ الدكتور حامد زيان غانم رئيس القسم السابق الذى لم يأل جهدا فى الاشراف على اخراج أربعة أعداد قبل أن يسلم الأمانة الى ، ولهذا فانى أدعو الله مخلصا أن يعيننى على حملها حتى نسلم الراية مرفوعة وخفاقة لمن بعدنا وهو نعم المولى ونعم النصير ..

أ٠ د٠ سـيد أحمد على الناصرى

رئيس قسـم التـاريخ

ورئيس تحـرير المؤرخ المصرى

البحـــوث والدراســـات

العلم بين المسجد والمدرسة

أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور
كلية الآداب — جامعة القاهرة

لكل حضارة عبر عصور التاريخ صفاتها المميزة التى تكسبها طابعا خاصا يميزها عن غيرها من الحضارات السابقة عليها أو اللاحقة بها • وإذا كانت الحضارة الاسلامية باعتراف كافة الباحثين فى الشرق والغرب هى أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى حقبة العصور الوسطى ، فان من أبرز الصفات المميزة لهذه الحضارة أنها حضارة إنسانية ، استهدفت خير الانسان والرحمة به ، وتحقيق أكبر قدر من النفع له ، والعمل على السمو به الى أعلى المستويات روحيا وفكريا ومعيشيا •

وفى هذا الإطار حفلت الحضارة الاسلامية بعديد من المؤسسات المتباينة فى أصولها وتكوينها وطابعها العام وأهدافها ، ولكن يربطها بعضها ببعض رباط مشترك هو أنها استهدفت خير الفرد والمجتمع • ومن هذه المؤسسات ما غلبت عليه الصفة الدينية كالمساجد والخانقاوات والزوايا ، ومنها ما اتخذ طابعا اجتماعيا كالحمامات والسبل والبيمارستانات ، ومنها ما استهدف تحقيق رسالة علمية وتعليمية كالمدارس والمكاتب وبيت الحكمة ودار العلم ، ومنها ما تميز بوضعه الاقتصادى كالوكالات والخانات والفنادق والقياسر والأسواق ••• وغير ذلك • وفى حالات كثيرة تتعدد ألوان النشاط فى المؤسسة الواحدة ، بمعنى أن تجمع المؤسسة بين لونين أو أكثر من ألوان النشاط الحضارى ، ولكن يظل أحد هذه الألوان غالبا على غيره ، بحيث يكسب المؤسسة صفتها المميزة ، المعبرة عن وجهها الحقيقى وهدفها الرئيسى وطابعها المميز • من ذلك على سبيل المثال لا الحصر — أن المدرسة الزمامية التى بناها سنة ٧٩٧ هـ الأمير زمام الدين مقبل الرومى — زمام الآدر الشريفة

للسلطان الظاهر برقوق — « جعل بها درسا وصوفية ومنبرا يخطب عليه فى كل جمعة »[١] ، بمعنى أنها جمعت بين وظائف المدرسة والخانقاة والجامع .

ومهما تتباعد أو تتقارب هذه المؤسسات التى تميزت بها الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، فى أهدافها ومهامها وطابعها ، فان المسجد ظل دائما أبدا يتبوأ مكان الصدارة ، ليبدو فى صورة المؤسسة الأولى فى الاسلام التى غدت رمزا وعنوانا له ، ومقرا لعديد من ألوان النشاط التى ارتبطت به وعبرت عنه . وفى فجر الاسلام ، أقامت طلائع المسلمين المهاجرين الى يثرب مسجد قباء ، حتى هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام فأقام مسجده فى المدينة المنورة ، وشارك بنفسه فى عملية بنائه ، واتخذه مقرا لحكومة الدولة الاسلامية الوليدة ، حتى قدر له أن يدفن فيه عند وفاته . وفى جو البساطة الذى أحاط بالدولة الاسلامية فى مرحلة النشأة ، كان المسجد هو المؤسسة الوحيدة التى عرفها المسلمون واستوعبت نشاطهم المتعدد الأوجه ، فهو بيت الله الذى تقام فيه الصلاة ويتلى القرآن الكريم ، وهو دار القضاء الذى يجلس فيه القضاة ليحكموا بين الناس بما أنزل الله ، وهو مقر الحكومة الذى يخرج منه المبعوثون ويستقبل فيه السفراء ، وتعقد فيه الألوية وتنطلق منه الجيوش للغزو ، وهو دار العلم الذى يلتقى بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول دينهم وأركانه ويتدبروا القرآن وأحكامه ، ويحيطوا بسنة نبيهم وأحاديثه .

وبازدياد أعداد الداخلين فى الاسلام ، تعددت المساجد فى الأمصار ، وصار لا يكتفى بمسجد جامع واحد فى المدينة الواحدة ،

---

(١) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .

والادر جمع دار ، والآدر الشريفة يقصد بها الحريم السلطانى انظر : خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٢٦ — ٢٧ .

وانما كثرت المساجد الجامعة وتقاربت فى المدينة الواحدة ، ومنهـا ينطلق الآذان ، وفيها تؤدى الصلوات ، وتلقى خطبة الجمعـة • وربما بلغ من تقارب هذه المسـاجد بعضها من بعض أن تتداخل أصـوات المؤذنين والمصلين فيها ، مما أثار استياء بعض أهل العلم والمعرفة • يحكى المقريزى عن موضعين بالقاهرة كانت تقام فيهما الصلاة ، بحيث « يسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر ، وهذا وأنظاره من شنيع ما حـدث فى غير موضـع ،ولا حول ولا قـوة إلا بالله العـلى العظيم ••• !! »(٢) •

ثم كان أن أدى اتساع الدولة الاسلامية من ناحية وارتقـاء نظمها نتيجة لتطور المجتمع الاسلامى والاحتكاك بالحضارات الأخرى التى سادت المنطقة من ناحية أخرى ، الى مولد مؤسسات أخـرى متنوعة الأغراض ، تنهض بخدمة المجتمع ، مما خفف عن المسـاجد العبء الكبـير الذى تحملته فى الدور الأول من أدوار مولد الدولة الاسلامية ، وهكذا ظهرت بيوت للامارة استوعبت العديد من أجهزة الحكم ، ودور للقضاء تتحمل صياح المتقاضين ومشاداتهم ، ومنازل للتجار ينزلون بها خلال أسـفارهم ، ومكاتب لتعليم الأيتام وتأديب الصغار ••• وبذلك أخذ المسجد يتخفف من كثير من الأثقال الملقاه على عاتقه ، ليتفرغ للمهام الدينية الأساسية التى ارتبط بها وأقيم من أجلها •

وهناك لون من ألوان النشاط الحضارى فى الاسلام ، ارتبـط ارتباطا وثيقا بشئون العبادة والدين ، ونعنى بهذا اللون النشـاط العلمى الذى لم يقصد به فى صـدر الاسـلام إلا العلوم الدينيـة من تفسير وحديث وفقه ••• ثم ما تفرع عن هذه العلوم من نحو وتاريخ • وكان من الطبيـعى أن يتخذ هذا النشـاط من المسـاجد

---

(٢) المقـريزى : كتاب المواعظ والاعتبـار ، جـ ٢ ص ٣٩٤ . (بولاق) •

مقرا له • جاء فى سـيرة الرسـول عليه الصـلاة والسـلام أنه كان يجلس فى مسجده بالمدينة يبصر الناس بشـئون دينهم ودنياهم ، ويفسر لهم القـرآن الكريم ، ويجيب عن أسـئلتهم ويوضـح لهم ما صعب عليهم فهمه من أحكام الدين • وبعد الرسـول صلى الله عليه وسلم انتشر الصـحابة ثم التابعون فى الأمصـار يجلسون فى المساجد ويلتف حولهم المسـلمون الجدد لينهلوا من علمهم ما يرتبط بالقرآن والحديث وسيرة الرسول (ص) وأحكام الدين • وهكذا ولدت بين جنبات المساجد العلوم الدينية المتعددة ، فدأب العلماء على الجلوس فى المساجد ، وحول كل واحد منهم حلقة من طلاب العلم يتلقون العلم على أيديهم • فاذا حان وقت الصلاة ، وارتفع صوت المؤذن مناديا « الله أكبر » هب الجميع لإداء الفريضة • ثم تنتظم حلقات العلم مرة أخرى بعد الصـلاة •

ومع اتساع دائرة الحضارة الاسلامية ، وتطورها ، تجاوزت الرغبة فى طلب العلم نطاق العلوم الدينية الى غيرها من العـلوم النقلية والعقلية • وكان أن ظهرت حركة الترجمة لتنقل الى المسلمين معارف أصحاب الحضارات القديمة ، وبخاصة اليونانيين والفرس وغيرهم • وسرعان ما ظهر أن المسجد بطبيعته وطابعه لا يتسع لهذه الألوان الجديدة من ضروب المعرفة ، ومن ثم ظهرت مراكز — مثل بيت الحكمة ودار العلم — لتستوعب حركة الترجمـة الى العربية ، وكذلك العلوم العقلية والتجريبية ، فضلا عن بعض النزعات المذهبية والفكرية • وقد تمتعت هذه المراكز الجديدة برعاية الخلفاء ، مثـل هارون الرشيد الذى أنشأ بيت الحكمة فى بغداد ، ومثل الخليفة المأمون الذى أرسل مبعوثين من العلماء الى بلاد الروم لجلب الكتب اليونانية فى الطب والكيمياء والفلسفة وغيرها وترجمتها الى العربية فى بيت الحكمة • أما دار العلم التى أنشأها الفاطميون فى مصر ، فكان محور نشاطها الدعوة الفاطمية وأصول المذهب الاسماعيلى وما يرتبط به من فقه وعقائد • ومن الواضح أنه لا يوجد موضع لعلوم أهل السنة

وفقهاءهم فى هذه المؤسسات ، الأمر الذى أدى الى ظهـور مؤسسات أخرى جديدة ، مثل دور القرآن ودور الحديث[٣] ، هذا فضلا عن الزوايا — أو زوايا العلم التى وجدت فى بعض المســاجد ، مثــل الزاوية التى نسبت الى الامام الشافعى بجامع عمرو بن العــاص . والزاوية المجدية التى رتبها مجد الدين أبو الأشبال (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) وزير الأشرف موسى ، ورتب لها عدة أوقاف ، مما مكنها من البقاء حتى أيام المقريزى ، فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر للميلاد[٤] . ومع ذلك فقد ظلت المســاجد — وبخاصة الكبرى — تمثل المكان المختار لتلقين العلم ، حتى العلوم العقلية والتجريبية — مثل الطب — ظلت تدرس أحيانا — وحتى وقت لاحق — بالمســاجد . ومن ذلك ما ذكره عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) من أن درســا فى الطب كان يلقى فى الأزهر فى منتصف نهار كل يوم[٥] ولكن فى الوقت الذى عاش عبد اللطيف البغدادى — فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر للميلاد — كانت قد ظهرت المدرسة لتنافس المســجد فى مكانته كمركز للنشاط العلمى فى العالم الاسلامى . واذا كان المسجد يفسر فى اللغة بأنه موضع الســجود ومكان الصــلاة ، فان المدرسة تفسر بأنها موضع الدرس ، ويقال درس الكتاب درسا ودراسة أى قرأة وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه[٦] . أما المدرس فهو « الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف

---

(٣) النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، جـ ١ ، ص ١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ ، ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، جـ ١ ، ص ٢٩ — ٣٠ ، (١٩٦٥) .

(٤) المقريزى : المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ، محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، ص ٢٦٠ ، (١٩٨٠) .

(٥) ابن ابى أصيبعة : طبقات الأطباء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٦) انظر لسان العرب ، مادة سجد ، ومادة درس .

ونحو ذلك »[٧] . ومن هذا يبدو أن فكرة المدرسة ارتبطت بالعلوم الدينية ، أو العلوم الشرعية .

يذكر المقريزى أن المدارس كانت مما استحدث فى الاسـلام ، اذ لم تكن تعرف زمن الصحابة والتابعين « وإنما حـدث عملها بعد الاربعمائة من سنى الهجرة » أى فى القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر للميلاد . ويقال ان أول مدرسة بنيت فى الاسلام هى المدرسة البيهيقية فى نيسابور باقليم خراسان . ثم تتابع انشاء المدارس بعد ذلك ، فاشتهرت منه المدرسة النظامية ببغداد ، التى نسبت الى نظام الملك وزير السلطان السلجوقى ملكشاه ، وقد شرع فى بنائها سنة ٤٥٧ هـ ، وتمم البناء فى سنة ٤٥٩ هـ[٨] .

ومهما يقـال من أن السلاجقة وأتبـاعهم توسعوا فى انشـاء المدارس لتكون مراكز لتدريس فقه أهل السنة وعلومهم ، مما يساعد على التصدى للشيعة والحد من نفوذهم ، فاننا — من وجهة نظرنا — يجب أن نضع موضع الاعتبار أن اتساع دائرة العلم ، وازدياد أعداد طلاب العلم ، تطلب إقامة مراكز خاصة بالتعليم يكون الهدف الأول من وجودها أن تستوعب هذا الكم الكبير من الدراسات ومن الطلاب . وبين رحابها يجتمع المعلمون والمتعلمون ، وربما اقتصر التردد عليها والاقامة فيها على أهل العلم وحدهم — دون غيرهم — ليمارسوا فيها نشاطهم . يذكر المقريزى فى حديثه عن المدرسة الناصرية أنه كان « لا يمكن غريب أن يصعد اليها »[٩] . وهذا بخلاف المسجد الذى

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٤ .

(٨) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ ، (بولاق) . وانظر كذلك : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٣ ، ص ١٠٤٦ وما بعدها ، (القاهرة ١٩٦٦) .

(٩) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢ ، (بولاق) .

كانت أبوابه مفتوحة على مصاريعها أمام كل مسلم ، سواء كان من رجال العلم أو من غير رجال العلم . وكان بحكم طابعـه وجذوره وأصوله ، وما جاء عنه فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، أقرب الى قلوب المسلمين ، وأيسر فى التردد عليه وقضاء الساعات بين رحابه . وحسبه أنه بيت الله .

وقد خصصت كل مدرسة لمذهب أو أكثر من مذاهب أهل السنة ، وفقما يحدد مؤسس المدرسة ومنشؤها . من ذلك أن المدرسة النظامية — مثلا — كانت وقفـا « على أصـحاب المذهب الشافعى أصـلا وفروعا »[١٠] . وهكذا حتى أنشأ الخليفة المستنصر بالله العباسى (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ — ١٢٤٢ م) المدرسة التى نسبت اليه فى بغداد ، وجعلها لمذاهب أهل السنة الأربعة ، فكانت أول مدرسة فى الاسلام جمعت بين المذاهب الحنفى والشافعى والحنبلى والمالكى[١١] .

أما مصر فكانت فى الحقبة التى شهدت ظهور المدارس فى المشرق تحت حكم الفاطميين ، وهم شيعة اسماعيلية ، ولذا يرجح البعض أن مصر لم تأخذ بفكرة انشاء المدارس إلا فى عهد صلاح الدين ، الذى أسقط الخلافة الفاطمية ، وربط مصر بالخلافة العباسية السـنية . وربما تأثر أصحاب هذا الرأى بعبارة ذكرها المقريزى ، نصـها : « وأما مصر فانها كانت حينئذ بين الخلفاء الفاطميين ، ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة (بناء المدارس) ، وإنما هم شيعة اسماعيلية »[١٢] .

---

(١٠) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٩ ، ص ٦٦ .

(١١) ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، جـ ١ ، ص ٢٧ — ٢٨ (بغداد ١٩٦٥) .

هذا ، وقد اسست المدرسة المستنصرية سنة ٦٢٥ هـ وانتتحت سنة ٦٣١ هـ .

(١٢) المقريزى : كتاب المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ .

على أن هناك شواهد تجعلنا لا نأخذ بهذا الرأى ، إذ يشير عدد من النصوص المعاصرة الى أنه وجدت مدارس بمصر فى العصر الفاطمى قبل عهد صلاح الدين . واذا كان البعض يؤكد أن فكرة المدرسة ارتبطت بالمذهب السنى ، فان علينا أن نضع موضع الاعتبار أن أهل مصر ظلوا طوال العصر الفاطمى متمسكين بمذهب أهل السنة ، وأنه على الرغم من جهود الفاطميين فى الدعوة لمذهبهم ، فان هذه الدعوة لم تلق استجابة من أهل مصر . يضاف الى ذلك أن صلة مصر الروحية والفكرية بالعالم السنى لم تنقطع طوال العصر الفاطمى ، فتردد عليها بعض شيوخ العلم ورجال الدين من أهل السنة . وبدراسة تاريخ الحقبة التى حكم فيها الفاطميون مصر ، يتضح لنا أن هناك من أهل السنة من شغلوا بعض الوظائف والمناصب الادارية .

وهكذا ظل المذهب الاسماعيلى فى العصر الفاطمى قاصرا على فئة الحكام من الخلفاء ، ومن أحاط بهم وارتبط بهم من الأتباع ، وهؤلاء اتخذوا من القاهرة مركزا رئيسيا للدعوة الفاطمية ولنشاط الدعاة لها . أما خارج مدينة القاهرة ، فان الدعوة الفاطمية اتصفت بالضعف حتى كادت تخبو فى الأقاليم البعيدة عن عاصمة البلاد . ولعل فى هذا بعض السر فى أن أولى المدارس السنية التى عرفتها مصر فى العصر الفاطمى كانت خارج القاهرة ، وفى مدينة الاسكندرية بالذات . ويفسر هذا أن المدارس القليلة التى عثرنا على أسمائها فى مصر الفاطمية ، كانت محدودة الشهرة ، تبدو وكأن جوا من التستر وعدم الرغبة فى الظهور أحاط بها ، وذلك حرصا من القائمين عليها والمنتمين اليها على عدم استثارة الحكام الشيعة .

يذكر ابن خلكان[١٣] فى ترجمة العادل بن السلار (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) وزير الخليفة الظافر الفاطمى أنه « كان ظاهر التسنن ،

---

(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤١٦ ، ترجمة رقم ٤٨٥ ، (تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٧) .

شافعى المذهب » . ومع ذلك فقد صار العادل واليا على الاسكندرية . وفى أثناء ولايته على الثغر ، « وصل الحافظ أبو طاهر السلفى — رحمه الله تعالى — الى ثغر الاسكندرية المحروس ، وأقام به ... فأحتفل (العادل) به ، وزاد فى إكرامه ، وعمر له هناك مدرسة (سنة ٥٤٦ ﻫ / ١١٥٦ م) وفوض تدريسها اليه ، وهى معروفة الى الآن[١٤] ، ولم أر بالاسكندرية مدرسة للشافعية سواها » .

ونخرج من هذا النص بحقيقتين . الأولى هى أن بعض أهل السنة ولوا مناصب لها وزنها فى الدولة الفاطمية ، مما جاء مصحوبا بتردد بعض علماء أهل السنة على مصر فى العصر الفاطمى حيث مارسوا نشاطا علميا ، وبخاصة خارج القاهرة . أما الحقيقة الثانية فهى ظهور المدرسة على أرض مصر فى أيام الدولة الفاطمية ، قبل بزوغ نجم صلاح الدين .

وبالإضافة الى هذه المدرسة ، التى عرفت باسم « السلفية » ، نسبة الى الحافظ أبى طاهر أحمد السلفى ، هناك مدرسة أخرى ورد ذكرها فى المصادر المعاصرة ، أنشأها بالاسكندرية أيضا الوزير رضوان الولخشى سنة ٥٣٢ ﻫ (١١٣٨ م) ، أى فى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله . وقد عرفت هذه المدرسة باسم العوفية نسبة الى الفقيه المالكى أبى طاهر بن عوف الذى قام بالتدريس فيها[١٥] .

ومهما يكن من أمر ، فان سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة

---

(١٤) اى الى ايام ابن خلكان ، المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ .

(١٥) وهو أبو طاهر اسماعيل بن مكى بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ، الذى لقبه ابن تغرى بردى بشيخ المالكية بالثغر . وقد توفى سنة ٥٨١ ﻫ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢٥١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠٠ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ ، ص ٥٠ (١٩٦٩) .

الأيوبية فى مصر ، صحبه التوسع فى إنشـــاء المدارس • ذلك أن صلاح الدين الأيوبى اقتدى بسيده نور الدين محمود الذى « بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس ••• ثم اقتدى بالســـلطان صلاح الدين فى بناء المدارس ••• أولاده وأمراؤه • ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك (سلاطين المماليك) وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا ••• »(١٦) •

وبتتبع المدارس فى مصر ، نجد بعضها اختص بمذهب واحد من مذاهب أهل السنة الأربعة ــ كالمدرسة السيوفية تجاه الصنادقيين بالقاهرة ــ وقد اختصت بالمذهب الحنفى ، والمدرسة الناصرية التى اختصت بالمذهب الشافعى ، والمدرسة الصاحبية التى إختصت بالمذهب المالكى • هذا فى حـــين وجدت مدارس أخـــرى احتضنت مذهبين ، كالمدرسة الفاضلية التى ضمت المذهبين الشافعى والمالكى ، ومدرســة سيف الدين منكوتمر التى ضمت المذهبين الحنفى والمالكى ، والمدرسة الأقبغاوية والمدرسة الفاقانية ، وكان لكل منهما « درس للطائفــة الشافعية ، ودرس للطائفة الحنفية »(١٧) •

وهنا نلاحظ ملاحظتين ، الأولى هى أن المذهب الحنبلى لم يكن له حظ وافر من إقبال المعاصرين فى مصر ، يعادل بعض ما كان للمذاهب الثلاثة الأخرى ، وهى الحنفى والشافعى والمالكى • والملاحظة الثانية ، هى أننا لم نصادف فى تتبعنا لمدارس مصر عندئذ ، مدارس عديدة جمعت بين ثلاثة من مذاهب أهل السنة ، وإنما كان الغالب هو أن تختص المدرسة بمذهب واحد أو مذهبين • هذا فى حين وجدت إشـــارات فى بعض المصادر المعاصرة الى وجود عدة مدارس بالشام حـــوت ثلاثة من مذاهب أهل السنة(١٨) •

---

(١٦) المقريزى : المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ (بولاق) •
(١٧) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٨٣ •
(١٨) ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، جـ ١ ، ص ٣٥ •

واذا كانت المدرسة المستنصرية التى افتتحت فى بغداد سنة ٦٣١ هـ هى أول مدرسة فى الاسلام جمعت بين تدريس المذاهب الأربعة : المالكى والحنفى ، والشافعى ، والحنبلى ، فانه ما كادت تمضى عشر سنين على قيام هذه المدرسة ، حتى افتتحت بالقاهرة سنة ٦٤١ هـ المدرسة الصالحية ، التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب — السلطان قبل الأخير من سلاطين بنى أيوب — وجعلها مجمعا للمذاهب الأربعة . وبذلك كان الصالح نجم الدين أيوب « أول من عمل بديار مصر دروسا أربعة فى مكان »[١٩] .

وكان أن كثرت مدارس المذاهب الأربعة فى مصر بعد ذلك ، مثل المدرسة الظاهرية التى أنشأها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ ، والمدرسة المنصورية التى أنشأها السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ ، والمدرسة الناصرية التى بدأ كتبغا بناءها ، ثم أتم البناء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ ، والمدرسة التى أنشأها السلطان الناصر حسن بجامعه تجاه القلعة سنة ٧٥٧ هـ .

* * *

وهنا لابد لنا من وقفة إزاء هذه المؤسسة الضخمة التى أنشأها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، للبت فى قضية هامة تباينت فيها أقوال المؤرخين ، ولم يبت فيها حتى اليوم برأى حاسم قاطع . هل هذه المؤسسة الكبرى التى أقامها السلطان الناصر حسن والتى مازالت شامخة ببنائها الفخم فى مواجهة قلعة الجبل ، هل هى جامع مدرسة أم أنها مدرسة جامع ؟ وبعبارة أخرى ، هل كان الهدف الأول الاساسى من إقامتها أن تكون جامعا يضم بين رحابه مدرسة ، أم أن تكون مدرسة تستهدف التعليم ، على أن تقام فيها شعائر الصلاة وخطبة الجمعة ؟ لقد أطلق كثيرون اسم « مدرسة السلطان حسن »

---

(١٩) المقريزى : كتاب المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٤ (بولاق) .

على هذه المؤسسة ، فى حين أطلق آخرون ــ وما زالوا يطلقون ــ اسم « جامع السلطان حسن » عليها • ومع ما بين المصطلحين من ترابط إلا أن البحث العلمى يتطلب وضع خط مميز بينهما •

أما هذا الترابط فيبدو فى أن هناك هدفا مشتركا بين إنشاء المسجد وإنشاء المدرسة ، وهو هدف يتمثل فى التطلع الى حسن الأجر والثواب • فاذا كان المسجد هو بيت الله الذى يرفع ليذكر فيه اسمه ، مما جعل إقامة المساجد من أجل الأعمال التى يمكن أن يتقرب بها المسلم الى ربه ، فان المدارس اعتبرت أيضا قلاعا للعقيدة وحصونا للدين ، لأن الاسلام حث على العلم والتعلم ، وكان أول لفظ نزل من القرآن الكريم هو كلمة « إقرأ » والقراءة هنا ليست غاية فى حد ذاتها ، وانما هى وسيلة لطلب العلم من أفضل أبوابه • ومن ناحية أخرى ، فان المقصود بالعلم والتعلم هنا ، تدارس العلوم الدينية التى يؤدى تعلمها الى خير دين الانسان ودنياه • وحسب العلم فى الاسلام أنه أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير العلم خير من خير العبادة » ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال : « لكل شىء عماد ، وعماد الاسلام العلم » • ولتأكيد الطابع الدينى للمدرسة ، روعى فى تخطيطها وتصميمها أن تكون مقاربة فى هندستها وصورتها للمسجد ، بمآذنه ومنبره وأروقته وزخارفه •

وما دام الهدف متقاربا بين المسجد والمدرسة ، فان الوظائف والمهام تشابهت الى حد يقرب من التطابق ، بمعنى أن المسجد صار مكانا للعبادة والدرس ، فى حين صارت المدرسة مكانا للدرس والعبادة • وبعبارة أخرى أقيمت الصلاة وعقدت حلقات العلم فى المسجد ، فى حين عقدت حلقات العلم وأقيمت الصلاة فى المدرسة • وهكذا وجد ما يمكن أن نطلق عليه اسم « الجامع المدرسة »[٢٠] • وما يمكن أن نطلق عليه

---

(٢٠) استخدم بعض الباحثين فى هذا الصدد مصطلح « المساجد المدرسية » ، انظر :
احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ ، ص ٤٩ (القاهرة ١٩٦١) •

اسم « المدرسة الجامع » . ولعل حرص مؤسس المدرسة على أن تكون مؤسسته مكانا للعبادة والصلاة ، وهو الذى جعله يزودها بمنبر وميضأة ومئذنة أو أكثر . ولكن مع كل ذلك ، ومع الاعتراف بأهمية المدرسة ومكانتها وطابعها الدينى ، إلا أن مكانة المسجد أو الجامع فى قلوب المسلمين فاقت كل ما عداه من مؤسسات أخرى فى الاسلام . وحسب المسجد أنه يمثل المؤسسة الأولى فى الاسلام ، التى سبق ظهورها مولد المدرسة بأكثر من أربعة قرون . وقد أدرك المعاصرون أن إقامة الجمعة والخطبة فى المدارس جاءت نتيجة لضرورة وليست هدفا من إنشائها . يذكر المقريزى أنه حدث سنة ٧٥٨ هـ على أيام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون أن قام القاضى علم الدين ابراهيم — ناظر الدولة — بتجديد عمارة المدرسة الصاحبية « واستجد فيها منبرا ، فصار يصلى بها الجمعة الى يومنا هذا ، ولم يكن قبل ذلك بها منبر ، ولا تصلى فيها جمعة »[٢١] .

واذا كان المسجد قد احتفظ بمكانته كمركز للعلم والتعليم ، فان أشعة العلم التى تنبثق من بيت الله تكون دون شك أسطع نورا وأقوى تأثيرا فى النفس من تلك التى تنبعث من أى مكان آخر . يذكر أحد فقهاء عصر سلاطين المماليك — هو الفقيه ابن الحاج المتوفى سنة ٨٣٧ هـ أن مواضع التدريس ثلاثة ، هى البيت والمدرسة والمسجد . وقال إن المسجد أفضلها جميعا ، لأن الفائدة من التدريس أن تظهر به سنة أو تخمد بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الدين . والمسجد خير مكان تتوافر فيه هذه الفوائد ، لأنه موضع مجتمع الناس[٢٢] .

ولا أدل على أن المسجد كانت له مكانته الخاصة فى قلوب المسلمين من ذلك النموذج الذى أتى به القلقشندى لما ينبغى أن

---

(٢١) المقريزى : كتاب المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٧١ .
(٢٢) ابن الحاج : المدخل ، مدخل الشرع الشريف على المذاهب ، جـ ١ ، ص ٨٥ (القاهرة ، ١٩٢٩) .

تستهل به كتب الأوقاف على المساجد ، والذى يتصدره الحـديث الشريف « من بنى مسجدا لله — ولو كمفحص قطاة — بنى الله تعالى له به قصرا من الجنة » . وبعد هذه الافتتاحية ، يمضى واضع هذا النموذج لحجة الوقف على المسجد ، فيقول : « وبعد ، فلما كانت المثوبات مضمونة الأجر عند الكريم ، والأعمال متعددة فى التقـديم ، وكان بنيان المساجد وافرا أجرا ... ورأى العقلاء أن الأوقاف على المساجد والجوامع من أنفس قواعد الدين وأعلى ، فلذلك قيل فى هذا الإسجال المبارك ... »[٢٣] .

وبدراسة هذا النص دراسة متأنية نجده ينص على أن الأعمال التى يثاب عليها الانسان « متعددة فى التقديم » ، وأن إقامة المساجد لها الأولوية فى وفر الأجر عند الله تعالى . ومعنى هذا أنه إذا كان المسجد والمدرسة قد تداخلا فى الوظيفة ، فان بناء المسجد المدرسة كان أكثر قبولا وأعظم ثوابا — فى نظرهم — من بناء المدرسة المسجد .

ومهما يكن من أمر ، فانه تحت تأثير هذا التداخل الوظائفى بين المسجد والمدرسة ، والتشابه بينهما فى الهندسة والشكل العـام ، أطلق بعض المعاصرين على مؤسسة السلطان حسن اسم « جامع » فى حين أطلق عليه آخرون اسم « مدرسة » . وممن أطلق على هذه المؤسسـة اسـم مدرسـة من المؤرخـين المعـاصرين ابن كثـير (ت ٧٧٤ هـ)[٢٤] ، وابن تغـرى بردى (٨٧٤ هـ)[٢٥] ، وابن

---

(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ١٤ ، ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ٢٧٧ (بيروت ، ١٩٦٦) .

(٢٥) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ ٥ ، ص ١٢٦ ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ١٢٣ ، جـ ١٠ ، ص ١٦٣ (القاهرة ، ١٩٤٩) .

حجر (٨٥٢ هـ)[٢٦] ، وابن اياس (٩٢٩ هـ)[٢٧] .

على أننا نلاحظ على هؤلاء المؤرخـين المعاصرين الذين أطلقوا على مؤسسة السلطان حسن اسم « مدرسة » ، أنهم فعلوا ذلك فى سياق الأخبار التى دونوها فى حولياتهم ، أو فى سياق التراجم التى أوردوها للسلطان الناصر حسن ، صاحب هذه المؤسسة . وبعبارة أخرى فانهم لم يطلقوا اسم « مدرسة » على هذه المؤسسة داخل إطار دراسة قائمة بذاتها يعالجون فيها المؤسسات الاسلامية وأنواعها ، أو يتتبعون فيها المدارس والجوامع التى أقيمت فى حقبة معينة أو فى عصر معين ، مما يتطلب مراعاة الدقة فى التصنيف ، والحرص على اختيار الصفة الأساسية لهذه المؤسسة أو تلك .

وربما كان المؤرخ أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) — كبير مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر للميلاد — هو الوحيد الذى وصلتنا عنه مثل هذه الدراسة المقننة الدقيقة . ذلك أن المقريزى حرص فى موسوعته الكبرى « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » على أن يقسم المؤسسات فى القاهرة الى أنواع ، أفرد لكل نوع قائمة مستقلة وضع لها عنوانا منفردا بنفسه ، بحيث يعبر كل نوع عن الخصائص والأوصاف والمهام والوظائف التى يتميز بها ذلك النوع من المؤسسات . فتحت عنوان « ذكر المساجد الجامعة » جمع المقريزى « ما فى ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من أسسها ، وبالله التوفيق » . ثم تناول جوامع مصر والقاهرة واحدا بعد آخر ، وخصص لكل منها عنوانا يحمل اسم الجامع : الجامـع

---

(٢٦) ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٢ ، ص ٣٩ — ترجمة رقم ١٥٦٠ .

(٢٧) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ١ ق ١ ، ص ٥٥٩ (تحقيق محمد مصطفى ، ١٩٧٥) .

العتيق ، جامع العسكر ، جامع ابن طولون ، الجامع الازهر ، جامع الحاكم . ... وأفرد لكل جامع دراسة قد تطـول أو تقصر حسب المقتضيات . ولم يغب عن المقريزى فى هذه الدراسة أن يشير الى إسهام الجامع فى النشاط العلمى . فهو فى حديثه — مثلا — عن الجامع العتيق أو جامع عمرو بن العاص ، يقول « وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه »[٢٨] .

وبعد أن ينتهى من ذكر الجوامع فى صفحات طويلة ، ينتقـل المقريزى الى المدارس ، فيضع عنوانا كبيرا « ذكر المدارس » ، فيبدأ بشرح معنى الدرس والتدريس والمدرسة ، وفى ضـوء هذا الشرح يتناول المدارس فى مصر والقاهرة واحدة بعد أخرى ، ويخصص عنوانا لكل مدرسة ، بدءا بالمدرسة الناصرية[٢٩] . فاذا فرغ من ذكـر المدارس انتقل الى ذكر المارستانات[٣٠] . وهكذا يتتبع المقريزى كل مؤسسة من المؤسسات التى حفلت بها مصر والقاهرة فى إطـارها الصحيح ، مع الاشارة دائما الى ما قد يكون لهذه المؤسسة أو تلك من وظائف أخرى تأتى على هامش وظيفتها الرئيسية التى استهدفها مؤسس المنشأة أو صاحبها .

وهنا يبدو الفارق واضحا بين الاسلوب الذى اتبعه المقريزى فى حولياته ، والاسلوب الذى اتبعه فى خططه . ففى حوليات المقريزى المعروفة باسم « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » اهتم المؤرخ بالجرى وراء الأخبار المتلاحقة ، موجها جل عنايته نحو تتبع مسيرة الأحداث ، مستخدما فى ذلك ما هـو شائع ومعروف ومتداول بين النـاس من مصطلحات . وهكذا أشار المقريزى فى حولياته الى مؤسسة الناصر حسن باسم « مدرسة السلطان حسن »[٣١] . وجاء تعبيره هذا فى

---

(٢٨) المقريزى : كتاب المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ وما بعـدها (بولاق) .
(٢٩) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٢٦٢ وما بعدها .
(٣٠) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٤٠٥ وما بعدها .
(٣١) المقريزى : كتاب السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٨٨ ، ٧٥٦ .

سياق الكلام عن فتنة دبت فى صفوف المماليك فاستغل بعضهم موقع هذه المؤسسة — المواجهة للقلعة — فى رمى خصومهم بالنشاب .

أما فى كتابه « المواعظ » الذى خصصه لدراسة خطط مصر والقاهرة ، فان المقريزى — وهو العالم المحقق الذى عاصر تلك الحقبة ، وكرس نحوا من عشرين عاما من عمره فى وضع هذا الكتاب ، مراعيا الدقة المتناهية فى تصنيف المؤسسات التى حفلت بها مصر والقاهرة ، وضع مؤسسة السلطان حسن فى قائمة « الجوامع » . فتحت عنوان « ذكر المساجد الجامعة » تتبع المقريزى جوامع مصر والقاهرة واحدا بعد آخر ، مع ذكر عنوان كل منها ، حتى أتى بعنوان كبير نصه « جامع الملك الناصر حسن »(٣٢) . واستهل المقريزى كلامه عن هذا الجامع بعبارة « هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن » . ومن هذه العبارة يفهم أن الأصل فى هذه المؤسسة أن تكون جامعا ، ولكنها اشتهرت وعرفت باسم « مدرسة السلطان حسن » . فتسميتها مدرسة لا يعدو أن يكون اسم الشهرة ، وليس الاسم المعبر عن وضعها الحقيقى . وقد تمسك المقريزى باطلاق اسم « الجامع » على هذه المؤسسة فى المادة العلمية الطويلة التى أوردها عنها : فهذا الجامع كذا ، ويحكى عن هذا الجامع كذا ، وجعل السلطان على هذا الجامع أوقافا كذا ...

ومثل هذا التحديد والتأكيد لا يمكن أن يصدر عن عالم مثل المقريزى ، وفى كتاب مثل الخطط ، اعتباطا ، وانما لابد وأن لدى هذا العالم المعاصر من الأسانيد والأدلة الواقعية ما جعله يصر على وضع مؤسسة السلطان حسن فى قائمة جوامع القاهرة — وليس فى قائمة مدارسها — من ناحية ، ثم التمسك بصفة « الجامع » ليصف بها هذه المؤسسة من ناحية أخرى . ولم ينف المقريزى أبدا عن هذا الجامع

---

(٣٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ (بولاق) .

أنه نهض أيضا بوظيفة « المدرسة » ، شأنه شأن معظم الجوامع المعاصرة ، ولكنه جعل صفة الجامع هى الأولى ، وهى الهدف من بنائه ، وبعد ذلك تأتى صفة المدرسة ، فقال ان هذا الجامع « يعرف بالمدرسة » ولم يقل « إن هذه المدرسة تعرف بالجامع » • وبعبارة أخرى فان مؤسسة السلطان حسن « جامع مدرسة » وليست « مدرسة جامعا » •

يقول المقريزى ما نصه « ••• وفى هذا الجامع عجائب من البنيان ••• منها المدارس الأربع التى بدور قاعة الجامع ••• » • إذا فقد أقيمت فى دور قاعة الجامع أربعة مدارس ، لها أربعة أواوين متقابلة — بحيث تختص كل مدرسة منها بمذهب من مذاهب أهل السنة الأربعة[٣٣] • ومعنى هذه العبارة أن المدارس أنشئت فى قاعة الجامع ، وليس الجامع هو الذى أقيم فى ساحة المدرسة ، حتى غدت هذه المدارس « من عجائب فن البنيان فى هذا الجامع » • فالجامع هو الأصل ، وهو الهدف ، وهو الأساس ، ولكى تعم الفائدة ويعظم الأجر والثواب ، أقيمت به مدارس لتعليم علوم الدين وأحكامه وشرائعه •

على أنه ثمة مرة واحدة فى كتابه المواعظ ، استخدم المقريزى فيها عبارة « مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل » • ولكن هذه العبارة وردت فى تعداده لأسماء المساجد التى تقام بها الجمعة ، ونص العبارة « وقد بلغت عدة المساجد التى تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا ، منها ••• جامع شيخو ، جامع قانباى ، جامع الماس ، جامع

---

(٣٣) لم يكن من الضرورى ان يرتبط عدد الأواوين فى الجامع او المدرسة بعدد المذاهب أو الفقهاء الذين يقومون بالتدريس . فالمدرسة المنصورية — مثلا — التى آنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ « رتب فيها دروسا اربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ». ومع ذلك كان فيها ايوان واحد تجاه القبلة (المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩) .

قوصون ، جامع الصالح ، مدرسة السلطان حسن بسوق الخيل » .
والمقريزى هنا يضع مؤسسة السلطان حسن فى قائمة المساجد الجامعة وليس فى قائمة المدارس ، وربما نعت هذه المؤسسة باسم الشهرة الذى « عرفت » به — كما ذكر فى موضع آخر — وليس بالاسم الحقيقى المعبر عن الصفة الأولى لهذه المؤسسة(٣٤) .

ولم يكن المقريزى هو المؤرخ المعاصر الوحيد الذى أطلق على مؤسسة السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاون اسم « جامع » .
وإنما هناك مؤرخ آخر عاصر الناصر حسن وعاش أيامه هو الحسن بن عمر المعروف بابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) صاحب كتاب « تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه » . ومن الواضح أن ابن حبيب ألف كتابه الضخم هذا الذى يقع فى ثلاثة مجلدات مخصصا إياه للتأريخ لأسرة قلاون ، أعنى السلطان المنصور قلاون وسلالته من الحكام حتى أيام ابن حبيب نفسه(٣٥) . ولذا يعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا للوقوف على أخبار تلك الحقبة وما سادها من أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها . ولما كان ابن حبيب قد عاش أيام السلطان الناصر حسن وعاصر مراحل بناء مؤسسته ، فان حكمه على هذه المؤسسة إنما يعبر عن وضعها الحقيقى فى المجتمع الذى أقيمت فيه ، وفى نظر المعاصرين فضلا عما أراده لها مؤسسها نفسه . يقول ابن حبيب ما نصه(٣٦) :

« وفيها شرع السلطان الملك الناصر حسن أيده الله فى عمارة

---

(٣٤) المقريزى : المواعظ ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٣٥) حقق هذا الكتاب باجزائه الثلاثة الاستاذ الدكتور محمد محمد أمين ، وصدر عن مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب بين سنتى ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ .

(٣٦) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى ايام المنصور وبنيه ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

المكان الذى أنشأه بالرميلة تحت قلعة الجبل ظاهر القاهرة المحروسة .. وهو بناء مشيد محكم ، عظيم الشأن ، مرفوع القواعد ، عالى الأركان ، متسع الفناء ... يشتمل على جامع فسيح ، له صحن كبير ، فيه أربعة أواوين متقابلة ... وفيه المنبر ، وبه تقام الجمعة ... وعلى كتفى الايوان الشرقى بابان عظيمان يدخل منهما الى مدرستين . وعلى كتفى الايوان الغربى مثل ذلك . وعلى كتفى الايوان الشمالى بابان أعظم من الأربعة المشار إليهن ، الأيمن منهما مجاز الى الجامع المذكور ... وبوسط هذا الجامع بركة ماء عليها قبة عظيمة وعلى بابه سبيل ...

في جامع السلطان قم يا من أتى مصرا
وطف سعيا بذياك الحرم

وانظر بناء ينجلى للناس فى ثوب
الشباب واطرح ذكر الهرم ... »

وهكذا يحرص ابن حبيب وهو الرجل المعاصر الذى عاش أيام بناء مؤسسة الناصر حسن ، ورأى بعينيه وسمع بأذنيه وأحس بفؤاده كل ما يرتبط بهذه المؤسسة من أوضاع ... نقول إنه حرص على أن يصف هذه المؤسسة بأنها جامع يحوى بداخله عدة مدارس — شأنه شأن العديد من جوامع ذلك العصر ، وليس مدرسة تؤدى فيها شعائر الصلاة ، بمعنى أنه جامع مدرسة وليس مدرسة جامعا .

ومهما يكن من أمر ، فاننا نرى أن فصل الخطاب فى هذا الموضوع مرجعه وثيقة حجة الوقف الذى وقفه صاحب هذه المؤسسة عليها ، وفى هذه الوثيقة يوضح طبيعة المنشأة ويضع وصفا لها ويحدد أسلوب أدائها لمهامها ووظائفها ... وغير ذلك من المعلومات التى يشهد عليها الشهود والتى تعتبر دستورا للمؤسسة أو المنشأة . وهذه الوثيقة فى نظرنا أدق وأصدق من اللوحة التأسيسية التى توجد بالجامع ، لأن هذه اللوحة لم تكتب الا بعد وفاة السلطان الناصر حسن نفسه ، وأمر

بكتابتها أحد رجاله وهو الطواشى بشير الجمدار الذى أتم تشـــطيب الجامع[٣٧] ، أما وثيقة حجة الوقف فقد حررت فى حياة السلطان الناصر حسن ، وتحت حسه وسمعه وبصره ، فجاءت تعبيرا عما أراده السلطان لهذه المؤسسة ، وما استهدفه هو نفسه من إقامتها .

وتحتفظ دار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية ـ المحكمة الشرعية) بخمس وثائق وقف للسلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون ، الذى ولى منصب السلطنة مرتين الأولى من سنة ٧٤٨ هـ حتى سنة ٧٥١ هـ ، والثانية من سنة ٧٥٥ هـ حتى سنة ٧٦٢ هـ . وتعنينا من هذه الوثائق الخمس وثيقتان :

الأولى : هى الوثيقة ٤٠/٦ وهى مؤرخة فى ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٦٠ هـ وتضم حجة الوقف على مصالح القبة والمسجد الجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة .

والثانية : وهى الوثيقة رقم ٣٦٥/٨٥ ، وكانت تحمل من قبل فى دفتر خانة وزارة الأوقاف بالقاهرة رقم ٨٨١ ، وذلك قبل نقلها الى دار الوثائق القومية حيث أخذت هذا الرقم الجديد . وهـــذه الوثيقـــة نسخة أخرى مطابقـــة للوثيقة الأولى التى تحمل رقـــم ٤٠/٦[٣٨] .

ويحمل الوجه الأول لهذه الوثيقة حجة وقف السلطان حسن بتاريخ ١٥ ربيع آخر سنة ٧٦٠ هـ ، ٢ رجب سنة ٧٦٠ هـ « على مصالح القبة والمسجد الجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة » .

---

(٣٧) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .

(٣٨) نشر هذه الوثيقة مع دراسة علمية واعية وتحقيق دقيق الدكتور محمد محمد أمين . وذلك فى ختام الجزء الثالث من كتاب تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، ص ٣٣٩ وما بعدها . والكتاب تاليف ابن حبيب ، تحقيق دكتور محمد محمد أمين .

أما الوجه الثانى فيحمل إضافة بتاريخ ٢ ـ ٣ ، ٢٦ جمادى الأولى سنة ٧٦١ هـ . وتنص هذه الاضافة على :

[أنشأ مولانا المقام الأعظم ، الشريف العالى المولوى السلطان المالكى ، الملكى الناصرى ، الواقف المسمى بأعاليه ، خلد الله ملكه وأدام دولته ، وقفه هذا ، على مصالح القبة والمسجد الجامع ، والمدارس ومكتب السبيل ، وغير ذلك مما هو من حقوق الأماكن المذكورة ..] .

وبعد ذلك ينص فى هذه لوثيقة الخاصة بحجة الوقف على مرافق تلك المؤسسة التى يعبر عنها فى الوثيقة باسم « المكان المستجد الانشاء ، الذى أنشأه مولانا السلطان خلد الله ملكه » . وأولى هذه المرافق التى تضمها المؤسسة هى « القبة » أى الضريح الذى أقامه السلطان « لدفن نفسه الشريفة ، رزقه الله أطول الأعمار ، ودفن أولاده وذريته ونسله وعقبه ... » هذا وإن كان السلطان الناصر حسن نفسه لم يدفن بتلك القبة أو ذلك الضريح ، لأنه عندما قتل سنة ٧٦٢ هـ « لم يوقف له على خبر البتة ، مع كثرة فحص أتباعه وحواشيه عن قبره ، وما آل إليه أمره »(٣٩) .

وبعد ذكر القبة يأتى المرفق الثانى الذى ينص عليه فى وثيقة حجة الوقف ، على النحو التالى : ـ

« وأما المكان الكبير المجاور للقبة المذكورة من الجهة البحرية المشتمل على الأواوين الأربعة والصحن والبحرة التى بوسطه ، فانه أعز الله أنصاره ، وقف ذلك جميعه ـ خلا البحرة ـ مسجدا لله تعالى ، جامعا تقام فيه الصلوات والجمع والأعياد والجماعات ، ويعتكف فيه على الطاعات ، ويتلى فيه كتاب الله الكريم ، ويذكر فيه اسمه العظيم ، ويشتغل فيه بالعلم الشريف ، وجعل حكمه حكم المساجد العامرة .

---

(٣٩) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ .

والايوان القبلى منه جعله أيضا لاقامة الخطبـة ولقراءة المصحف الكريم ، ولجلوس الشافعية مع مدرسهم لاقامة وظيفة الدرس العامر فيه ... وجعل الايوان البحرى أيضا لجلوس الحنفية مع مدرسهم لأداء وظيفة الدرس العامر به ، وجعل الايوان الشرقى أيضا لجلوس المالكية مع مدرسهم لأداء وظيفة الدرس العامر به ، وجعل الايوان الغربى أيضا لجلوس الحنابلة مع مدرسـهم لأداء وظيفة الدرس العـامر به ... »(٤٠) .

ولعل فى هذه النصوص المستقاة من حجة الوقف الخاصة بهـذه المؤسسة ، ما يؤكد أن السلطان الناصر حسن أراد أن يجعل منها مجمعا يضم قبة أو ضريح يدفن فيه هو وأولاده وذريته ، ومسجدا جامعا « تقام فيه الصلوات والجمع والأعياد والجماعات » ، على أن يضم هذا المسجد الجامع أربعة أواوين بحيث يخصص كل ايوان — فى غير أوقات الصلاة — لجلوس طلاب العلم مع مدرسهم « لاداء وظيفـة الدرس العامر به » . وبعبارة أخرى فان الأواوين الاربعة التى تعبر عن المدارس الأربع ، اقيمت فى رحاب المسجد الجامع ، وليس المسجد الجامع هو الذى أقيم فى رحاب المدارس الأربع . وبذلك جاء هـذا الكيان « حكمه حكم المساجد العامرة » كما جاء فى حجة الوقف .

ولتأكيد صفة المسجد الجامع ، فان الحجة نصت على المخصصات المحدودة للعاملين بالمسجد ، قبل غيرهم ، بحيث « يقدم الطعام والخبز نصفين ، فالنصف الأول يفرق على أرباب الوظائف المقيمة بالأماكن المذكورة ، والأئمة والمؤذنين والفراشين والقومة والبوابين ... » وبعد ذلك يأتى ذكر طلاب العلم .

---

(٤٠) وثيقة حجة السلطان الناصر حسن (١١٩٢ — ١٢٠٢) بتاريخ ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٦٠ هـ .

وتحرص حجة الوقف المذكورة على تكرار صفة « المسجد الجامع » لتأكيد هذه الصفة ، كأن تنص على أن « يرتب الناظر بالايوان القبلى من المسجد الجامع المذكور أعلاه ميعادا ، ويرتب له شيخا ... » . وكذلك « يرتب بالمسجد الجامع المذكور إماما حافظا لكتاب الله تعالى يؤم المسلمين فى الصلوات الخمس المفروضات ... » . وهنا نلاحظ عدم ربط مصطلح الايوان بالمدرسة ، وانما هو ايوان « من المسجد الجامع » أى ايوان من أواوين هذا المسجد الجامع .

* * *

ومرة أخرى نقول أنه اذا كان الهدف من اقامة المؤسسات الدينية والخيرية فى المجتمع الاسلامى هو طلب الثواب وحسن الأجر والجزاء ، فان المسجد كان — دون شك — فى نظر المعاصرين أكثر ثوابا وأعمق رسوخا من المدرسة . وحسب المساجد أن الله عز وجل أمر ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها[٤١] . يقول الطبرى فى تفسير الآية الكريمة « فى بيوت أذن الله أن ترفع ... »[٤٢] إن البيوت هى المساجد المخصصة لعباد الله تعالى ، ويستند فى ذلك الى ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله (ص) ، وقال : « من أحب الله عز وجل فليحبنى ومن أحبنى فليحب أصحابى ، ومن أحب أصحابى فليحب القرآن ، ومن أحب القرآن فليحب المساجد ، فانها أفنية الله أبنيته ، أذن الله فى رفعها »[٤٣] .

وتحت تأثير هذه المشاعر والأحاسيس ، أقام السلطان حسن مؤسسته لتكون فى المقام الأول « مسجدا جامعا » ، كما جاء وصفها

---

(٤١) محمد على الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٦٠٧ .

(٤٢) سورة النور ، ٣٦ .

(٤٣) تفسير الطبرى ، سورة النور ، آية ٣٦ .

فى حجة الوقف التى وضعت فى حياة السلطان الناصر حسن نفسه . ولاستكمال الفائدة ، روعى فى البناء إقامة أربعة مدارس « بدور قاعة الجامع » وبذلك تحققت لهــذه المؤسسة صــفة « الجامــع المدرســة » .

أما ما يردده بعض الناشئين من المشتغلين فى حقل الآثار الاسلامية من أن مؤسسة السلطان حسن أقيمت لتكون فى المقام الأول « مدرسة » لا أكثر ، فقول هراء لا يستند الى وعى علمى سليم أو حاسة تاريخية صادقة أو فهم للنصوص التاريخية فى ضوء الاطار العام للعصر الذى يرتبط به النص . لقد استند هؤلاء الى بعض اللوحات التى وجدت على جدران الجامع من الداخل ، وبذلك تحولوا الى عبدة للحجارة ، ونسوا أن هذه اللوحات تشير الى مواضع محددة وأجزاء معينة فى ذلك الصرح الكبير ، وفاتهم أن اطلاق اسم « مدرسة » على الجزء لا ينفى صفة « الجامع » عن الكل . كذلك فاتهم أن هذه اللوحات بما عليها من كتابات إنما وضعت بعد وفاة صاحب المؤسسة وهو السلطان الناصر حسن ، ومن يدرى ، فربما تعرضــت للتغيير والتبديل ، على مدى الأيام والسنين . أما الحجة الشرعية فهى أصدق أنباء من اللوحة التأسيسية ، لأنها وضعت فى حياة صاحب المؤسسة وتحت بصره وسمعه وحسه ، وتنفيذا لرغباته وأهدافه ومقاصده ، وشهد عليها الشهود وذيلوها بتوقيعاتهم ، بحيث غدت وثيقة ثابتة لو أضيف اليها لفظ أو حذفت منها كلمة ، لسهل اكتشــاف التغيير بمقارنة نوع الخــط والمداد وغير ذلك .

لقد فات هــذا الفريق من الباحثين الناشئين أن النصــوص التأسيسية التى توجد على جدران المنشآت ربما تعرضت على مر العصور للتغيير والتبديل والحذف والمحو والاضافة ، وهذه ظاهرة قديمة قدم التاريخ نفسه . وحبذا لو عرف هؤلاء المبتدئين أن الآثار مع جلالها وعظمتها تشكل مصدرا واحدا من مصادر المعرفة التاريخية ، وأن هناك بعض حلقات التاريخ مكتملة الصورة واضحة الملامح دون

أن نعثر على أثر واحد يسهم فى إلقاء الضوء على جوانبها • وبالنسبة للعصر الذى أقيمت فيه مؤسسة السلطان حسن يستمد الجزء الأكبر من المادة التاريخية من الكتب والمؤلفات المعاصرة فضلا عن الوثائق • ومن أنواع الوثائق العديدة التى يعتز بها مؤرخو عصر سلاطين المماليك تبرز الحجج الشرعية ، لما تتصف به من مسحة دينية تجعلها بعيدة الى حد كبير عن التزوير والتحريف • هذا فضلا عن أن الكثير منها مذيل بتوقيعات رجال الدين ــ ربما كبارهم ــ مما يعطيها طابعا من الصدق والأمانة والوضوح • واذا ظهر تباين فى التعبير أو فى الفهم بين ما جاء فى حجة شرعية معاصرة وضعت فى حياة صاحبها وما هو مثبت على لوحة تأسيسية وضعت على جدران مؤسسة بعد وفاة صاحب هذه المؤسسة ، فان النص الوارد فى الحجة الشرعية هو الأصل ، وهو الصواب ، وهو الحقيقة ، وهو المعتمد • أما أن يقف بعض تلاميذ علم الآثار أمام نص موجز ورد على لوحة حجرية فى مدخل مؤسسة ، وهم يعلمون أن هذه اللوحة كتبت بعد وفاة صاحب المؤسسة ، ويخرون أمام اللوحة الحجرية سجدا وقد أغمضوا أعينهم عن كافة مصــادر التــاريخ الاخرى المعاصرة ، فهذا أســلوب البسطاء لا منهــج العلمــاء •

ورحم الله استاذنا الدكتور زكى محمد حسن ، مؤسس مدرسة الآثار الاسلامية فى عالمنا العربى المعاصر ، إذ يقول فى شرحه لمؤسسة السلطان حسن ما نصه : ــ

« ولا ريب فى أن من أجمل العمائر الاسلامية فى مصر والشام ، ذلك الجامع الفخم الذى يقوم فى سفح قلعة الجبل بمدينة القاهرة ، والذى أمر السلطان المملوكى الناصر حسن بن الناصر محمد بتشييده •••• والحق إن لهذا الجامع مظهرا جليلا ••• »[٤٤] •

---

(٤٤) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٧٢ ــ ٧٣ (القاهرة ، ١٩٤٨) •

وبعد ، فاننا لا نستهدف فى هذه الدراسة نفى صفة المدرسة عن مؤسسة السلطان حسن ، ولكننا نريد أن نؤكد لها صفتها الأولى وهى « الجامع » • لقد كانت هذه المؤسسة « جامعا مدرسة » • إنها « جامع » السلطان حسن الذى يضم بين جــدرانه مدرسة أو عدة مدارس ، وليست مدرسة السلطان حسن التى « استجد فيها منبرا فصار يصلى بها الجمعة » مثلما يقول المقريزى عن المدرسة الصاحبية[٤٥] •

أ• د•

سـعيد عبد الفتاح عاشـور

---

(٤٥) المقريزى : المواعظ ، جـ ٢ ، ص ٣٧١ •

المســلمون فى بلاد المجر فى العصور الوسطى[*]

(٤ هـ / ١٠ م — ٧ هـ / ١٣ م)

د. ليـلى عبد الجواد اسـماعيل
كلية الآداب — جامعة القاهرة

كان اسم المجر معروفا لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى ، فقد استخدموا هذا الاسم للدلالة على الشعب المجرى ، وظهر اسم « المجغرية » أول ما ظهر فى كتاب ابن رسته « الأعلاق النفيسة » فتحت عنوان « المجغرية » يتحدث ابن رسته عن المجريين ، وموقع بلادهم ، ونظام حكمهم ، وملابسهم ، وديانتهم وأنشطتم وذلك فى الفترة التى أقام فيها المجريون فى المنطقة الواقعة بين نهر الدون ونهر الدانوب الأدنى[١] .

ثم ورد اسم « المجغرية » بعد ذلك فى كتاب الكرديزى المسمى (زين الاخبار) والذى ألف فى عام (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م أو فى عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) إذ تحدث فيه عن المجريين فى فترة لاحقة للفترة التى تناولها ابن رستة فتعرض لاقامتهم وسـكناهم على الدانوب

(*) القى هذا البحث فى الندوة العلمية الرابعة لقسم التاريخ فى الفترة من ٣ — ٥ مارس ١٩٩١ م ، وتجدر الاشارة الى أن الاسـتاذ عبد الكريم جرمانوس عضو مجلس النواب المجرى والعضو الشرفى بالمجمع العلمى العراقى قام بالقاء محاضرة أمام هذا المجمع فى عام ١٩٦٥ م ، تحت عنوان « الاسلام فى بلاد المجر » وتقع المحاضرة فى تسع صفحات ، وعرض فيها كيفية وصول المجريين الى بلاد المجر الحالية ، واوضـاع المسلمين فى المجر منذ القرن العاشر وحتى اليوم الذى القى فيه محاضرته .

انظر مجلة المجمع العلـمى العراقى ، مجلد ١٢ (١٩٦٥) ، ص ٢٣٣ — ٢٤١ .

(١) انظر ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، طبعة ليدن — بريل ١٨٩١ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

الأوسط وعلى نهر تيسا Tisza بعد عبورهم جبال الكربات[٢] .
كذلك ورد اسم المجغرية عند البكرى فى كتابه « المسالك والممالك » والذى وضعه فى عام (٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م) وتكلم فيه عن اتساع ممتلكات الشعب المجرى وامتدادها الى حدود دولة الروم أو الدولة البيزنطية[٣] .

وظل اسم المجر يستخدم فى كتابات الجغرافيين المسلمين اللاحقين فيذكر أبو طالب الدمشقى فى كتـابه « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » : « نهر الصقالبة والروس نهر عظيم ... تصب اليه أنهار من باشقرد وماجار من بلاد سرداق »[٤] كما أن العمرى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) استخدم اسم الماجار أيضا فى كتابه « مسالك الابصار »[٥] .

واستخدم الجغرافيون المسلمون أيضا مسميات أخرى كثيرة للدلالة على المجريين وبلاد المجر من بينها : الباشقرد — الهنكر — الترك .

الباشقرد[٦] : وهم فى الأصل قبيلة تركية — من المحتمل — أنها هاجرت مع بلغار الفولجا من شـمال القوقاز ، واختلط اسـم

---

(٢) الكرديزى : زين الاخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٤٦٩ — ٤٧١ .

(٣) البكرى : المسالك والممالك نشره :
Defremery "Fragments de Geographes et d'Historiens Arabes et Persans inédits" dans J. Asiatiques, T. 13 (1849) p. 464.

(٤) أبو طالب الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحـر ، تحقيق مهرن ، ليبزج ١٩٢٣ م ، ص ١٠٦ .

(٥) العمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، مخطوط مصور ، السفر الثالث ، المانيا ١٩٨٨ م ، ورقة ٨٨ .

(٦) ورد اسم الباشقر باشكال مختلفة منها : باشجرد ، وباشغورد ، وباشغرد ، وبسجرت وغيرها . انظر مقال بارتولد ، مادة باشقرد فى دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

الباشقرد مع اسم المجريين الأول الذين كانوا يعيشون بالقرب من البحر الأسود ، ونتيجة لهذا الاختلاط ظهـر اسـم Mojgher كما اتضح من خلال الدراسات التى قام بها الاستاذ Nemeth ونظرا للاصول المشتركة بين الشعبين فقد سمى معا باسم الباشقرد والمـوجر Mojgher ، بل وأصبح اسم الباشقرد يطلق على أقوى القبائل المجرية ، كما وصفت بلاد الباشقرد بأنها (هنغاريا العظمى Magna Hungaria) يضـاف الى ذلك أن لغـة الباشقرد أصبحت هى عين اللغة المجرية[٧] .

وأول من ذكر اسم الباشقرد (أو بسجرت) هو الاصطخرى (توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) وقد قسمهم الى مجموعتين فيذكر : « وبسجرت هم صنفان ، صنف فى آخر الغزية على ظهر بلغار ... وهم فى طاعة بلغار ، وبسجرت آخر متاخمون لبجناك ، وهم وبجناك أتراك وهم متاخمون للروم »[٨] .

يتضح من هذا أن المجموعة الأولى من الباشقرد كانت مجاورة لبلغار الفولجا وتابعة لهم ، أما المجموعة الثانية منهم فكانت تجاور البجناك من جهة الشرق والشمال الشرقى وتجاور البيزنطيين من جهة الجنوب .

ثم ميز الجغرافيون المسلمون بعد ذلك بين سكان بلاد المجر فمن اعتنق منهم الاسلام أطلقوا عليه اسم (الباشقرد) أما من كان يعتنق

---

(٧) Minorsky (tr. and Expl.) Hudud al — Alam. London 1937, pp. 318 — 19. Lewicki. "Les noms des Hongrois et de L'Hongrie chez les mediévaux geographes arabes et persans" dans Folia Orientalia Vol. XIX (1978), p. 41.

(٨) الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ١٣١ ، وانظر ايضا :

ابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٣٣٥ ، كتاب المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٧٢ ، ص ٢٨٥ .

المسيحية فأطلقوا عليه اسم الهنكر • ويظهر ذلك بجلاء من خلال ما كتبه كل من ياقوت الحموى وابن سعيد المغربى[٩] •

ومن الأسماء التى استخدمها بعض الجغرافيين المسلمين أيضا للاشارة الى المجريين اسم (الهنكر) وهذا الاسم مشتق من الكلمة اللاتينيـــة Hungaria وكلمة هنغاريا هذه يقصد بها بلاد المجر كما هو معروف ، وقد استخدم كلمة الهنكر كل من ياقوت الحموى وابن سعيد وغيرهما فيذكر ياقوت : « أمة من الافرنج يقال لهم الهنكر »[١٠] أما ابن سعيد فيذكر « مدينة سنيقو ــ على شمالى خليج البنادقة ــ وهى للهنكر وهم ترك على دين النصرانية »[١١] •

أما الادريسى[١٢] فقد استخدم كلمة (انكرية) للدلالة على بلاد المجر ، وهذا الاسم أيضا من أصل لاتينى هــو Ungri, Ungaria واستخدم فى المصادر اللاتينية فى العصور الوسطى للدلالة على بلاد المجر[١٣] •

كذلك أطلق المسلمون فى العصور الوسطى اسم (الترك) على مجر الدانوب ، وهذا الاسم استخدم على نطاق ضيق ، وقد ظهر فى رواية (ابراهيم بن يعقـــوب)[١٤] التى كتبها فى عام ٣٥٤ هـ /

---

(٩) انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ليبزج ١٨٦٦ م ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ ،ابن سعيد : بسط الارض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط ، تطوان ١٩٥٨ م ، ص ١١٥ ، ١٢٧ وانظر أيضا ما يلى ص ٧٤ .

(١٠) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

(١١) ابن سعيد : بسط الأرض ، ص ١١٥ .

(١٢) الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، روما ١٩٧٠ م ، جـ ٢ ، ص ٨٨٢ .

(١٣) Lewicki, Les noms des Hongrois et de L'Hongrie, p. 47.

(١٤) عن ابراهيم بن يعقوب انظر ما يلى ص ٤٦ .

٩٦٥ م ونقلها عنه البكرى فى كتابه مسالك الأبصـــار وجاء فيها : « بلاد الترك (يقصد هنا المجر) تجاور بلاد بويصلاو[١٥] ملك فراغه (براغ) وبويمه[١٦] وكركوا »[١٧] .

ومن الواضح أن هؤلاء الترك لا يمكن أن يكونوا سوى المجريين الذين كانوا فى عصر ابراهيم بن يعقــوب ســادة السلاف وبانونيا Pannonie وجيران لمورافيا Moravie وبولونيا الصغرى Petit Pologne التى كانت مدينة Cracovie عاصمة لها ولمن ظهروا فى بوهيميا فى القرن العاشر الميلادى[١٨] .

ولم يكن استخدام لفظة الترك للدلالة على المجريين قاصرا على الكتاب المسلمين فحسب بل استخدمه الكتاب البيزنطيون ومن هؤلاء قسطنطين السابع بورفير جينيتوس Constantine VII Porphyrogenitus فى كتابه « ادارة الامبراطورية البيزنطية » الذى ألفه فى القرن العاشر الميلادى ، والفصل ٣٨ من هذا الكتاب يحمل عنوان « أصل أمة الأتراك (أى المجريين) وموطنهم الأصلى »[١٩] .

---

(١٥) بويصـــلا وهوبولسلاس الاول Boleslas I حـــاكم براغ (٩٢٩ — ٩٦٧ م) .
انظر البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٥٧ ، هامش ٣ .

(١٦) بويمة : هى بوهيميا وكركوا عاصمة بولونيا الصغرى انظر البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٥٧ ، هامش ٣ وانظر ايضـا :
Lewicki Les noms de Hongrois, p. 49.

(١٧) البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٥١ ، ١٥٧ .

(١٨) Lewicki, Les noms des Hongrois et de la Hongrie, p. 49.

(١٩) قسطنطين السابع : ادارة الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة محمود سعيد عمران ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ١٣٩ .

وتختلف الآراء حول تسمية المجريين بالأتراك فيقال أن هـذا الاسم أطلق عليهم لارتباطهم بالخزر و امتزاجهم بهم[٣٠] • ويقال أيضا أن البيزنطيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ، لأنهم كانوا يعيشون فى البداية بين نهر الدون والقوقاز عيشة بداوة • ويقال كذلك أن المجريين هم الذين سموا أنفسهم أتراكا ويستند أصحاب هذا الرأى الى أن ليو السادس Leo VI سمى المجريين أتراكا منذ عام ٨٩٤ م وأنه علم بهذا الاسم من المجريين أنفسهم عن طريق سفرائه الذين أرسلهم الى زعماء بلاد المجر ، ولو كان المجريون يسـمون أنفسهم اسم آخر لتعرف عليه هؤلاء السفراء[٣١] •

يتضح مما سبق أن الجغرافيين المسلمين عرفوا بمختلف الأسماء التى سمى بها المجريون فى العصور الوسطى ومن أهمها الاسم الذى تعرف به بلادهم فى الوقت الحالى ألا وهو اسم بلاد المجر •

ظهور المسلمين واستقرارهم فى بلاد المجر منذ القرن العاشر الميلادى :

جاء فى أقـدم مصـدر مجرى كتبه كاتب مجهـول ونشر فى Gesta Hungarorum : أنه وصـل حوالى منتصف القرن العـاشر الميلادى وفى عهد الامير تاكسونى Taksony (٩٤٧ — ٩٧٢ م) —

---

(٣٠) عن ارتباط المجريين بالخزر انظر : قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، ص ١٣٩ — ١٤٢ . وأنظر أيضا : دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٠ م ، ص ٢٦٤ — ٢٧٤ .

(٣١) انظر نص ليو السادس الخاص بالمجريين فى كتابه :
Tactics فى : Saecula Hungariae (1000) :
(ed) Istvan Fodor, Budapest 1985.

وانظر أيضا :
Jenkins and Others, Const - Porphyrogenitus, Vol. II, London 1962 Commentary, pp. 13 — 14, 146.

كل من بيلا Billa وباكس Baks أو بوكسيو Bocsu وهما من أعظم النبلاء فى أرض بلار Terra Bular مع عـــدد من الاسماعيلية (أى المسلمين)(٢٢) • ومنحهم القائد (أى الامير) أراضى فى أجزاء مختلفة من المجـــر ، كما أعطاهم القلعـــة التى تســـمى بســت Pest (٢٣) • ويتابع المصدر المجرى فيذكر أن أعداد المسلمين توالت بعد ذلك على بلاد المجر وكان على رأســـها هذه المرة بطـــل محارب يدعى هتـــين Heten وأعطاه الأمير أيضا أرض وأملاك أخرى(٢٤) •

يتضح من هذه الرواية أولا : أن ظهور المسلمين فى بلاد المجر يرجع الى عهد الامير المجرى تاكسونى Taksony (٩٤٧ — ٩٧٢ م) أى الى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى • وقد أكدت الروايات العربية أيضا صحة ذلك فابن فضلان ذكر فى رحلته الى بلاد الصقالبة (أى بلغار الفولجا) فى عام ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م أنه زار بلاد الترك ومنهم الباشقرد(٢٥) (أى المجريين) وقال : « ولقد كان معنا منهم واحد

---

(٢٢) يطلق عادة على المسلمين فى بلاد المجر اسم الاسماعيلية ، ويبدو ان هذا الاسم جاء من اسماعيل ابن هاجر وابراهيم الذى نزح الى جزيرة العرب ، ومن المستبعد انهم الشيعة الاسماعيلية ، لان مســـلمى المجر كانوا من اهل السنة وعلى مذهب أبى حنيفة • انظر ما يلى • وانظر ايضا : ابراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصـــور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٨ ، شكيب ارسلان : غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت بدون تاريخ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ •

(٢٣) تقع فى الجهة الشمالية من نهر الدانوب وعنها انظر ما يلى •

(٢٤) انظر النص باللاتينية مع ترجمة بالانجليزية فى :

Istvan Fodor, "Archaeological traces of the Volga Bulgars in Hungary of the Arpad Period". In Acta Orientalia Hungariae (1979), pp. 315 — 316.

(٢٥) عن الباشقرد انظر ما سبق ، ص ٤٠ — ٤١ •

قد أسلم »[٢٦] مما يظهر أن الاسلام كان معروفا لدى المجريين فى تلك الفترة الباكرة من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى .

كذلك تحدث البكرى نقلا عن التاجر اليهودى ابراهيم بن يعقوب الطرطوسى — الذى زار أوربا فى عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م أى فى فترة حكم الامير تاكسونى Taksony لبلاد المجر — وذكر أن تجارا مسلمين مجريين قدموا من بلاد المجر بتجارتهم الى براغة أى براغ[٢٧] .

ويذكر المسعودى أيضا — وكان معاصرا لابراهيم بن يعقوب — أن المجريين ويطلق عليهم اسم « بجغرد » والبجناك وغيرهم من أمم الترك ، عندما اشتبكوا مع بيزنطة فى عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م أرسلوا الى بلادهم يجمعون من كان قبلهم من تجار المسلمين[٢٨] .

ثانيا : اتضح من خلال المصدر المجرى أيضا أن المسلمين قدموا الى بلاد المجر من أرض بلار (أى من بلاد البلغار) وأن الاسلام دخل بلاد المجر عن طريق هؤلاء البلغار وقد أكد صحة هذا ما ذكره الجغرافى العربى ياقوت الحموى الذى التقى بجماعة من المسلمين المجريين فى حلب فى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٨ م وسأل واحد منهم عن سبب اسلامهم مع أنهم فى وسط بلاد الكفر فأجابه بقوله : « سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من بلاد بلغار وسكنوا بيننا وتلطفوا فى تعريفنا وما نحن عليه من

---

(٢٦) ابن فضلان : رسالته فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، تحقيق وتعليق سامى الدهان ، بيروت ١٩٨٧ م ص ١٠٨ .

(٢٧) البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ١٦١ .

(٢٨) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

الضلال وأرشدونا الى الصواب من دين الاسلام فهدانا الله والحمد لله فأسلمنا جميعا ، وشرح الله صدرنا للايمان »[٢٩] .

وهكذا تؤكد رواية ياقوت ما جاء فى المصدر المجرى من أن الاسلام دخل بلاد المجـر على يد جماعة من البلغار قدموا اليها وسكنوها ، وقاموا بنشر الاسلام بين أهلها .

ولكن يتبادر الى الذهن سؤال وهو هل كان البلغار الذين قدموا وبصحبتهم المسلمين الى بلاد المجر من بلغار الدانوب أم من بلغار الفولجا ؟

يرى المؤرخ البولندى لفيسكى Lewicki [٣٠] أنهم من بلغار الدانوب ، ويذكر أن هؤلاء كانوا قد أسلموا فى وقت مبكر عن الوقت الذى أسلم فيه بلغار الفولجا ويستند فى ذلك الى عدة أدلة منها :

أولا : خطاب البابا نيقولاس Nikolas فى عام ٨٦٦ م والذى يظهر من خلاله أن الاسلام كان معروفا جيدا بين بلغار الدانوب ، وأن معظمهم كان يقرأ القرآن وكتب المسلمين .

ثانيا : ان أشهر قرى المسلمين فى بلاد المجر وهى بست Pest تقع فى الجهة الشمالية من نهر الدانوب ، وهى أصلا كلمة بلغارية — سلافية .

ثالثا : أن معظم قرى المسلمين فى بلاد المجر كانت توجد بين نهرى الدانوب وتيسا Tisa ومنها قرية Apos - Aranyan وقـرية

---

(٢٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، طبعة ليبسك ١٨٦٦ م ، ص ٤٦٩ — ٤٧٠ .

(٣٠) Lewicki "Wegry i muzulmanie Wegierscy swietle relacji Podroznika arabskiego Z XII W. Abu Hamid al-Andalusi'ego" in Rocznik Orientalistyezny t. 13 (1938), pp. 111 — 113.

Surlach وقـــرية Bew ، وكانت هذه القرى جزءا من الدولة البلغارية قبل أن يسيطر المجريون على بانونيا ٠

وبالاستناد الى الأدلة السابقة ـ فان المسلمين المجريين ـ فى رأى المؤرخ البولندى لفتسكى Lewicki ـ يرجعون فى أصلهم الى بلغار الدانوب السلاف الذين هربوا الى بلاد المجر فى القرن التاسع الميلادى فرارا من الخان بوريس Boris الذى اعتنق المسيحية وقرر محاربة المسلمين[٣١] ٠

هـذا فى حـين يرى المـؤرخ المجـرى اسـتفن فودور Istvan Fodor[٣٢] أن المسلمين الذين قدموا الى بلاد المجر فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى هم من بلغار الفولجا الذين اعتنقوا الاسلام فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى[٣٣] ٠

ويعرض استفن أولا للروابط التى كانت تربـط بلغار الفولجا بشعب المجر خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ومنذ أن كانوا يعيشون معا فى اقليم أنهار الدون والفولجا Volga ، ويذكر أنه كان لهذه الروابط والصلات التى ربطت بينهما أثر لغوى وثقافى كبير على شعب المجر فان حوالى ٢٥٠ كلمة فى اللغة المجرية ترجع الى أصل

---

(٣١) عن اعتناق بوريس للمسيحية انظر :

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930, pp. 102 — 106.

(٣٢) Istvan Fodor, Archaeological traces of the Volga Bulgars in Hungary of the Arpad Period, p. 315 — 321.

(٣٣) عن اعتناق بلغـار الفولجا الاسلام انظـر : حسين على الداقوقى : « دولة البلغار المسلمين فى حوض الفولجا » مقال منشور فى مجلة المؤرخ العربى (١٩٨٢ م) ، ص ٢٠٧ ـ ٢١١ ٠

تركى — بلغارى ومعظم هـذه الكلمات أخـذت من بلغار الفولجا والدون(٣٤) .

ويذكر استفن أيضا أنه على الرغم من افتراق الشعبين واقامة المجريين فى حوض الكربات الا أن هذه الصلات استمرت تربط بينهما ، ويستند فى ذلك على ما جاء فى المصدر المجرى الذى كتبه مؤلف مجهول حوالى عام ١٢٠٠ م من أن تجار بلغار الفولجا غالبا ما كانوا يزورون الأرض الجديدة التى أقام فيها المجريون فى حوض الكربات(٣٥) .

ويذكر استفن أن هذه الصلات هى التى دعت النبلاء البلغار ومنهم بيلا Billa وباكس Baks ثم من بعـدهما هيتن Heten الى الذهاب الى بلاد المجر والاقامة فيها وبصحبتهم عدد من الاسماعيلية المسلمين كما جاء فى المصدر المجرى كذلك(٣٦) .

وفيما يتعلق باسم (بلار) الذى جاء فى المصدر المجرى فانه — كما يرى استفن — كان يطلق على بلغار الفولجا فى العصـور الوسطى ، أما الاسم المجرى الذى أطلق على بلغار الدانوب فهـو (Nándor) (٣٧) .

ويذكر استفن Istvan أيضا فيما يتعلق بالأماكن التى استقر فيها المسلمون من بلغار الفولجا فى بلاد المجر فى القرن ٤ هـ / ١٠ م . ان هذه الأماكن ظلت محتفظة بأسمائهم مثال ذلك : Bolyar , Bercel وغيرها . كما أن عددا من الأماكن فى بلاد المجر والتى اشتملت على كلمة

---

(٣٤) Istvan Fodor, Archaeological traces, p. 315.

(٣٥) انظـــر :
Istvan Fodor, Archaeological traces,, p. 315.

(٣٦) انظر ما سبق ص ٤٥ .

(٣٧) Istvan Fodor Archaeological., p. 316.

Boszormeny (ومعناها المسلمون) تشير فى الغالب الى بلغار الفولجا المسلمين الذين استقروا فيها[٣٨] ٠

وأخيرا أثبت استفن Istvan بالأدلة الأثرية أن المسلمين فى بلاد المجر كانوا من بلغار الفولجا فيذكر أنه عثر فى يناير من عام ١٩٧٨ م فى مخزن متحف Versec [٣٩] على عدد من الآنية عبارة عن مجموعة من القدور والغلايات تختلف عن الآنية التى كان المجريون يستعملونها فى القرنين ١٠ ـــ ١٣ م ٠ وأكد استفن أن بلغار الفولجا هم الذين استعملوا هذا النوع من الآنية عندما استقر بعضهم على مقربة من Versec [٤٠] ٠

والحقيقة أن هناك أدلة أخرى تؤكد أن المسلمين الذين ذهبوا الى بلاد المجر كانوا من بلغار الفولجا وليسوا من بلغار الدانوب ومن بينهـــا :

أولا : أن الاسلام انتشر على نطاق واسع بين بلغار الفولجا فى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وبداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ٠ وليس أدل على ذلك من رحلة ابن فضلان الذى أرسله الخليفة العباسى المقتدر سفيرا لهم فى عام ٣٠٩ ﻫ / ٩٢١ م والتى يبدو من خلالها أن الاسلام قد رسخ هناك فى أواخر القرن التاسع فيذكر ابن فضلان أنه بعد أن قرأ عليهم رسالة الخليفة المقتدر « كبروا تكبيرة ارتجت لها الأرض »[٤١] ٠ وهذا يعنى أن الاسلام كان معروفا لديهم قبل أن يصل اليهم ابن فضلان ٠

ثانيا : أن المذهب الذى تفقهه فيه المسلمون المجريون هو المذهب

---

(٣٨) Ibid.

(٣٩) هى مقاطعة بانت Banat بيوغوسلافيا الحالية ٠

(٤٠) لمزيد من التفاصيل حول الأدلة الاثرية انظر :
Istvan Fodor, Archaeological traces, pp. 316 — 321.

(٤١) ابن فضلان : الرحلة ، ص ١١٤ ، ١١٧ ٠

الحنفى فيذكر ياقوت الحموى أن المسلمين المجريين الذين التقى بهم فى حلب « كانوا يتفقهون على مذهب أبى حنيفة »(٤٢) كما يذكر القزوينى : « وفيهم جمع من المسلمين على مذهب الامام أبى حنيفة »(٤٣) وكان المذهب الحنفى هو عين مذهب بلغار الفولجا .

ثالثا : الدور الذى لعبه بلغار الفولجا فى اسلام القبائل التركية المجاورة لهم ومنها الباشقرد أى المجريين(٤٤) .

رابعا : استخدمت المصادر العربية ومنها المسعودى كلمة برجان للدلالة على بلغار الدانوب(٤٥) فى حين استخدمت كلمة (بلار) التى وردت فى المصدر المجرى للدلالة على بلغار الفولجا فقد جاء فى رواية أبى حامد الأندلسى الغرناطى : « أن رجلا صالحا دخل بلغار فاستطاع معالجة ملكها وزوجته وكانا مريضين مأيوسين من الحياة ، ودخلا فى الاسلام وأسلم أهل تلك البلاد معهما ، كما ساعد فى حربهم ضد الخزر ... فكان ذلك الرجل (بلار) فعربوه وقالوا بلغار »(٤٦) . ويظهر من هذه الرواية أن كلمة (بلار) يقصد بها بلغار الفولجا وليس بلغار الدانوب كما ظن لفتسكى Lewicki .

على أية حال استقر المسلمون فى بلاد المجر فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وعاشوا فى قرية بست Pest وغيرها من

---

(٤٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

(٤٣) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، طبعة جوتين ١٨٤٨ م ، ص ٤١١ .

(٤٤)انظر حسين على الداقوقى : دولة البلغار المسلمين ، ص ٢١١ ، هامش ٤ .

(٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ليدن ١٨٦٧ م ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ . وانظر ايضا : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .

(٤٦) أبو حامد الاندلسى : تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ، نشره جابريل فيران ، باريس ١٩٢٥ م ، ص ٢٣٧ .

الأراضى التى منحهم اياها الأمير المجــرى تاكسونى Taksony على نحو ما جاء فى أقدم مصدر مجرى[٤٧] .

وظل المسلمون يتمتعون فى بلاد المجر بحريتهم الدينية الى أن تعرضوا فى القرن الحادى عشر الميلادى لعنت ملوك المجر وخاصة الملك لادسلاس الأول Ladislas I (١٠٧٧ — ١٠٩٥ م) الذى أصدر فى عام ١٠٩٢ م قرارا يحتم على جميع المسلمين فى بلاده أن يعتنقوا المسيحية ، وقد نص هذا القرار على أنه : « اذا عاد التجار المدعوون بالاسماعيلية Ysmailia مرة ثانية الى دينهم الأصلى بعد تعميدهم وختنوا أولادهم فانه يجب ابعادهم عن مقر سكنهم ونفيهم الى قرى أخرى . أما هؤلاء الذين يتوبون فانه يمكنهــم البقاء فى مكانهم »[٤٨] . وعلى الرغم من ذلك فقد ظل أغلبهم يخفى اسلامه .

وساءت أحوال المسلمين فى بلاد المجر فى عهــد كولومان الأول Kolomen I (١٠٩٥ — ١١١٦ م) وذلك لأن فى عهده بدأت الدعوة لأول حملة صليبية ، وكانت أوربا كلها تطفح بروح العداء للمسلمين ، ولذلك خشى كولومان من ازدياد نفوذ المسلمين فى بلاده فأصدر على أثر توليه العرش عدة قرارات صارمة حاول من خلالها أن يحد من حرية المسلمين فى بلاده ومن بين هذه القرارات ما يلى :

١ — أنه ليس من حق المســلمين فى بلاد المجر أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية فقد نص أحد قوانين كولومان على ما يلى : « إذا لاحظ شخص ما أن اسماعيليا يصوم طبقا لدينه ويأكل مثل

---

(٤٧) انظر ما سبق ص ٤٥ .

(٤٨) عبد الكريم جرمانوس : « الاسلام فى بلاد المجر » ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٢ (١٩٦٥ م) ص ٢٣٧ .

Lewicki, Wegry i muzulmanie wegierscy, p. 115 .

وانظر ايضا : شكيب ارسلان ، غزوات العرب ، ص ٢٠٨ هامش ١ .

معظمهم ويمتنع عن أكل الخنزير ويغتسل حسب طقوسهم أو يقوم بأى شىء ما طبقا لعاداتهم فانه يجب على ذلك الشخص أن يقبض عليه ثم يؤخذ نصيب من ثروته »(٤٩) .

٢ — على المسلمين أن يبنوا الكنائس من أموالهم ، وأن يزوجوا بناتهم من المسيحيين وقد نص قانون آخر من قوانين كولومان على : « أنه غير مسموح للاسماعيليين أن يزوجوا بناتهم من اسماعيليين وأنهم مجبرون على تزويجهم من نصارى »(٥٠) .

٣ — أمر بألا يزيد عدد الاسماعيلية (أى المسلمون) فى كل قرية من القرى التى يقيمون فيها بأطراف المجر الجنوبية على النصف من سكان القرية(٥١) . وكان عدد قرى المسلمين فى بلاد المجر كما ذكر ياقوت على لسان جماعة منهم التقى بهم فى حلب « أن لهم نحو ثلاثين قرية كل واحدة تكاد أن تكون بليدة ، وأن ملك الهنكر (أى المجر) لا يمكننا من أن نعمــل على شىء منها ســورا خوفا من أن نعصى عليه »(٥٢) . وهذا يعنى أنه حرم على المسلمين المجريين أن يبنوا أسوارا حول قراهم خوفا من تمردهم وعصيانهم على حكام المجر .

ومن الجدير بالذكر أن هذا القرار طبق على جميع قرى المسلمين فى بلاد المجر باستثناء قرية بست Pest وكانت من أهم قراهم(٥٣) .

وما لبثت أوضاع المسلمين المجريين أن تحسنت ونعموا بالحرية الدينية مرة أخرى وذلك فى عهد ملك المجر جيزا الثانى Geza II (١١٤١ — ١١٦٢ م) ومن أهم الروايات التى تعرض لأحوال المسلمين

---

(٤٩) عبد الكريم جرمانوس : الاسلام فى بلاد المجر ، ص ٢٣٧ .

(٥٠) عبد الكريم جرمانوس : المرجع السابق ، نفس الصفحة .
Lewicki, wegry, p. 115.

(٥١) شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ، هامش ١ .
ابراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص ١٠ .

(٥٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

المجريين فى عهده رواية الرحالة العربى أبى حامد الأندلسى الغرناطى الذى زار بلاد المجر فى عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م خلال فترة حكم جيزا الثانى ، بل وأقام هناك لمدة ثلاث سنوات (٥٤٥ — ٥٤٨ هـ / ١١٥٠ — ١١٥٣ م) • وكانت حياته بها — كما يذكر — سـعيدة رغدة رخية استمع فيها بأطيب العيش بل وتزوج هناك وأنجب رغم أن سنه تجاوزت السبعين ، ورغم أن له نساء أخريات فى سجستين على مقربة من بحر قزوين وفى ذلك يقول :

« واشتريت جارية أخرى رومية ••• وجاء منها ولـد ومات فأعتقتها وسميتها مريم ، ورغبت أن تجىء معى الى سجستين فخشيت عليها من أمهات الأولاد الترك الذين لى فى سجستين »(٥٤) • ولم يكن هذا هو حال أبى حامد فحسب بل شاركه ابنه الأكبر حامد وتزوج من « امرأتين من بنات المسلمين المحتشمين ورزق أولادا »(٥٥) •

وأتيحت الفرصة أيضا لأبى حامد أن يرشد المسـلمين فى بلاد المجر الى شرائع الاسلام وفى ذلك يقول : « وكنت أجتهد فى الاعادة والتكرار فى فرائض الصلاة وسائر العبادات ، واختصرت لهم الحج ، وعلم المواريث حتى صاروا يقسمون المواريث »(٥٦) • ويذكر فى موضع آخر : « وكانوا لا يعرفون الجمعة فعلمتهم صـلاة الجمعـة والخطبة »(٥٧) • وهذا يدل على أن أبا حامد احتل منزلة كبيرة ومكانة

---

(٥٣) Lewicki, Wegry, pp. 116.

(٥٤) ابو حامد الاندلسى : المعرب عن بعض عجائب المغرب ، نشر دوبلر ، نص بالعربية مع ترجمة وتعليق بالاسبانية :

Dubler, C. "Abu Hamid El Granadino Relacion de Viaje Por Tierras Eurasiaticas, Madrid 1953. p. 29 — 31.

(٥٥) ابو حامد الاندلسى : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٣٤ ، تحفـة الالباب ، ص ١٩٥ .

(٥٦) أبو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٢٨ .

(٥٧) أبو حامد : نفس المصدر ، ص ٢٩ •

رفيعة عند المسلمين فى بلاد المجر فكان أشبه بالرئيس الروحى لهم .

وتمتع أبو حامد الأندلسى بنفس هذه المكانة أيضا فى بلاط ملك المجر جيزا الثانى Geza II وليس أدل على ذلك من روايته عن الخمر والجوارى فقد ذكر أنه حرم على المسلمين شرب الخمر وأباح لهم الجوارى أربعة من الحرائر . وعندما اعترض ملك المجر على ذلك نجح أبو حامد فى اقناعه بأضرار الخمر على المسلمين ، وما يعود على المسلم من وراء زواجه بأربعة من الحرائر فاقتنع ملك المجر برأيه وقال : « اسمعوا لهذا الشيخ فانه عاقل ، فتزوجوا ما شئتم ولا تخالفوه »[٥٨] .

وقد تزايدت أعداد المسلمين فى بلاد المجر فى عهد جيزا الثانى (١١٤١ — ١١٦٢ م) فيذكر أبو حامد أن أعدادهم بالآلاف[٥٩] . كذلك تتضح كثرة أعداد المسلمين فى بلاد المجر من قول أبى حامد : « وعندهم اليوم أكثر من عشرة ألف مكان يخطب فيه يوم الجمعة ظاهرا وباطنا لأن ولايتهم عظيمة »[٦٠] . وقد يكون أبو حامد مبالغا فى ذلك أيما مبالغة الا أنه يظهر من خلال روايته تزايد عدد المسلمين فى بلاد المجر فى عهد جيزا الثانى .

وقسم أبو حامد المسلمين فى بلاد المجر الى مجموعتين فيذكر : « وفى انقورية[٦١] من أولاد المغاربة آلاف لا عدد لهم ، وفيها من

---

(٥٨) لمزيد من التفاصيل عن هذه الرواية انظر ابو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٥٩) ابو حامد : المعرب ، ص ٢٧ .

(٦٠) ابو حامد : نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٦١) انقورية : استخدم ابو حامد هذه الكلمة للدلالة على بلاد المجر وهى مأخوذة فى الغالب من الأصل اللاتينى للمجر وهو Onogoria ، انظر :

Lewicki, Les noms des Hongrois et de L'Hongrie, p. 46.

أولاد الخوارزميين آلاف ، لا عدد لهم أيضا ، وأولاد الخوارزميين يخدمون الملوك ، ويتظاهرون بالنصرانية ويكتمون الاسلام ، وأولاد المغـــاربة لا يخدمون النصـــارى الا فى الحـــروب ، وهم يعلنـــون الاســـلام »[٦٢] .

يتضح من هذا أن المجموعة الاولى للمسلمين فى بلاد المجر هى : أولاد الخوارزمية .

أما المجموعة الثانية فهى أولاد المغاربة .

وبالنسبة لوجود أولاد الخوارزمية فى بلاد المجر تجدر الاشارة الى أن شعب خوارزم قد ارتبط ارتباطا وثيقا أولا بالخزر[٦٣] بل وأقام على أرضهم فيذكر المسعودى — فى كتابه مروج الذهب ، وفى معرض حديثه عن « اتل » عاصمة الخزر على نهر الفولجا : « والغالب فى هذا البلد المسلمون لأنهم جند الملك ... وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم ، وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء ، فانتقلوا الى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعـــول ملك الخزر فى حروبه »[٦٤] .

ويتضح من رواية المسعودى الاسباب التى دعت الخوارزمية الى المجىء الى بلاد الخزر والاقامة بها وكانت هذه الاقامة على شروط ذكرها المسعودى أيضا على النحو التالى :

١ — اظهار الدين والمساجد والآذان .

٢ — أن تكون وزارة الملك فيهم .

---

(٦٢) أبو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٢٧ .

(٦٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا الارتباط انظر : دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

(٦٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٧٩ .

٣ — انه متى كان ملك الخزر فى حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكر منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار(٦٥) .

ووجدت هذه الشروط قبولا من ملك الخزر وينبع ذلك من اعتماده على هؤلاء الخوارزمية فى حروبه لما اتصفوا به من بأس وشدة ، وقد بلغ عدد من جندهم ملك الخزر من هؤلاء الخوارزمية « سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ومنهم رامحة أيضا على حساب ما فى المسلمين من آلات السلاح »(٦٦) .

وعلى هذا النحو شكل الخوارزمية قسما هاما من جيش الخزر ، الى جانب نفوذهم السياسى وشغلهم لوظائف هامة فى دولة الخزر .

وما لبث الخوارزمية أن تمردوا على حكومة الخزر — كما يروى قسطنطين السابع(٦٧) فطردهم الخزر من بلادهم ، فاتجهوا نحو بلاد المجر بناء على دعوة وجهها اليهم الامير المجرى تاكسونى Taksony (٩٤٧ — ٩٧٢ م) للاستقرار فى مملكته . ووصل الخوارزمية الى بلاد المجر ، وانضموا الى المجريين وارتبطوا بهم ، وصاروا أصدقاء ، وقد علموا المجريين لغة الخزر التى كانوا يتكلمون بها ، كما انهم استخدموا لغة المجريين أيضا(٦٨) .

---

(٦٥) المسعودى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦٦) المسعودى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦٧) يطلق قسطنطين على الخوارزمية اسم الكاباروى Kabaroi وهو مأخوذ من Cowari وهذا الاسم الاخير ينطبق على شعب خوارزم الذى كان يقيم فى وسط آسيا . انظر قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، الترجمة العربية ، ص ١٤٢ ،

Jenkins and others Const. Porphyrogenitus. Vol II, Commentary, p. 149.

(٦٨) قسطنطين السابع : ادارة الامبراطورية ، ص ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر ايضا دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ص ٣٤٦ ، هامش ٥ .

ولا يذكر قسطنطين أسباب تمرد الخوارزمية على حكومة الخزر . ولعلهم استغلوا فى ذلك الضعف الذى بدأ يدب فى جسد دولة الخزر وخاصة فى القرن ٤ هـ / ١٠ م نتيجة لضغط الروس عليهم(٦٩) .

واتضح من رواية قسطنطين أن الخوارزمية والمجريين اتحدوا وارتبطوا ارتباطا وثيقا وأثر كلاهما فى الآخر لدرجة أن المجريين تعلموا لغة هؤلاء القادمين الجدد .

وما لبث الخوارزمية أن دخلوا فى خدمة ملوك المجر — كما جاء فى رواية أبى حامد — واعتنقوا المسيحية وان ظل بعضهم محتفظا باسلامه وبديانته الأولى ولكنهم لم يستطيعوا الجهر بها ومن ثم كانوا — كما ذكر أبو حامد — يتظاهرون بالنصرانية ويكتمون الاسلام . وعلى هذا فالاسلام كان لا يزال يعيش بين أولاد الخوارزمية وان كان فى دور الاحتضار .

أما بالنسبة لاولاد المغاربة فيرجع المؤرخ افن هربك Ivan Hrbek (٧٠) أصلهم الى قبائل البجناك(٧١) التركية التى كانت تقيم فى جنوب روسيا ويستدل على ذلك من رواية أبى حامد الاندلسى نفسها فقد ذكر أبو حامد أولاد المغاربة فى موضع آخر حيث قال : « ووصلت الى مدينة من الصقالبة يقال لها غوركومان (وهى كييف) فى جنوب روسيا — فيها من أبناء المغاربة الألوف ، على صورة

---

(٦٩) لمزيد من التفاصيل عن عوامل ضعف دولة الخزر انظر : دنلوب : تاريخ يهود الخزر ، ص ٣١٥ وما يليها .

(٧٠) Ivan Hrbek, "Ein Arabischer bericht uber Ungarn Abu Hamid Al-Andalusi Al Garnati 1080 — 1170" in Acta Orientalia Hungaricae, Budapest 1955, pp. 205 — 230.

(٧١) عن البجناك انظر حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٦ — ١٨٠ .

الأتراك يتكلمون بكلام الترك ، ويرمون بالنشاب مثل الترك ، ويعرفون فى تلك البلاد بجنه (أى البجناك) »[٧٢] .

وبناء على هذه الرواية يرى هربك Hrbek بما أن أبنـاء المغاربة فى جنوب روسيا من البجناك فمن المرجح أن يكون أولاد المغاربة فى بلاد المجر من نفس هذه القبيلة التركية ويستند فى رأيه هذا على عدد من الأدلة من بينها :

ان أبنـاء المغاربة فى بلاد المجـر كانوا يتمتعون — كما يذكر أبو حامد — بحرية كبيرة وبمزايا عديدة ، وهذا يتفق مع ما تمتع به البجناك فى بلاد المجر فهم وحدهم دون غيرهم كانت لهم ادارة خاصة بهم ولهم الحرية فى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم[٧٣] .

أن غالبية البجناك ظلوا حتى القرن ١٣ م لا يعتنقون المسيحية على عكس سـكان المجر الآخرين الذين كانوا يدينون بالمسيحية . ويرى هربك Hrbek أيضا أن هؤلاء البجناك جاءوا الى بلاد المجر عن طريق بلاد البلغار ، وأن جماعة منهم اعتنقت الاسلام فى بلاد البلغار ثم جاءت بصحبة الاسماعيلية المسلمين ومعهم بيلا Billa وباكس Baks الى بلاد المجر[٧٤] . ومن ثم فان هؤلاء البجناك كانوا يقيمون فى البلقان وليس فى جنوب روسيا . ويدلل على ذلك برواية البكرى التى يتحدث فيها عن دخول الاسلام الى البجناك على يد جماعة من الأسرى المسـلمين فى القسطنطينية وقد جاء فى رواية البكرى : « أن الاسلام دخل الى البجناك على يد أسير من أسرى المسلمين بالقسطنطينية . وهو فقيه وعالم عرض عليهم الاسلام بعد

---

(٧٢) ابو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٢٥ .

(٧٣) Hrbek, Ein Arabischer bericht uber Ungarn, p. 220.

(٧٤) Hrbek, op. cit., pp. 220 — 221.

سنة أربعمائة من الهجرة ، فأسلموا وصحت نياتهم وانتشرت دعوة الاسلام فيهم »[٧٥] .

واســتند هربك Hrbek أيضا على ما جاء فى ختام رواية أبى حامد الأندلسى عن بلاد المجر حيث ذكر أن ملك المجر أرسل معه — عند رحيله عن بلاده — رجلا يقال له اسماعيل بن حسن .. وهو من أولاد أمراء المسلمين الشجعان الذين يظهرون دينهم ومعه غلمانه وجماعة من أصحابه ليجمع له من ضعفاء فقراء المسلمين والأتراك الذين يحسنون رمى النشاب »[٧٦] ويذكر هربك Hrbek أن أبا حامد يصف المسلمين هنا بأنهم ضعفاء وفقراء وهذا الوصف ينطبق على البجناك وحدهم لأنهم كانوا يعانون من هجمات الكومان واضطروا الى أن يتجهوا الى المنطقة الروسية . وكان العرض الذى عرضه عليهم ملك المجر لابد وأن يجد منهم ترحيبا لأنه بمثابة انقاذ لهم من وضعهم بلا أمل بين الروس والكومان . كما يرى أن ملك المجر اختار اسماعيل ابن حسن بالذات ليقوم بهذه المهمة لأنه لابد وأن يكون عليما بلغاتهم وتقاليدهم أى أنه منهم أى من البجناك المسلمين المقيمين فى بلاد المجر[٧٧] . كما أن مهمة اسماعيل بن حســن — فى رأيه — لم تكن الأولى من نوعها أو الأخيرة مما ينهض دليــلا على قدوم البجناك المتواصل من الجند المحاربين الى بلاد المجر وهذا يفسر كثرة عدد المسلمين بها[٧٨] .

---

(٧٥) انظر نص البكرى عن اسلام البجناك فى :

Defremery, "Fragments de Geographes et d'Historiens arabes et Persans inédits" dens Journal Asiatiqne, T. XIII (1849), p. 461.

وانظر ايضا ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٤٥٣ .

(٧٦) أبو حامد الاندلسى ، المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٣٨ .

(٧٧) Hrbek, Ein Arabischer, p. 223.

(٧٨) Ibid.

وهكذا يستند هربك Hrbek الى الأدلة السابقة على أن أولاد المغاربة فى بلاد المجر هم البجناك المسلمين .

ويضاف الى الأدلة التى استند اليها هربك ضرورة الاشارة الى الروابط والصلات التى كانت تربط البجناك بالمجريين الأول ، والتى تظهر بجلاء من خلال رواية المؤرخ البيزنطى قسطنطين السابع والتى جاء فيها : أن ثلاث قبائل من قبائل البجناك تعرف باســم كانجار Kangar (٧٩) أعلنت الحرب على المجريين الأول مرتين(٨٠) وهزمتهم وأجبرتهم على ترك أراضيهم ، وحلت محلهم فيها . واستقرت قبيلتان من الثلاث فى غرب الدينيير والثالثة فى الشرق بجوار المجريين ، وعلى مقربة من نهر الدانوب(٨١) .

ويذهب المؤرخ الفرنسى هنرى جريجوار Henri Grégoire الى القول بأن هؤلاء الكانجار Kangar هم أمم الفانجار Vangar وهذا الاسم الاخير هو الاسم السلافى للمجريين وهو مشــتق من اسمهم الروسى وهو Vengry (٨٢) . ومن ثم يمكن القول بأنه ربما

---

(٧٩) تطلق هذه التسمية عليهم لانهم كانوا اكثر قبائل البجنــاك شجاعة ونبلا وهذا ما يدل عليه اسم كانجار Kangar . انظر : قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، الترجمة العربية ، ص ١٣٩ ، ١٤٢ .

(٨٠) دارت الحرب الاولى فى عام ٨٨٩ م وأسفرت عن طرد المجريين من اقليم الدون او ليبيديا اما الهجوم الثانى للبجناك على المجريين فكان حوالى عام ٨٩٥ — ٨٩٦ م واســفر عن طرد المجريين من اقليم الانهار الخمسة .

لمزيد من التفاصيل انظر : قسطنطين السابع ، الادارة ، ص ١٣٦ ، ١٤٢ — ١٤٣ .

(٨١)لمزيد من التفاصيل انظر :

قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٢ — ١٤٣ .

(٨٢) H. Gregoire, Le nom et L'Origine de Hongrois, p. 640.

حدث نوع من الاختلاط والامتزاج بين قبائل الكانجار وبين المجريين الأول ، وانتظمت قبائلهما تحت رئاسة قبيلة المجر التى سرى اسمها على المجموعة القبلية كلها من باب اطلاق الجزء على الكل • واستقر الجميع فى النهاية فى المنطقة الواقعة بين نهرى الدانوب وتيسا Tisa

ولكن لماذا لا يكون أولاد المغاربة فى بلاد المجـــر هم من بقايا الجماعات المغربية التى كانت تقوم بالغزوات على شـــواطىء أوربا الجنوبية وتستقر فى مراكز توالى غزواتها منها ، ومن هناك كانت تنتقل كوحدات متماسكة أو أفراد متفرقين الى داخل أوربا ، وتعمل لحسابها الخاص أو تدخل فى خدمة الدول القائمة[٨٣] •

ومما تجدر الاشارة اليه أن معاقل المسلمين وحصونهم قد انتشرت خلال القرن ٤ هـ / ١٠ م فى بروفانس وسافواى وسويسرا على مقربة من حدود المجر • وكانت سافواى بصفة خاصة تتوسط أملاك المسلمين فى بروفانس ومناطق نفوذ المجر فى الالزاس ، كما كانت تسمى موريين Mourienne وذهب البعض الى أن هذه اللفظة مشتقة من لفظـــة المور[٨٤] التى كانت تطلق على المســـلمين المغاربة الذين لعبوا دورا كبيرا فى تهديد سواحل أوربا الجنوبية[٨٥] •

وحدث من ناحية أخرى فى عام ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م أن نجح كونراد حاكم مقاطعة جورا Jura فى سويسرا فى أن يوقع بين المســـلمين

---

(٨٣) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٣٢٠ ، هامش ١ .

(٨٤) المور أو المغاربة جنسيا هم عنصر مولد أو مختلط من العرب والبربر والاسبان مع غلبة الدماء العربية على سائر الدماء الاخرى . انظر : ابراهيم على طرخان : المسلمون فى اوربا ، ص ١٢ — ١٣ .

(٨٥) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١٧٦ .

والمجريين الذين دأبوا على شن اغارات على بلاده رغبة منه فى التخلص منهما • ونتيجة لهذه الوقيعة اشتبك المسلمون والمجريون عند سافواى وانتهز كونراد هذه الفرصة وانقض عليهما معا فهلك عدد كبير من المسلمين ومن المجريين[٨٦] • ولعل هذا ما دعا الى ايجاد نوع من التقارب والألفة بين هؤلاء المسلمين من المغاربة وبين المجريين ، ترتب عليه ان اصطحب المجريون جماعات من المسلمين الى بلادهم ، وأصبح هؤلاء نواة لأولاد المغاربة الذين ذكرهم أبو حامد الأندلسى •

وهناك دليل آخر من القرن الحادى عشر يدل على وجود العناصر العربية فى بلاد المجر وهو حلة القداس التى منحتها الملكة جيريل زوجة القديس اسطفان[٨٧] فى عام ١٠٣١ م لكنيسة سانت مارى ، والتى ظلت محفوظة فى أوفن Ofen بمثابة معطف للتتويج ، وهى من حرير أرجوانى ، بيزنطية التصميم موشاة بخيوط ذهبية بيد جيريل نفسها ، وعليها رسوم لحيوانات غريبة ، ورسوم الهلال والنجوم ذات الرءوس السبعة • وكل ذلك يشهد بأصلها العربى[٨٨] •

هذا الى جانب ما ذكره أبو حامد الأندلسى فى روايته عن بلاد المجر إذ يقول : « ولما دخلت بين أولاد المغاربة أكرمونى ، وعلمتهم شيئا من العلم ، وأطلقت ألسنة بعضهم بالعربية »[٨٩] • ويتضح من هذه العبارة أن أولاد المغاربة كانوا على علم بالعربية والا لما نجح أبو حامد فى اطلاق ألسنتهم بها • هذا الى جانب أن أبا حامد نفسه

---

(٨٦) لمزيدمن التفاصيل انظر : محمد محمد مرسى الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين فى الاندلس ، اسكندرية ١٩٨١ م ، ص ٢٠٢ — ٢٠٤ ، ارسلان ، غزوات ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٨٧) حكم بلاد المجر فى الفترة من ٩٩٧ — ١٠٣٨ م •

(٨٨) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الادنى فى العصور الوسطى ، ترجمة احمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٠٠ ، هامش ٤ .

(٨٩) ابو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٢٨ •

كان من الغرب الاسلامى ومن أسبانيا وسافر فى شبابه الى بلاد المغرب أو شمال افريقية ومن ثم فان معنى كلمة المغاربة لابد وأن يكون معروفا لديه وواضحا فى ذهنه • ويضاف الى هذا وذاك أن أسماء أولاد المغاربة التى وردت فى رواية أبى حامد أسـماء عربية ومن أشهر هؤلاء المغاربة الذين يقيمون فى بلاد المجر (اسماعيل بن حسن) الذى أرسله ملك المجر مع أبى حامد ليجمع له الجنود من المسلمين(٩٠) •

وعلى هذا يمكن القول بأن أولاد المغاربة فى بلاد المجر يرجعون فى أصلهم الى المور أو المغاربة الحقيقيين •

بعض مظاهر نشاط المسلمين فى بلاد المجر :

زاول المسلمون فى بلاد المجر أعمالا مختلفة فقد تولى بعضهم وظائف فى الدولة حتى كان منهم من ولى حراسة قلعة بست Pest وكانت بست كما سبق أن ذكرنا من أهم القرى التى سكنها المسلمون ، بل وكان بها أكبر مستوطنة للتجار المسلمين(٩١) •

ومارس المسلمون فى بلاد المجر نشاطا تجاريا واسعا وساعد على ذلك أن المجريين أنفسهم من غير المسلمين لم يكن عندهم — على حد تعبير هايد — ذكاء تجارى أو أى ميل للتجارة ، أو أية فكرة للعمل وسطاء فى التجارة بين الشرق والغرب(٩٢) • ولهذا ألقيت هذه المهمة على عاتق المسلمين المجريين الذين كانوا مسـئولين فى البداية عن

---

(٩٠) ابو حامد : نفس المصدر ، ص ٣٨ ، وانظر ما سبق ص ٦٠ .

(٩١) Ságvari, Budapest the history of a Capital, Budapest 1986, p. 13.

وانظر ما سبق ص ٤٥ .

(٩٢) هايد : تاريخ التجارة ، الترجمة العربية ، ص ٩٩ .

التجارة بين البلدان السلافية مثل التشيك ويتضح ذلك من خلال رواية ابراهيم بن يعقوب ــ والتى أوردها البكرى ــ وجاء فيها أن ابراهيم ابن يعقوب شاهد فى براغ تجارا مسلمين قادمين من بلاد المجر[٩٣] . وكان هؤلاء المسلمون يتعاملون فى أسواق براغ بالنقود البيزنطية شأنهم فى ذلك شأن التجار اليهود[٩٤] .

وكان للمسلمين نشاط تجارى أيضا داخل بلاد المجر نفسها ويظهر ذلك من خلال تلك الوثيقة التى أصدرها الملك المجرى لادسلاس الأول Ladislas I (١٠٧٧ ــ ١٠٩٥ م) وبالتحديد فى عام ١٠٩٢ م ، ونعت فيها المسلمين المقيمين فى بلاد المجر باسم (Negociators) أى التجار[٩٥] . الى جانب أن هذه الوثيقة تثبت أنه كان فى المجر فى تلك الآونة مسلمون مقيمون بها اقامة دائمة ، ويتعيشــــون من تجارتهم[٩٦] .

كما أن أبا حامد الأندلسى مارس التجارة وباع واشترى خلال اقامته فى بلاد المجر والتى استغرقت ثلاث سنوات (٥٤٥ ــ ٥٤٨ هـ / ١١٥٠ ــ ١١٥٣ م) بل وكان يتعايش منها ، ويظهر ذلك بجلاء من خلال اهتمامه بالأحوال الاقتصادية فى البلاد ، واهتمامه بأسعار السلع والبضائع وأصناف المتاجر فيذكر فى روايته :

« وتلك البلاد (أى بلاد المجر) من أكثر البلاد رخاء ونعمة ، يكون الغنم عشرون بدينار ، والحملان والجداء ثلاثون بدينار ، والعسل

---

(٩٣) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ١٦١ .

(٩٤) انظر :

Saecule Hungariae (1000) (ed) Istvan Fodor, Budapest 1985.

(٩٥) Lewicki, Wegry, p. 115.

(٩٦) هايد : تاريخ التجارة ، ص ١٠٠ .

خمس مائة رطل بدينار ، والجارية الحسناء بعشرة دنانير ، وفى وقت الغزو تشترى الجارية الجيدة بثلاثة دنانير والغلام الرومى »[٩٧] .

ويذكر أيضا أنه اشترى جارية مولدة من سيدها بعشرة دنانير ، بنت خمس عشرة سنة ، أحسن من القمر ، سوداء الشعر والعين بيضاء كالكافور تعرف الطبخ والخياطة والرقم »[٩٨] . وفى موضع آخر يقول : « واشتريت يوما جبين مملوءة بالعسل شهدا بشمعه بنصف دينار »[٩٩] .

كذلك قام أبو حامد بعقد مقارنة بين المدن المجرية والمدن التجارية الاسلامية الهامة وعلى رأسها بغداد وأصفهان فذكر : « وهذا باشغورد[١٠٠] أمم عظيمة وهى ثمانية وسبعون مدينة كل مدينة كأصبهان وبغداد ، وفيها من النعمة والرخاء ما لا يعد ولا يحصى »[١٠١] .

كما كان من بين المسلمين فى بلاد المجر تجارا يسافرون الى بلاد بعيدة ، فى آسيا ومنهم من سافر الى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ومن هؤلاء داود بن على الذى قدم لأبى حامد الأندلسى معلومات عن مدينة قونية[١٠٢] ، بل ان أبا حامد أخذ معلوماته عن القسطنطينية أو (رومية العظمى) كما يسميها من واحد من تجار المسلمين الذين يعيشون فى بلاد المجر ويسافرون الى القسطنطينية بصفة مستمرة[١٠٣] .

---

(٩٧) أبو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٣٠ .

(٩٨) أبو حامد : نفس المصدر والصفحة .

(٩٩) أبو حامد : نفس المصدر والصفحة .

(١٠٠) عن باشغورد انظر ما سبق ص ٤٠ ، هامش ٦ . ويقصد بها هنا بلاد المجر .

(١٠١) أبو حامد : تحفة الالباب ، نشر فيران ، ص ١٩٥ .

(١٠٢) أبو حامد : تحفة الالباب ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(١٠٣) أبو حامد : تحفة الالباب ، ص ١٩٥ .

وكانت بضائع المسلمين تجد لها سوقا رائجة فى بلاد المجر خاصة منذ القرن الحادى عشر ، اذ ظهر فى بلاد المجر فى ذلك الوقت طبقة ارستقراطية على درجة عالية من الثراء مما جعلها تقبل على شراء بضائع المسلمين المجريين على اختلاف أنواعها[١٠٤] .

وارتبط نشاط المسلمين التجارى فى بلاد المجر بممارسة أعمال الصيرفة ففى الفترة ما بين ١٢٣٥ — ١٢٧٠ م كان الاسماعيلية أى المسلمين المجريين صيارفة يقرضون ملك المجر أموالا . بل وأقرضوا الحكومة المجرية عدة مبالغ فى مقابل أن يحتكروا سك (النقود) وبذا استطاع المسلمون المجريون تأسيس عدة دور لضرب المسكوكات . وقد ظلت هذه النقود تتداول بعد قرن من ضربها ويوجد منها عدد كبير فى « المتحف الوطنى » ببودابست (عاصمة المجر الحالية)[١٠٥] .

ولم يكن نشاط المسلمين فى بلاد المجر قاصرا على التجارة وحدها بل اشتغل الكثيرون منهم بالجندية ، وعملوا فى الجيش المجرى فقد جاء على لسان جماعة المسلمين المجريين الذين التقى بهم ياقوت فى حلب ما يلى : « ونخدم معهم فى الجندية ونغزو معهم كل طائفة لأنهم لا يقاتلون الا مخالفى الاسلام »[١٠٦] . وجاء على لسان أبى حامد الأندلسى : « وأولاد المغاربة لا يخدمون النصارى الا فى الحروب »[١٠٧] . وعلى هذا فقد شكل المسلمون فرقا وكتائب فى الجيش المجرى ، وكانوا يتسمون بنفس سمات غيرهم من المجندين المجريين

---

(١٠٤) Ervin Pamlenyi, Histoire de Hongrie, Tr. Par Laszlo Podor. Budapest. 1974 pp. 73 — 74.

(١٠٥) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٢٠٨ ، هامش ١ .
عبد الكريم جرمانوس : الاسلام فى المجر ، ص ٢٣٨ .

(١٠٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٠ .

(١٠٧) ابو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٢٧ .

فقد كانوا يحلقون لحاهم ويلبسون لبسة السلاح ، أما غير المجندين فلا يحلقون لحاهم »[١٠٨] .

لعبت كتائب المسلمين فى الجيش المجرى دورا هاما فى صد أعداء المجر التى كان يهددها خطـرين يتمثل أحدهما فى الأطماع الألمانية والآخر فى رغبة البيزنطيين فى استعادة الأقاليم التى انتزعها ملوك المجر منهم ، الى جانب تطلعهم الى بسط نفوذهم على بلاد المجر وذلك لضمان سيادة الامبراطورية البيزنطية على البلقان[١٠٩] .

فبالنسبة لدور المسلمين فى مساندة المجر ضد أطماع الامبراطورية الألمانية يلاحظ أن أبناء الخوارزمية ــ كما يسميهم أبو حامد الأندلسى أو الخاليس Chalis [١١٠] كما تسميهم المصادر الأجنبية ــ لعبوا دورا هاما فى الصراع بين المجريين والالمان فقد ورد اسمهم فى التاريخ الألمانى بأشكال مختلفة من بينها : Kotziler Kotzil, Cozlones, Kolzen. على أساس أنهم مجموعات تســاعد المجـر فى معظم حروبها ضد الامبراطورية الألمانية[١١١] .

---

(١٠٨) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ .

(١٠٩) Ervin Pamlenyi, Histoire de Hongrie, p. 70.

(١١٠) خاليس Chalis وهــو الاســم الذى اطلق على الخوارزمية فى بعض المصادر العربية والبيزنطية وهو مشتق من التسمية الروســية للخوارزمية وهى Chvalis . فيذكر الاصطخرى : « والنصف الشرقى من الخزر فيه معظم التجار والمسلمين والمتاجر والغربى خالص للملك وحده والخزر الخلص » . المسالك والممالك ، ص ١٣٠ .

Ivan Hrbek, Ein Arabischer, p. 214.

وانظر ما يلى ص ٧٠ وانظر ايضا : دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ ، هامش ١ .

(١١١) Ivan Hrbek, op. cit, p. 215.

ويظهر دور الخوارزمية كذلك بوضوح فى مساعدة المجر ضد الامبراطورية الالمانية من خلال وثيقة سياسية هى عبارة عن خطاب للملك الالمانى أوتو الثانى Otto II أرسله للبابا ، ويدور هذا الخطاب حول الحرب التى دارت بينه بين ملك المجر بيلا الرابع Bela IV (١٢٣٥ — ١٢٧٠ م) وانتصر فيها أوتو على بيلا ، وذكر فى هذا الخطاب أن من بين كتائب المجر كتائب مساعدة من الاسماعيلية المسلمين وهم من أولاد الخوارزمية(١١٢) .

وشارك المسلمون أيضا ملوك المجر فى حروبهم ضد الدولة البيزنطية فتذكر المصادر البيزنطية وعلى رأسها حنا كناموس Ioannos Cinnamus أن الخاليس Chalis (أى الخوارزمية) أتو بصحبة ملك المجر استيفن Stephan لقتال البيزنطيين وكان عددهم كبيرا فيذكر كناموس « أن استيفن بنى قلعة ليقطن فيها عدد كبير من المجريين كان قد جاء بهم من سرميوس Sirmius ويسميهم الشعب (أى الشعب المجرى) خاليس Chalis (١١٣) .

ويعرض أبو حامد الأندلسى فى روايته الصراع بين المجر وبيزنطه خلال فترة اقامته فى المجر ، ودوره هو فى هذا الصراع فيذكر أنه كان يحث المسلمين على الوقوف الى جوار ملك المجر جيزا الثانى (١١٤١ — ١١٦٢ م) فى حربه ضد البيزنطيين وليس أدل على ذلك من قوله : « قلت لأولئك المسلمين : اجتهدوا فى الجهاد مع هذا الملك فانه يكتب لكم فيه ثواب الجهاد »(١١٤) .

---

(١١٢) انظر نص هذا الخطاب فى :
Ivan Hrbek, op. cit., p. 217, note 28.

(١١٣) Ioannos Cinnamus, Historiarum L. V., in Corpus Scriptorum Hisaoriae Byzantinae. Bonnae 1836, p. 247.

(١١٤) أبو حامد ، المعرب ، ص ٣١ .

ووصف أبو حامد الحرب بين المجر وبيزنطه فقال : « وملك باشغرد (أى المجر) كل وقت يخرب بلاد الروم ••• وخرج معه المسلمون الى بلاد قسطنطينية ، فهزموا لملك الروم اثنى عشر عسكرا ، وجاءوا بجماعة من التركمان من عسكر قونية »[١١٥] ويبدو أن هؤلاء

كانوا من بين المرتزقة فى الجيش البيزنطى ووقعوا فى أسر مسلمى المجر • ويتابع أبو حامد روايته فيذكر : « وجاء صاحب القسطنطينية طالبا للصلح ، وبذل أموالا كثيرة وأسارى مسلمين كثيرة »[١١٦] • ويلاحظ على رواية أبى حامد أنها تظهر أن النصر دائما كان حليف ملك المجر والمجريين •

أما المصادر البيزنطية التى تعرض لهذه الحرب وعلى رأســها حنا كناموس فيذكر أن جيش الروم اجتاح تخوم بلاد المجر ، وتمكن من أسر أعداد كبيرة من رجالهم ، وعندئذ خرج جيش المجر للتصدى للروم (أى البيزنطيين) ولكنه استسلم للامبراطور لأنه كان أضعف من أن يواجه الروم ، وقد استولى الامبراطور منهم على كل شىء يريده ويهواه ، كما هدم الروم قصر ملك المجر[١١٧] •

ويذكر كناموس Cinnamus فى موضع آخر : علم امبراطور الروم بأن جيزا Geza ملك المجر جاء لمحاربته لاستيائه مما لحق به من هزائم سابقة ، فتقــدم بأقصى سرعة الى شــاطىء استروس Istros[١١٨] ، وظهر أمام جيش المجر المعسكر على الشــاطىء

---

(١١٥) ابو حامد : نفس المصدر والصفحة .

(١١٦) ابو حامد : نفس المصدر والصفحة .

(١١٧) Cinnamus, Historiarum, L. III, in C. S. H. B., p. 114.

(١١٨) نهر استروس Istros هو نهر الدانوب .

الآخر ، وتردد الطرفان فى اللقاء والاشتباك لفترة ، وذلك لتأخر وصول السفن البيزنطية ، غير أنه وصل عدد منها بعد أيام ، وعندئذ خاف ملك المجر من أن يصاب بهزيمة أخـرى فعاد من جديد يطلب الصلح ، وأرسل سفراء من أجل ذلك ، وكان من بين شروط الصلح : أن يحتفظ الامبراطور بعشرة آلاف من الأسرى وأن يسلم الباقى ، وأن يعيش ملك المجر طيلة حياته صديقا للروم ، وتم عقد هذا الصلح وتراجع الروم (أى البيزنطيين)(١١٩) .

ويلاحظ على رواية حنا كناموس أن النصر كان دائما فى جانب البيزنطيين ، وأن ملك المجر هو الذى كان يطلب عقد الصلح وهذا على عكس ما ورد فى رواية أبى حامد الأندلسى . ومن الطبيعى أن يصمت كناموس وغيره من المؤرخين البيزنطيين عن ذكر هزائمهم ولا يظهروا سوى الانتصارات . كذلك فان رواية أبى حامد لا تخلو من روح التعصب وذلك لأن الجيش المجرى كان يضم بين جنباته عدد كبير من المسلمين ، وكان أبو حامد يرى أن مصيره ومصير اخوانه فى العقيدة مرتبط بمصير ملك المجر ، كما كان يرى فى جيزا الثانى ملك المجر حامى للدين الاسلامى ، الى جانب أنه هو نفسه يحتل مكانة مرموقة فى قصر هذا الملك ، ويعتبر نفسه قائد لهؤلاء المسلمين الشجعان ، وكان يهمه أن يبرز شجاعتهم وأعمالهم ومن ثم كان لابد وأن يقف فى صف ملك المجر(١٢٠) .

ومن المحتمل أن تكون المجر قد حققت انتصارات فى البداية على البيزنطيين واعتبرها أبو حامد انتصارات نهائيـة ذكرها فى كتابه المعرب ، غير أن هناك نقطة اتصال بين رواية أبى حامد الأندلسى وبين

---

(١١٩) Cinnamus, Historiarum, L. III, pp 119 — 120.

(١٢٠) انظر ما سبق ص ٥٥ . وانظر ايضا :
Hrbek, Ein Arabischer, p. 225.

رواية حنا كناموس فيذكر الأخير أنه تم الاتفاق على اطلاق سراح عدد من الأسرى المجريين ، وأن الامبراطور البيزنطى وكان مانويل كومنين (١١٤٣ — ١١٨٠ م) هو الذى يعتلى عرش بيزنطة فى ذلك الوقت — وافق على اطلاق سراح هؤلاء الأسرى فهذا يعنى أن المجريين حققوا انتصارا بالفعل دفع مانويل الى قبول الصلح واطلاق سراح الأسرى(١٢١) .

على أية حال فقد لعب المسلمون فى بلاد المجر دورا هاما فى الوقوف الى جانب ملك المجر فى قتاله مع البيزنطيين . والحقيقة أن هناك دوافع قوية دفعتهم الى ذلك من بينها :

أولا : أن ملك المجر جيزا الثانى كان يمنح المسلمين الحرية فى ممارسة شعائرهم الدينية والحفاظ على دينهم والجهر به لقاء خدمتهم فى جيشه إذ يذكر أبو حامد أن ملك المجر كان يفاخر بقوله : « أن عنده عسكر من المسلمين قد تركهم يظهرون دينهم ، وهم الذين خرجوا الى بلاد الروم وخربوها »(١٢٢) ويتابع أبو حامد روايته فيذكر أن ملك الروم عندما علم بذلك قال : « وعندى مسلمون لا يقاتلون معى ، فقيل له : « أنت تقهرهم على النصرانية . قال : لا أقهر مسلما على دينى أبدا ، وأبنى لهم المساجد حتى يقاتلوا معى »(١٢٣) .

ثانيا : أن معظم قرى المسلمين فى بلاد المجر كانت تقع على الحدود المجرية البيزنطية فى سيرم Syrmie وفى منطقة نهر تيسا Tesa ونهر الدانوب وعلى رأس هذه القرى قرية بست نفسها . وهذا ما دفعهم لقتال البيزنطيين دفاعا عن قراهم ومناطق سكناهم(١٢٤) .

---

(١٢١) انظر : Hrbek, Ein Arabischer, p. 226.

(١٢٢) أبو حامد : المعرب ، نشر دوبلر ، ص ٣١ — ٣٢ .

(١٢٣) أبو حامد : نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(١٢٤) انظر : Lewicki, Wegry, p. 120.

وظل المسلمون يعيشون فى بلاد المجر فى عهد خلفاء جيزا الثانى الذى توفى فى عام ١١٦١ م فيذكر ياقوت أنه التقى فى عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م بطائفة منهم فى حلب وفى ذلك يقول : « وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشغردية شقر الشعور والوجوه جدا ... فسألت رجلا منهم عن بلادهم وحالهم فقال : أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة أمة من الافرنج يقال لهم الهنكر ونحن مسلمون رعية لملكهم »[١٢٥] .

يتضح من رواية ياقوت أن المسلمين فى بلاد المجر أخذوا اسم الباشقرد أما المسيحيون من أهلها فقد سموا بالهنكر (أى أهل هنغاريا) ولعل هذا ما دفع الجغرافى ابن سعيد (٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) الى أن يميز بينهما بقوله : « الباشقرد ترك جاوروا اللمانيين على عهد متوافق وهم مسلمون ... وفى شرقيها بلاد الهنقر وهم ترك اخوة الباشقرد تنصروا بمجاورة اللمانيين لهم »[١٢٦] .

وفى عام ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م تعرضت بلاد المجر للغزو المغولى[١٢٧] الذى كان له أسوء الأثر على الشعب المجرى بما فيه من مسلمين ومسيحيين على حد سواء . فقد ترتب على هذا الغزو أن تعرضت معظم قرى المسلمين فى بلاد المجر للتدمير والتخريب وعلى رأسها قرية بست نفسها أهم وأشهر قرى المسلمين[١٢٨] . فقد وجه المغول ثلاثة جيوش نحو بلاد المجر ، وفى ابريل من عام ١٢٤١ م تجمعت هذه الجيوش الثلاثة

---

(١٢٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

(١٢٦) ابن سعيد : بسط الارض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط ، تطوان ١٩٥٨ م ، ص ١٢٧ . وانظر ايضا : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ م ، ص ٢٠٠ .

(١٢٧) عن الغزو المغولى لبلاد المجر انظر :

Saecula Hungariae (1196 — 1301), Evin Pamlenyi, Histoire de Hongrie, pp. 80 — 82.

(١٢٨) Sagvari, Budapest, The History of a Capital, p. 13.

أمام بست ، التى حشد فيها بيلا الرابع Bela IV ملك المجـر جيشه . وكانت النتيجة أن سقطت بست فى أيدى المغول فأحرقوها وهرب بيلا الرابع . وأعمل المغول التدمير والتخريب فى باقى قـرى المسلمين ومنها قرية Bew على نهر تيسا وفى سائر بلاد المجر[١٢٩] . وفى هذا الصدد يذكر ابن سعيد : « أن أكثر عمائر الباشقرد (أى المسلمين المجريين) على نهـر دونا (الدانوب) وقاعدتهم (وهى) قرالت ... هى مما دخله التتر وخربوه وأهلكوا أهله »[١٣٠] .

على أن تخريب قرى المسلمين فى بلاد المجر على أيدى المغول لم يعن انتهاء الوجود الاسلامى هناك ، بل اسـتمر وظل المسلمون المجريون معروفين وان كانت أعدادهم بدأت تتناقص وتقل نتيجة للغزو المغولى والاندماج فى الشـعب المجرى . ويصف القزوينى أحوال المسلمين فى بلاد المجر فى الفترة اللاحقة لهذا الغزو بقوله : « وحكى فقيه من باشـغرت أن أهل باشـغرت أمة عظيمة ، والغـالب عليهم النصارى ، وفيهم جمع من المسلمين على مذهب الامام أبى حنيفة ، ويأدون الجزية الى النصـارى كما تؤدى النصـارى ههنـا الى المسـلمين »[١٣١] .

ويتضح من وصف القزوينى لأحوال المسلمين فى بلاد المجر بعد الغزو المغولى أن أعدادهم بدأت تقل بالفعل ، كذلك نفوذهم بدليل أنهم أصبحوا يؤدون الجزية للنصارى .

---

(١٢٩) السيد الباز العرينى : المغول ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٨٢ — ١٨٣ ،

Lewicki Wegry, p. 116.

(١٣٠) ابن سعيد : بسط الارض ، ص ١٢٧ .

(١٣١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتين ١٨٤٨ م ، ص ٤١١ .

وظل الاسلام قائما بين الباشقردية من أهل المجر حتى عهد العمرى (ت ٧٤٩ هـ) إذ يذكر : « وفى بلاد باشقرد قاضى مسلم معتبر »(١٣٢) . مما يظهر أنه كان للمسلمين فى بلاد المجر قضاء خاص بهم ، وأن بلاد المجر لا تزال فيها عائلات مسلمة .

وحدث فى عام ١٣٤٠ م أن أصدر شارل روبرت أمرا يرغم به جميع رعاياه الذين لم يكونوا مسيحيين بعد أن يعتنقوا الدين المسيحى أو يغادروا البلاد(١٣٣) . ومنذ ذلك الحين بدأت طائفة المسلمين فى بلاد المجر تنقرض لقلة عددها من ناحية ، واندماجها التدريجى فى المجريين من ناحية أخرى ، فضلا عما نزل بها من اضطهادات وعسف وارغام على الارتداد واعتناق المسيحية .

(١٣٢) العمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، السفر الثالث ، أصدره فؤاد سزكين ، مخطوط مصور ، المانيا ١٩٨٨ م ، ورقة ٩١ .

(١٣٣) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٢٣ .

قائمـة المصـــادر والمراجـع

أولا ــ المصادر العربية والمعربة :

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) :

ــ كتاب المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٢ م ٠

ــ كتاب صورة الأرض ، بيروت ١٩٧٩ م ٠

ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر ت بين عامى ٣١٠ و ٣٣٧ هـ / ٩٢٢ و ٩٤٨ م) :

ــ كتاب الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن ــ بريل ١٨٩١ م ٠

ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) :

ــ بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط خينيس ، تطوان ١٩٥٨ م

ابن فضلان (ابن العباس بن راشد بن حماد) :

ــ رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م حققها وعلق عليها وقدم لها سامى الدهان ، بيروت ١٩٨٧ م ٠

أبو حامد الأندلسى الغرناطى (محمد عبد الرحيم ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)

ــ كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ، نشره جابريل فيران ، باريس ١٩٢٥ م ٠

— المعرب عن بعض عجائب المغرب ، نشره دوبلو ، نص بالعربية مع ترجمـة وتعليق بالاسبانية ، مدريد ١٩٥٣ م •

أبو طالب الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) :

— نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ١٩٢٣ م

الادريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)

— نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، روما ١٩٧٠ م •

الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)

— كتاب مسالك الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد الله الحينى ، القاهرة ١٩٦١ م •

— جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك

البـكرى (أبو عبيد الله البكرى ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

تحقيق عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ م •

العمـــــرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)

— مسالك الابصار فى ممالك الأمصار ، مخطوط مصور ، السفر الثالث ، ألمانيا ١٩٨٨ م •

القـــزوينى (زكريا بن محمد ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

— كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتين ١٨٤٨ م •

قسطنطين السابع بورفيرجينيتوس :

ـ ادارة الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة محمود سعيد عمران ، بيروت ١٩٨٠ م .

الـكرديزى : زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، القاهرة ١٩٨٢ م .

المســعودى (أبو الحسن على بن الحسن ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) :

ـ مروج الذهب ، الجزء الأول ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميـد ، بيروت ١٩٨٧ م .

ـ التنبيه والاشراف ، ليدن ١٨٦٧ م .

ياقوت الحموى (ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :

ـ معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، ليبزج ١٨٦٦ م .

ثانيا ـ المراجع العربية والمعـربة :

ـ ابراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ م .

ـ أرنولـد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، القاهرة ١٩٧٠ م .

ـ حسين على الداقوقى : « دولة البلغار المسلمين فى حوض الفولجا » مقال بمجلة المؤرخ العربى العدد ٢١ لسنة ١٩٨٢ م ص ١٩١ ـ ٢٣٠

ـ حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، القاهرة ١٩٨٦ م .

— حسنين محمد ربيع : دراســات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٣ م •

— دنلــوب : تاريخ يهــود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٠ م •

— السيد الباز العرينى : المغــول ، بيروت ١٩٨٦ م •

— شكيب أرسلان : غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت بدون تاريخ •

— عبد الكريم جرمانوس « الاسلام فى بلاد المجر » مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٢ (١٩٦٥ م) ص ٢٣٣ — ٢٤١ •

— محمد محمد مرسى الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٨ م •

— هـــايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ترجمة أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥ م •

ثالثا ــ المصادر والمراجع الأجنبيــة :

— Cinnamus, Ioannos, Historiarum in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae Bonnae 1836.

— Defremery, "Fragments de Geographes et d'Histoirens Arabes et Persans inédits dans Journal Asiatiques T. 13 (1849), p. 464.

— Fodor Istvan. (ed) Saecula Hungariae (1000), (1196 — 1301) Budapest 1985.

— " Archaeological traces of the Volga Bulgar in Hungary of the Arpad Period" in Acta Orientalia Hungariae (1979).

— Hrbek, Ivan, "Ein Arabischer bericht uber Ungarn Abu Hamid Al-Andalusi Al Garnati 1080 — 1170" in Acta Orientalia Hungaricae (1955), pp. 205 — 230.

— Jenkins and Others, Const. Porphyrogenitus. Vol. II. Commentary, London 1962.

— Lewicki, "Wegry i Muzulmanie Wegierscy Swietle relacji Podroznika arabskiego Z XII W. Abu Hamid al-Andalusi' ego" In Rocznik Orientalistyezny T. 13 (1938) pp. 106 — 122.

— "Les noms des Hongrois et de L'Hongrie chez les mediévaux geographes arabes et Persans" dans Folia Orientalia Vol. 19 (1978), pp. 35 — 55.

— Minorsky (Trans. and Expl.) Hudud al-Alam, London 1937.

— Pamlenyi E. Histoire de Hongrie (Trans.) Par Lászlo Podor, Budapest 1974.

— Runciman, S. A History of the First Bulgarien Empire, London 1930.

— Sagvari, Budapest, The history of a Capital, Budapest 1986.

مكانة الرياضيين والفنانين أتباع ديونيسوس

فى المجتمـع الهللينستى والرومانى

د. عبد الحليم محمـد حسن
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

كان الرومان بوجه عام ينظرون الى الألعاب الرياضية بعين الاحتقار . فان يتجرد المرء من ملابسه ويتبارى عاريا أمام الناس كان فى يقينهم أمرا يحط من قدره ويحقر من شأنه . ولهـذا كانوا يزدرون مدارس المصارعة (البالايستراى) والجيمناسيا ، فهـذه لم تكن مؤسسات ايطالية ، وانما اغريقية ، كما لاحظ فتروفيوس بولليو[1] V. Pollio ، المهندس المعمارى الرومانى الشهير الذى عاش فى عصر أغسطس . وفى احدى رسائله الى بلينى الأصـغر (حوالى ٦١ ـــ ١١٣م) ، يسخر الامبراطور تراجان (٩٨ ـــ ١١٧ م) سخرية لاذعة من « هؤلاء الاغريق المساكين الذين يعشقون جميعهم الجيمناسيوم »[2] . ويذكر بلوتارخ (حوالى ٤٦ ـــ ١٢٠ م) أنه حتى فى أيامه كان الرومان لا يزالون يعتقدون أن السبب الرئيسى الذى أدى الى سقوط الاغريق فى أغلال العبودية وجعلهم متخنثين ، هو تلك الجيمناسيا والبالايستراى التى كانوا يتدربون فيها عـراة

---

(1) Vitruvius, **On Architecture**, V. XI. I : Nunc Mihi Videtur, tametsi non sint italicae consuetudinis palaestrarum aedificationes, traditac tamen, explicare et quemadmodum apud Graecos constituantur, monstrare.

[ما لم ينص على غير ذلك ، فان جميع الاشـارات الى نصوص التراث اليونانى والرومانى تعتمد على « طبعة لويب »

[**The Loeb Classical Library**

(2) Pliny, **The Letters,** X. 40.

الأجسام . فتدريبات الاغريق ، فى نظرهم ، أدت الى اهدار الوقت والى التكاسل والى انتشار الفسق فى المدن ، خاصة اللواطة ، فضلا عن تحطيم التوازن الجسدى عند الشباب بضغطها على حركات معينة . ولذلك كان الرومان فى الغالب يفضلون التدريبات العسكرية على الألعاب الرياضية(٣) .

وينسب ديودوروس ، الذى عاش فى القرن الأول ق. م ، الى المصريين نظرة لا تبتعد كثيرا فى اطارها العام عن نظرة الرومان الى الالعاب . فيزعم أنة « ليس مألوفا بينهم أن يتلقوا أى تعليم على الاطلاق سواء فى المصارعة أو الموسيقى ، لأنهم يعتقدون أنه من التدريبات اليومية فى المصارعة لن يكتسب شبانهم صحة ، وانما قوة وقتية فقط ، وفى الحقيقة خطرة تماما ، بينما يعتبرون أن الموسيقى ليست فقط عديمة الفائدة وانما ضارة كذلك ، لأنها تجعل أرواح المستمعين مخنثة »(٤) . وهذه النظرة ، كما يعرضها ديودوروس ، تبدو غريبة فى ضوء ما نعرفه عن الحضارة المصرية(٥) . ولعل ديودوروس يردد هنا احتقار الارستقراطية لموجة الاحتراف التى غزت الرياضة والموسيقى فى زمانه ، وان كان من المحتمل أيضا أنه يعبر عن مفهوم مصرى عن التوازن بين الجسد والعقل كان يختلف عن المفوهم الاغريقى(٦) .

أما بالنسبة للاغريق ، فقد كانت الرياضة والتدريبات البدنية نشاطات على جانب عظيم من الأهمية . فكانوا يشعرون بقوة أنهم

---

(٣) Plutacch, **Moralia**, 274 D (**The Roman Questions** 40).

(٤) Diodorus, I. 81. 7.

(٥) انظر احمد بدوى ، تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، **الجزء الاول : العصر الفرعونى** (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤) صفحات ٢٠٦ ، ٢١١ — ٢١٣ ، والاشكال ٥٩ — ٦٢ .

(٦) J. Lindsay, **Leisure and Pleasure in Roman Egypt** (London, 1965), pp. 87 — 88.

يتفوقون فى صحتهم وجمال أجسامهم من خلال التدريبات الرياضية ، وأن هذه الطاقة الجسدية متلازمة مع انجازاتهم الفكرية والفنيــة . وكل مدينة اغريقية ، بدون استثناء ، ومهما كان حجمها صغيرا ، كانت تحرص على أن تقيم لمواطنيها بصورة دورية وفى مواعيد مقررة ما يمكن أن يوصف بأنه مهرجان ألعاب محلية . وفضلا عن هــذا كانت هناك مهرجانات الالعاب البانهللينية الاربعة التى كان يؤمها كل الاغريق ، فى أوليمبيا ودلفى Delphi واسثموس Isthmos ونيميــا Nemea .

* * *

وكلمة « ألعاب » فى الحقيقة كلمة مضللة من وجهة النظــر الاغريقية ، على الأقل بالنسبة للعصور الباكرة . فالكلمــة التى استخدموها دائما فى الاشارة الى احتفالاتهم الرياضية هى « أجونيس Agones » ، وهى تعنى « مباريات » أو « مسابقات » . فالاغريق كانوا فى الأصل ينظمون الألعاب « للمتسابقين » أنفســهم وليس للجمهور ، فهى كانت نوعا من المنافسة النبيلة بين الرياضيين ، وليست وسيلة من وسائل تسلية جماهير المشاهدين . فالاغريق كانوا شعبا مولعا بالرياضة لذاتها ، ينظرون اليها نظرة الهواة ، وينظمون احتفالاتهم فيها للمتسابقين الهواة . ولأن المتسابقين كانوا من الهواة ، فان الجائزة الوحيدة للفائزين منهم ، حتى فى أكثر المهرجانات البانهللينية أهمية ، ونعنى به مهرجان الألعاب الاوليمبية ، كانت لا تزيد عن غصن النخيل أو تاج مجدول من أوراق شجر الزيتون ، وفى الالعاب البوثية (فى دلفى) ، كان الفائز يحصل على أكليل الغار ، أما فى الألعاب الاسثمية فقد كانت الجائزة تاجا مجدولا من أوراق الصنوبر . فجوائز الفائزين كانت رمزية تماما ، وكانت الألعاب تعتبر ألعــابا « مقدسة »[٧] .

---

(٧) ولهذا كانت هذه الالعاب تعرف باسم « الالعــاب التاجية المقدسة » Hieros Stephanités Agon .

غير أن المنافسة الشديدة بين المدن — الدول الاغريقية للفوز فى المهرجانات البانهللينية ، أدت الى انحـراف الممارسات الرياضيـة تدريجيا عن روحها الأصلية ، وابتعدت بها شيئا فشيئا عن الهـواية الى الاحتراف • وآية ذلك أن الرياضيين وان كانت جائزتهم الرسمية فى حالة الفوز رمزية تماما ، الا أنهم كانوا يتلقون مختلف أنـواع التكريم الأخرى التى كانت تكثر مع مرور الأيام وتزداد قيمتها المادية مع تزايد حجم الفوز المحقق • وحتى فى القرن السادس ق• م• كان هناك عنصر المبالغة فى تكريم الفائزين فى مباريات الألعاب الهللينية الجامعة • وأكثر مظاهر التكريم أهمية كانت تتمثل فى اقامة تمثال للفائز ومعه صياغة « نشيد النصر » • وصحيح أن تكلفة هـذين التكريمين كان يتحملها عادة الفائز نفسه ، وأحيانا كان يقوم بها نيابة عنه أصدقاؤه أو مدينته • وصحيح أيضا أن التمثال كان فى الحقيقة قربان شكر للآلهة • ولكن مجرد الحق فى اقامة مثل هذا التمثال فى أوليمبيا أو دلفى كان بلا ريب يضع الرياضى الفائز فى منزلة أعلى من الرجال الآخرين • وعند عودته الى موطنه كان يستقبل استقبالا شـعبيا ورسميا حافـلا • فكان يدخـل مدينتـه فى موكب نصر Eiselaunein كما لو كان قائدا عسكريا عائدا من حملة مظفرة • ومن هنا فان الألعاب التى كان يحصل الفائزون فيها على هذا التكريم كانت تعرف اصطلاحا بالألعاب « النصرية » أو الايسـيلاستيكية Eiselastikos [٨] • وفضـلا عن هـذا التكريم الأدبى ، كـان الفائز يحصل على مكافآت مادية ضخمة • ويروى لنا بلوتارخ عن المشرع الأثينى سولون (أوائل القرن الخامس ق• م•) أنه رصد جائزة قدرها مائة دراخمة لأى أثينى يفوز فى الالعاب الاسـثمية

(٨) قارن الحاشية السابقة . وفى العصر الرومانى كانت الصيغة الاكثر شيوعا لوصف هذه الالعاب هى : « الالعاب النصرية المقدسة » .
Hieros Eiselastikos Agon

انظر : Pliny, The Letters, X. 118, 119.

وخمسمائة دراخمة لمن يفوز فى الألعاب الاوليمبية[٩] • وفى أثينا أيضا ، وفى غيرها ، كان من حق الفائز الجلوس على مقعد أمامى فى جميع الاحتفالات العامة ، وفى بعض الأحيان كان يحصل على وجبات مجانية طول حياته فى دار البلدية (البروتانيون Prytaneion) ، وفى عصور متأخرة كان يعفى أيضا من الضرائب • وحتى فى اسبرطة ، التى كانت فى تلك الفترة تهتم أكثر بالتدريبات العسكرية وتنأى بنفسها فيما يبدو عن الحركة الرياضية الاغريقية — اذ كان الاسبرطيون يعتقدون أن المصارعة وألعاب القوة لا يمكن أن تنتج جنودا صالحين — كان الاسبرطى الذى يفوز فى الالعاب الاوليمبية يحصل على تشريف خاص ، وهو أن يكون رديفا للملك فى ساحة الحرب ، وفى عصور متأخرة زادت هذه التشريفات بذخا ، خاصة فى مدن الغرب الاغريقية الغنية • ومن أمثلة هذا البذخ نعلم أن اكساينيتوس Exaenetus من مدينة أجريجنتوم Agrigentum فى جنوب غربى صقلية ، عندما فاز فى سباق الجرى فى أوليمبيا فى عام ٤١٢ ق•م• ، أدخله مواطنوه الى مدينته دخول المنتصر على عربة تجرها أربعة خيول ويرافقه ثلاثمائة من نبلاء المواطنين كل منهم يركب عربة يجرها جوادان[١٠] • وفى القرن الخامس ق• م• أيضا ، الذى شهد احياء عبادة الموتى ، نجد بعض حالات عبادة رياضيين بوصفهم أبطالا ، ولعل أشهر مثال على ذلك ثياجينيس Theagenes ، الرياضى من ثاسوس Thasos ، الذى أقام مواطنوه معبدا لعبادته[١١] •

ولم تنج مظاهر تكريم الرياضيين من انتقادات • فقد حفظت لنا المصادر القديمة الاحتجاج الذى عبر عنه المفكر الاغريقى الشهير كسينوفانيس Xenophanes من كولوفون Colophon • ففى سن

---

(٩) Plutarch, **Solon** 23.

(١٠) M. I. Finley, **Ancient Sicily** (London, 1968), p. 34

(١١) E. N. Gardiner, **Olympia, its History and Remains** (Oxford, 1925), p. 67.

الخامسة والعشرين رحل كسينوفانيس عن مدينته ، ربما عندما غزا الفرس أيونيا فى منتصف القرن السادس ق٠م٠ ، وعاش بعد ذلك أكثر من خمسة وستين عاما قضاها متنقلا بين أرجاء العالم الاغريقى سواء فى شرقى البحر المتوسط أو فى غربيـــه • وفى غضـــون حياته الطويلة هذه ، شهد بنفسه مراحل نمو الحركة الرياضية والمتغيرات التى طرأت عليها ، كما رأى بوضوح الخطر الذى واكبها •

بعد أن عدد كسينوفانيس مظاهر التكريم التى أصبح المجتمع الاغريقى فى أيامه ينعم بها على الرياضى البارز ــ المقعد الأمامى (أو أولوية الجلوس فى الاحتفالات العامة) والوجبات المجانية والهبات النقدية ــ استطرد منتقدا هذه الأمور محاولا أن يبين للنـــاس أن الحكمة أفضل من قوة الرجال والخيول وأنها الأولى بالتكريم • ففى اعتقاده أنها عادة تنم عن الحمق والجهل والبعد عن الصواب أن تحظى القوة العضلية الغاشمة بتكريم يفوق ما تناله الحكمة الطيبة • فليس أمرا هاما فى الحقيقة ــ هكذا حاول أن يبين للاغريق ــ أن يكون بين المواطنين رجل بارع فى الملاكمة أو ماهر فى المباراة الخماسية (البنتاثلون Pentathlon) أو فى المصارعة ، أو سريع القدمين ، وهى الرياضيات التى تلقى أعظم تكريم فى كل مباريات القوة العضلية البشرية ، فليس لوجود مثل هذا الشخص تحظى المدينة بحكم أفضل ، ويا لها من سعادة هزيلة للمدينة أن يفوز واحد من بينها بالنصر فى المباريات التى تقام على منحدرات « بيزا » Pisa (حول أوليمبيا) • فمثل هذه الأمور لا تؤدى الى اثراء الحياة فى المدينة ولا ترفع من مســـتوى معيشة الناس(١٢) •

وقد ظل الكتاب بعد كسينوفانيس يرددون هذه المقولة كثيرا : « الحكمة أفضل من القوة العضلية » • وبعد عصره بنحو ستمائة سنة

---

(١٢) E. N. Gardiner, **Athletics of the Ancient World** (Oxford, 1930) pp. 99 — 100.

نجد ديون خريسوستوم Dio Chrysostomus (حوالى ٤٠ — ١١٢ م) يرددها — على لسان ديوجينيس Diogenes (حوالى ٤٠٠ — ٣٢٥ ق٠م) — منبها ومحذرا ٠ فليس فى صالح الدولة ، مثلما هو ليس فى صالح المدرسة ، أن تستأثر الرياضة بالمركز الأول ، وان كان بالتأكيد ليس من الصالح أيضا اهمال الجسد ٠ فتهذيب العقل والجسم سواء بسواء ، والاحتفاظ بالتوازن بين « الموسيقى » (بمعنى « العلوم الانسانية » أو « الآداب والفنون » بوجه عام) وألعاب القوة العضلية ، كان المثل الأعلى للتعليم الاغريقى ، ولكنه ، مثل كل المثل العليا ، كان من الصعب ادراكه[١٣] ٠

* * *

ومصدر الشر الحقيقى فى القرن السادس ق٠م٠ كان يكمن فى شدة المنافسة ٠ فقد كانت خطرا ليس على الحركة الرياضية وحدها ، وإنما على الرياضيين أنفسهم أيضا وربما بصفة خاصة ٠ ذلك أن كثرة المباريات والجوائز جعلت من الألعاب الرياضية أكثر فأكثر مصدرا للربح وجمع الثروات ٠ وكان الرياضى — اذا كان له أن يأمل فى الفوز — يضطر الى أن يخضع نفسه لفترة ممتدة من التدريب الشاق العنيف تحت اشراف مدرب متخصص ٠ وهكذا أصبح الرياضيون بالتدريج يكرسون كل وقتهم للتدريب والمباريات ، وأصبح الاشتراك فى المباريات فى الحقيقة مهنة وعملا ٠ وكانت المدن تساعد — دون تدبير بطبيعة الحال — على هذا التحول من الهواية الى الاحتراف ٠ اذ كانت تكلأ برعايتها الرياضيين الواعدين البارزين من شبابها ، على أمل أن يجلبوا لها المجد فى المستقبل من خلال انتصاراتهم فى مهرجانات الألعاب البانهللينية ، وفى نهاية الأمر لم يكن غريبا أن يكتسح الاحتراف ميدان المباريات العامة وأن تتراجع الهواية ، حتى أصبح معظم المتنافسين فى المباريات العامة من المحترفين ٠ ولعل مدن الغرب الاغريقية الغنية

---

(١٣) Gardnner, AAW, p. 100.

فى جنوب ايطاليا وصقلية أسهمت بنصيب وافر فى هذا التحول . فيقال أن كروتون Croton ، وهى مدينة اشتهرت بمصارعيها ورياضييها[١٤] ، حاولت أن تنشىء مهرجان ألعاب يفوق مهرجان الألعاب الأوليمبية وينتزع منه مركز الصدارة فى عالم المهرجانات الرياضية ، وذلك عن طريق جذب المتبارين بعظمة جوائزها النفيسة . وفى رواية أخرى أن منافستها الغنية المترفة سيباريس Sybaris قامت بنفس المحاولة[١٥] . وهناك قصة طريفة يرويها الكتاب القدماء عن عداء شهير من « كروتون » يدعى أستيلوس Astylus ، تكشف عن ظاهرة أخذت تتفشى تدريجيا ، وتتمثل فى تقديم اغراءات مادية الى بعض الرياضيين البارزين حتى يعلنوا قبل بدء المباراة — زورا وبهتانا — أنهم من أبناء دولة معينة غير موطنهم الحقيقى ، تماما مثلما نسمع فى زماننا هذا عن المغريات المادية التى تقدم الى لاعب الكرة المحترف لكى يغير ناديه ويستبدل به ناديا آخر ، والفارق الجوهرى الوحيد بين الاثنين هو أن الرياضيين المحترفين القدماء كانوا يستبدلون بأوطانهم أوطانا أخرى جريا وراء المكاسب المادية . وكان « أستيلوس » هذا قد فاز فى سباق الاستاد Stade والدياولوس Diaulos (أو السباق المزدوج) فى دورتين أوليمبيتين متتاليتين ، فى عام ٤٨٨ وعام ٤٨٤ ق.م. غير أنه فى مهرجان الألعاب الأوليمبية التالى (٤٨٠ ق.م.) سمح بأن يعلن اسمه على الجمهور بصفته مواطنا من سيراكوزه Syracuse ، وذلك ، على حد تعبير الرحالة والجغرافى الاغريقى بوسانياس (القرن الثانى الميلادى) ،

---

(١٤) من بين أشهر هؤلاء « ميلون » Milon الذى عاش فى كروتون فى أواخر القرن السادس ق. م. وهو يجسد لنا نوعية الرياضيين المحترفين الذين بدأوا يتسيدون ميدان ألعاب المنازلات بوجه خاص . فقد فاز بتاج المصارعة ست مرات فى الألعاب الاوليمبية ، ومثل هذا العدد فى الالعاب البوثية . ويروى عنه أنه فى احدى المناسبات حمل بقرة الى المضمار حيث قتلها بلكمة واحدة والتهمها كلها فى يوم واحد . ولكن عندما حاول أن يفلق شجرة نصفين ، انحشر فى الفلق ولم يستطع الفكاك ، فأكلته الذئاب حيا ! انظر : The Oxford Classical Dictionary, v. Milon.

(١٥) Gardiner, AAW, p. 100.

« لكى يرضى هيرون Hieron » ، طاغية سيراكوزه • وعندما علم مواطنوه فى كروتون بفعلته ، تملكهم الغضب لما اعتبروه ضربا من الخيانة وتدنيس المقدسات ، وعبروا عن سخطهم بأن حطموا التمثال الذى كانوا قد أقاموه من قبـــل تكريما له وأحالوا منزله الى سجن عـــام[١٦] •

وهكذا فانه منذ وقت مبكر من القرن الخامس ق•م• ظهر فى الأوساط الرياضية « صيادو الجوائز » الذين كانوا يقضون معظم وقتهم فى التنقل من مدينة الى أخرى يجمعون الجوائز • ويقال أن ثياجينيس ، الرياضى الشهير من ثاسوس ، على سبيل المثال ، كسب من المباريات العامة نحو ألف وأربعمائة (١٤٠٠) جائزة • وبديهى أن شخصا مثل هذا لم تكن الألعاب بالنسبة له مجرد هواية لتجـــديد النشاط والترويح الرياضى ، وانما صارت مهنة تستغرق جل وقته فلا تترك له الا أقل القليل لأداء واجبات أخرى[١٧] • وفى نفس الوقت فان نفس العوامل التى شجعت « صيادى الجوائز » ، هى ذاتها التى ثبطت من عزيمة الرجل العادى وأخمدت حماسه الرياضى • ذلك أن عدم رغبته فى تكريس كل وقته لممارسة الرياضة ، فضلا عن احساسه بعبث المنافسة أمام المحترفين ، أخذ بالتدريج يفقد الاهتمام الشخصى بالألعاب الرياضية أو الرغبة فى ممارستها وقنع بدور المتفرج • وانصرف حماس الجماهير الى مناصرة الأبطال المحترفين المختلفين ، وعلى وجه الخصوص المحليين منهم ، والى العروض التى أصـــبح هؤلاء المحترفون يقدمونها فى مهرجانات الألعاب • فالاثارة العاطفية والهياج الانفعالى حلا محل المشاركة المباشرة[١٨] •

---

(١٦) **Pausanias, Description of Greece,** VI. 13. II
Gardiner, **AAW**, p. 100.

(١٧) Gardiner, **AAW** p. 101.

(١٨) Lindsay, **LPRE**, p. 106.

فى هذه الظروف زادت حدة المنافسة واشتدت بسرعة واطراد ، وأصبح على بطل المستقبل أن يكرس نفسه تماما للتدريب منذ صباه • وسرعان ما تبين له أنه من الضرورى أن يتخصص ، وأن يركز على أداء معين ، على لعبة رياضية محددة ، وأن كل لعبة تتطلب نموا مختلفا وتدريبا خاصا • وهكذا — مع تفشى ظاهرة الاحتراف — بدأ يظهر فن جديد فى التدريب ، فقد كان المدربون القدامى من قبل فى معظمهم ملاكمين ومصارعين ، ينقلون الى تلاميذهم خبراتهم ويعلمونهم المهارات التى اكتسبوها ، وفيما عدا ذلك كانوا يشجعونهم على أن يعيشوا حياة صحية طبيعية ، كان من شأنها أن تساعد على نمو شامل ومتوازن لجسم الرياضى • أما المدربون الجدد فكانوا يهدفون الى احداث حالة نمو خاصة ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض كانوا يسيطرون على كل حياة تلاميذهم ، وبوجه خاص على غذائهم • فقد كان غذاء الرياضيين من قبل ، مثل غذاء أهل الريف الاغريق ، نباتيا فى أغلبه ، فيتكون من التين والجبن الطازج والثريد وكعك الطحين ، وفى المناسبات قليل من اللحم بوصفه طعام شهى المذاق ، وبعض النبيذ المخلوط بالماء • ولكن بعد الحروب الفارسية — الاغريقية بوقت قصير حدث تغيير فى نظام غذاء الرياضيين • فقد استحدث أحد المدربين من الرياضيين السابقين — لعله دروميوس Dromeus من مدينة ستومفالوس Stymphalus — الذى سبق له أن فاز مرتين فى سباق المسافات الطويلة فى أوليمبيا ، فى عامى ٤٦٠ و ٤٥٦ ق•م• — نظام غذاء يعتمد بشكل رئيسى على اللحوم • وكان القصد من غذاء اللحم هو تكوين ضخامة جسدية وقوة عضلية كان يعتقد أنهما ضروريتان سواء للملاكم أو للمصارع • ففى بلاد الاغريق لم يكن تصنيف الرياضيين تبعا لأوزانهم معروفا ، وفى الملاكمة والمصاركة كان ثقل الوزن يوفر بلا شك ميزة طبيعية • ولذلك ، وحتى يبنى ضخامة جسمانية ، كان المدرب يصف لتلميذه كميات هائلة من اللحم كان عليه أن يلتهمها ثم كان عليه أن يقابلها من ناحية أخرى بالقيام بتدريبات مفرطة لساعات طويلة وتمرينات تتجاوز حدود المألوف ، فالأكل والنوم والقيام بالتمارين أصبح يستغرق كل وقت

الرياضى ، بحيث لم يعد لديه عمليا الا أقل القليل من وقت الفراغ للقيام بأى مسعى آخر[١٩] .

وهكذا برزت تفرقة اصطناعية بين حياة الرياضى وحياة المواطن العادى . ومع زمن الحروب البيلوبونيزية كانت كلمة « الرياضى » ، أو الأثليتيس Athletes ، قد صارت تعنى « محترف » ، أما ألعاب القوى فقد انصرف عن ممارستها جموع الشباب وأصبحت من مخلفات الماضى ، حتى أن أريستوفانيس (حوالى ٤٥٠ — ٣٨٥ ق٠م٠) يقارن فى أسى وحزن بين شبان أيامه من ذوى الصـــدور الضيقة والوجوه الشاحبة وبين الرجال الذين قاتلوا فى موقعة ماراثون (٤٩٠ ق٠م٠) . فقد انصرف عامة الشبان عن مدارس المصارعة والجيمناسيا الى السوق والحمامات . أما شبان أثينا الأثرياء المتأنقون فقد وجدوا « رياضتهم » فى قتال الطيور (السمان) وسباق الخيول . فقد باتوا يفضلون الفرجة على أعمال الآخرين أكثر من أن يكونوا هم أنفســـهم الفاعلين لهذه الأعمال . وبالتدريج أصبح المتنافسون فى أوليمبيا يستقدمون أكثر فأكثر من بين رجال الريف الأشداء فى تساليا Thessaly وأركاديا Arcadia ، الذين وجدوا ان بوسعهم أن يجنوا رزقا وفيرا من احتراف ألعاب القوة . فعلى الرغم من أن طبيعة المباريات أخذت تتغير ، الا أن شعبية الاحتفالات ، بوصف كونها مناسبات للفرجة والترويح والتسلية بمشاهد العروض المختلفـــة ، وكـــذلك جـــوائز المتسابقين ، لم تقل ، وانما زادت باطراد . ويقول أريستوفانيس أنه « لا يوجد مصدر أكثر ربحا لبلوتوس Plutus (إله الثروة والمال فى الأســـــاطير الاغريقية) من اقامـــة مباريات فى الموســـــيقى والمنازلات »[٢٠] .

---

(١٩) Gardiner, **AAW**, pp. 101 — 102.
قارن الحاشية رقم ١٤ اعلاه .

(٢٠) Aristophanes, **The Plutus**, 1162 — 3 : Plouto gar esti touto symphorotaton, poiein agonas mousikous kai gymnikous.

كان هناك مبرر كاف للانصراف العام عن ممارسة ألعاب القوة ، وهو أسلوب التدريب الجـديد المعيب وغير المتوازن والذى لم يكن يستند الى أسس علمية قويمة • فالأسلوب الجديد فى التدريب ربما نجح فى انتاج قوة عضلية ، ولكن ذلك كان بلاشك على حساب الحيوية والنشاط الطبيعى للجسم ، وعلى حساب الصحة والجمال • وفى حالة الصغار فانه كان يعطل نموهم الطبيعى • وقد لاحظ أرسطو أنه نادرا ما يتمكن الصبية الفائزون فى الألعاب الأوليمبية من أن يتفوقوا أيضا عندما يصيروا رجالا ، ذلك أن تدريباتهم الجسمانية العنيفة وهم صبية تؤدى الى اهدار قوتهم[٢١] • فالجسـم لم يعد ينمو نموا شـاملا متساويا ، لأن التركيز على تدريبات معينة كان من شأنه أن يحدث خللا فى النمو • وقد لفتت هذه الظاهرة نظر سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق•م•) ، « فالعداء نمت ساقاه أكثر مما ينبغى ، أما الملاكم فقد نما الجزء العلوى من جسده أكثر من الجزء السفلى »[٢٢] •

وفى الحقيقة أن ألعاب القوة قلما كانت تستخدم فى تدريب الجند للحرب ، بل أدانها قـواد عسـكريون كبار ، مثـل إبامينونداس Epaminondas ، القائد الطيبى (توفى عام ٣٦٢ ق•م•) ، الذى كان له الفضل الأول فى هزيمة الجيش الاسبرطى فى موقعة ليوكترا Leuctra (٣٧١ ق•م•) الشهيرة ، وكذلك الاسكندر الأكبر ، وأيضا القائد العسكرى والسياسى القدير فيلوبويمن Philopoemen من ميجالوبوليس Megalopolis (٢٥٣ — ١٨٢ ق•م•) ، أبرز من تولى زعامة عصبة آخايا ، فجميعهم اعتبروها غـير صالحة على الاطـلاق للتـدريب

(٢١) Aristotle, **The Politics,** VIII. 4 :" It is rare for the same men to be successful in the Olympic games both ás boys and as men; their severe gymnastic training as boys has caused them to lose their strength" (Translation by T. A. Sinclair, Penguin Books, 1962).

(٢٢) Gardiner, **AAW**, p. 102.

العسكرى[٢٣] . بل أن أفلاطون ، وهو معروف بحماسه الشـديد للتدريب البدنى ، لم يجد مكانا فى دولته المثالية لألعاب القوة الشائعة فى عصره . وفى مؤلفه عن « القوانين » يقترح نظاما جديدا لألعاب القوى مبنيا على متطلبات الحرب . فنمط الحياة الاصطناعى الذى كان يخضع له الرياضى بصرامة كان من شأنه أن يجعله غير صالح بالمرة لتحمل تقلبات الحرب ودوراتها . ذلك أن طبيعته ، كما اعتقد أفلاطون ، تصير ناعسة ، وأقل تغيير فى نمط حياته الرتيب يمكن أن يسبب له مرضا خطيرا[٢٤] . فأفلاطون كان يؤمن بأن ألعاب القوة لا تمنح الجسم صحة ، وانما تجعله عرضة للمرض ، وفى نفس الوقت تفرز مدمنين جفاة قساة وحشيين وغير صالحين لأداء الواجبات الاجتماعية والسياسية[٢٥] . أما أرسطو فكان يعتقد أنها تدريب لجانب واحد ضار بالصحة من شأنه أن يضـعف قـدرة الانسـان على انجاب الأطفال[٢٦] . وحكم أفلاطون على الرياضى المحترف يجد تأكيدا عند « أبى الطب » هيبوكراتيس Hippocrates (أبقراط) الذى أوضح أن درجة التمرين الحادة التى تحدثها ألعاب القوة هى حالة جسدية غير متوازنة وخطرة[٢٧] .

فى شذرة متبقية من مسرحيته المفقودة « أوتوليكوس » Autolycus يجمل لنا يوريبيديس Euripides (٤٨٥ — ٤٠٦ ق.م.) كل القضية ضد الرياضيين المحترفين :

---

(٢٣) Gardiner, **AAW**, p. 102.

(٢٤) Idem.

(٢٥) Lindsay, **LPRE**, p. 107.

(٢٦) Aristotle, **The Politics**, VII. 16 : "Athletic fitness does not provide the best condition either for a citizen or for health in the production of offspring". (Trans. by Sinclair, Op. cit.).

(٢٧) Gardiner, **AAW**, pp. 102 — 103.

« من بين كل الشرور التى لا تعد ولا تحصى فى جميع هلاس . لا يوجد أحط من جنس الرياضيين .... عبيد لبطونهم وأشداقهم فهم لا يعرفون كيف العيش بخير وعافية .... فى شبابهم يتبخترون فى زهو وجلال ، معبودى المدينة ، ولكن عندما تدركهم الشيخوخة بمرارتها ينبذون جانبا مثل عباءات بالية مهترئة . اللوم ألقيه على عادة الهللينيين الذين يجتمعون لمشاهدة هؤلاء الرجال ، ممجدين لهوا باطلا عديم النفع » .

ثم يستطرد مرددا أصداء كلمات كسينوفانيس :

« من ذا الذى أعان وطنه فى يوم ما بفوزه بتاج المصارعة ، أو الجرى ، أو رمى القرص ، أو بتسديد لكمة جيدة الى الفك ؟ هل سوف يقاتلون الأعداء بالأقراص فى أيديهم ، أم سوف يدفعون أقدامهم فتنفذ فى دروع الاعداء مطاردة اياهم من أراضيهم ؟ يجب أن تعطى التيجان للفاضل الحكيم ، الذى يرشد مدينته الى الأفضل ، المعتدل العادل ، أو الذى بكلماته يبعد أفعالا شريرة فيمنع الحرب والفتنة »(٢٨) .

وكما نلاحظ قبل الانتقادات الموجهة الى الألعاب الرياضية كانت كلها تقريبا موجهة ضد فروع الرياضة العنيفة ، حيث كان المحترفون يسودون الميدان ، وتركز هجومها بصفة خاصة على الملاكمين والمصارعين . كما أن أغلب هذه الانتقادات جاء من أوساط الفلاسفة والأدباء ، ولهذا ينبغى التعامل معها بشىء من الحرص والحذر ، فهى لا تعكس بالضرورة الرأى الشعبى السائد ولا توجهات السلطات الرسمية .

فالفلاسفة والأطباء كان يمكنهم أن يتمسكوا بآرائهم المعادية للألعاب الرياضية العنيفة وأن ينتقدوها كيفما شاءوا ، ولكن لم يكن

---

(٢٨) Ibid., p. 103.

لآرائهم أو انتقاداتهم أدنى تأثير على ولع الجمــاهير بها ، أو على الاحترام والتقدير الرفيع الذى كانت السلطات تغدقه على الفائزين فى مهرجانات الألعاب الكبرى الهامة .

* * *

هناك حادثة معبرة تروى عن الاسكندر الأكبر وتدل على المكانة الاجتماعية المرتبطة بالفوز الرياضى . فالفاتح المقدونى كان معروفا بازدرائه الشخصى للألعاب الرياضية ، ولكن بعد موقعة اسوس Issos (٣٣٣ ق.م.) عندما أرسل قائده بارمينيون للاستيلاء على دمشق ، وقع فى قبضته مجموعة من الســـفراء الاغريق كانوا فى زيارة الملك الفارسى قبل الموقعة ، وتبين أن بينهم رياضى اغريقى بارز من طيبة يدعى ديونيسودوروس Dionysodoros ، وعندما علم الاسكندر أنه كان بطلا أوليمبيا ، أمر باطلاق سراحه على الفور(٣٩) . فقد كان الاسكندر يدرك تماما المنزلة الرفيعة والشعبية الكبيرة اللتين يتمتع بهما أمثال ديونيسودوروس ، وأن لفتته الكريمة تجاهه لن تضيع هباء ، وانما سوف يحدث وقعها على الناس الأثر المطلوب .

كان التعليم عند الاغريق يعنى التدريب البدنى والعقلى معا ، وكان يرتكز على الجيمناسيوم . وفى العصر الهللينستى أصـــبح الجيمناسيوم عنصرا جوهريا لا غنى عنه فى حياة الأغريق والمتأغرقين سواء بسواء ، بل أصبح السمة المميزة للثقافة الهللينية ، أو بالأحرى فى هذه الحالة ، الهللينستية . فحيثما انتشر الاغريق انتشرت معهم وفى ركابهم ظاهرة بناء الجيمناسيا . فأينما تجمع عدد كاف منهم ، كانوا ينشئون جيمناسيوم يتخذونه مركزا لحياتهم الجماعية . وهكذا فان المستوطنين الاغريق فى مصر ، بالرغم من أنهم حرموا بوجه عام من حياة « البوليس » الاغريقية ، بسبب سياسة البطالمة القائمة على المركزية المتشددة ، بنوا لأنفسهم جيمناسيا فى كل مدينة وكل قرية

---

(٣٩) Aman, **The Campaigns of Alexander,** II. 15.

استقروا فيها ٠ وكانت هذه المؤسسات هى التى شكلت آخر الأمر النواة التى بنيت حولها فيما بعد المؤسسات البلدية فى العصر الرومانى ٠ وفى العالم الهللينستى بوجه عام كان أى مجتمع غير اغريقى يطمح الى الحصول على مكانة المدينة الاغريقية ، كان لابد وأن ينشىء جيمناسيوم ٠ الأقل بجيمناسيوم واحد ، أما المدن الأكثر ثراء وأكثر تقدما فكانت تبنى لنفسها عدة جيمناسيا تخصصها لفئات الأعمار المختلفة : للصبية ، وللفتيان (الايفيبوى) ، وللشباب ، بل وللراشدين كذلك[٣٠] ٠

كان الاغريق فى مواطنهم الجديدة فى الشرق الهللينستى ، ومعهم المتأغرقون من سكان تلك البلدان ، حريصين كل الحرص على احياء مظاهر الحياة فى مجتمع المدينة الدولة الحرة ، بل ربما كانوا أشد حرصا فى ذلك من مواطنى المدن الاغريقية التقليدية العريقة فى عالم بحر ايجه ، وبطبيعة الحال كانت الألعاب الرياضية والمباريات والاحتفالات الرياضية من بين أبرز هذه المظاهر ٠

كانت المدن الهللينستية تسعى فى كثير من الأحيان الى المحافظة على مستوى التعليم فى المرحلة الأولى باقامة مباريات للصبية ٠ وكان رئيس الجيمناسيوم (الجيمناسيارخيس) ، أو مراقب الصبية (البايدونوموس Paedonomus) يقوم على تنظيم هذه المباريات وكثيرا ما كان يمنح جوائز من جيبه الخاص ٠ وقوائم الجوائز التى وصلتنا تشير الى أن سباقات الجرى ومباريات المصارعة والملاكمة كانت تحظى بنصيب وافر ٠ أما المرحلة الثانية من التعليم فكانت تتمثل فى تدريب الفتيان (الافيبورى) ٠ وكان هذا النظام قد نشأ فى أثينا (على ما يبدو فى عام ٣٣٥ ق٠م٠) ، ثم ذاع انتشاره فى جميع أنحاء

---

(٣٠) A. H. M. Jones, **The Greek City, From Alexander To Justinian** (Oxford, 1940, 1971), pp. 220, 351 note 20.

العالم الاغريقى وتجاوزه الى أقطار غير اغريقية بعد فتوحات الاسكندر وقيام الممالك الهللينستية(٣١) .

وقد ساعد كل هذا على بعث الحماس الرياضى فى مدن العالم الهللينستى ، ونشأت فى كل مكان تقريبا مهرجانات ألعاب جديدة على غرار مهرجانات الألعاب البانهللينية القديمة ، بل وتحمل أسماءها كذلك . غير أن انتشار الولع بالرياضة حمل فى طياته سلبيات الحركة الرياضية الاغريقية فى القرنين السادس والخامس ق.م. فسرعان ما تفشت ظاهرة رياضة الاحتراف وفرضت نفسها على الساحة . وتكشف قوائم الفائزين فى مهرجانات الألعاب الأوليمبية على سبيل المثال فى القرن الثالث ق.م. أن غالبية المتنافسين المحترفين باتوا يأتون من مدن الشرق الهللينستى ، بل وأصبحت مدينة الاسكندرية تسهم بنصيب وافر منهم(٣٢) .

وهكذا شهد العصر الهللينستى نمو طبقة من الرياضيين المحترفين الذين كانوا يتمتعون بشهرة وشعبية كبار الممثلين والمطربين الناجحين . ومن بين هـؤلاء كانت بدعة العصر تعطى أعلى منزلة للمصارعين والملاكمين . ولعل التمثال الرائع المصنوع من البرونز لملاكم ، والمحفوظ حاليا فى متحف تيرمى Museo delle Terme فى روما ، والذى يعود تاريخ صنعه الى القرن الأول ق.م. ، يظهر مدى الحفاوة الشعبية والتكريم العظيم اللذين كان هؤلاء الرجال ينعمون بهما فى العصر الهللينستى(٣٣) . غير أن المكانة السامية التى وصل اليها « نجوم » رياضة الاحتراف فى هذا العصر تظهر بوضوح أكثر فى كتابات المؤرخ

---

(٣١) Jones, **GCAJ.**, pp. 222 p 223.

(٣٢) Gardiner, **AAW**, pp. 45 — 46; 50 — 51

(٣٣) M. Rostovtzeff **The Social and Economic History of the Hellenistic World** (Second impression, edited by P. M. Fraser, Oxford, 1953), p. 1087.

الكبير بوليبيوس (حوالى ٢٠٣ — ١٢٠ ق٠م٠) ، وعلى وجه الخصوص من ثنايا تلك العبارات والروايات التى ترد بصورة عرضية تماما وغير مقصودة فى حد ذاتها ، ومن هنا فهى تكشف أكثر من غيرها عن المشاعر الحقيقية للمؤلف ونبض عصره • ففى معرض حديثه عن استعدادات الجيش البطلمى لخوض معركة رفح (٢١٧ ق٠م٠) ، يشير يوليبيوس الى الرجال الذين قاموا بدور بارز فى تجهيزه ، فيقيم قدراتهم ويصف أعمالهم ، ثم فى عبارة لافتة للنظر يستطرد فيخص القائد العسكرى بوليكراتيس Polycrates (من آرجوس) بأنه امتاز بعراقة أسرته وبالشهرة التى أحرزها أبوه مناسياديس Mnasiades بوصف كونه مصارعا[٣٤] • وفى مكان آخر من مؤلفه يتحدث بوليبيوس عن الزعيم الطيبى بوثياس Pytheas ، وكان يشغل المنصب الرفيع « بويؤتارخيس» Boeotarches (أحد حكام طيبة) ، فيعرفنا به « أنه كان شـــقيق أكاستيديس Acastides العداء »[٣٥] ! بل أنه عندما أراد أن يحلل موقف الاغريق من الصراع الذى دار بين الرومان من ناحية والملك برسيوس ملك مقدونيا من ناحية أخرى ، لم يجد بوليبيوس أفضل من وقائع مبـــاراة فى الملاكمة جـــرت فى أوليمبيا بين كليتوماخوس Clitomachus ، الملاكم الاغريقى الشهير ، ومنافسه الملاكم السكندرى أريستونيكوس Aristonicus ، ليتخذ منها حدثا قياسيا يشرح من خلاله مبررا ظاهرة تعلق الاغريق بالملك برسيوس وابتهاجهم لانتصاراته على قوات الرومان (قبل موقعة بيدنا ١٦٨ ق٠م٠) ، فى حين كان يتعين عليهم أن يناصروا الرومان[٣٦] •

---

(٣٤) Polybius, V. 64. 6 — 7 : " Polykratés de kai mallon dia te ten tes oikias archaioteta kai dia ten Mnasiadou tou patros doxan ek tes athléseos "

(٣٥) Polybius, XXXVIII. 14. I : "Hoti Pytheas én …… adelphos Akastidou tou stadieos".

(٣٦) Polybius, XXVII. 9 — 10.

ذكرنا من قبل أن بعض الرياضيين المحترفين كانوا يتمتعون بشهرة وشعبية الممثلين والموسيقيين والمغنيين المرموقين • وفى الحقيقة أن الصلة فى العالم القديم بين الرياضيين و « أهل الفن » كانت صلة حقيقية تتجاوز حدود التشبيه • فمهرجانات الألعاب لم تكن تقتصر بأى حال على عروض رياضية فقط ، وانما كانت الفنون الاخرى تسهم فيها بدورها • ومن بين مهرجانات الألعاب الهللينية الأربعة الرئيسية ، كانت الالعاب البوثية Pythia ، وهى تلى مباشرة الألعاب الأوليمبية فى أهميتها ، تبدأ مبارياتها بالفعل بمسابقات فى الموسيقى • وصحيح أن برنامج الاحتفال كان يشتمل على مسابقات فى الجرى وســـباق العربات ومنازلات فى البنكراتيوم ، الا أن المسابقات الموسيقية كانت تحظى باهتمام خاص على ما عداها ، بل كانت هى التى تعطى المهرجان طابعه المميز • فالى جانب المسابقات الخاصة « بأنشودة أبوللو » ، كانت تقام مسابقات فى العزف المنفرد على المزمار Psilé Aulesis ومسابقات فى الغناء بمصاحبة العزف على المزمار Aulodia ، وفى العزف المنفرد على القيثارة Psilé Kitharisis ، وفى الغناء بمصاحبة العزف على القيثارة Kitharodia ، الى جانب مسابقات فى الشعر وفى التمثيل المسرحى • كما أن الألعاب النيمية Nemea والاسثمية Isthmia كانت تتضمن كذلك مسابقات متنوعة فى الموسيقى وفى التمثيل المسرحى ، جنبا الى جنب مع المباريات الرياضية • وعندما تفشت ظاهرة انشاء مهرجانات ألعاب جديدة فى أرجاء العالم الهللينستى (ثم بعد ذلك بصورة أكبر فى ظل الامبراطورية الرومانية) ، كانت نماذج مهرجانات الألعاب البانهللينية الكبرى العريقة لا تغيب أبدا عن بال المؤسسين ، فاهتم منظمو المهرجانات الجديدة بتضمينها مسابقات فى الفنون المختلفة ، مثلما اهتموا بتضمينها مباريات فى الرياضات المتنوعة[٣٧] •

---

(٣٧) ومثال ذلك ان كلا من العاب الاكتيا التى انشأها اغسطس لاحياء ذكرى انتصاره فى موقعة اكتيوم ، والعاب الاوغسطاليا التى انشئت =

وهكذا فان الفوز فى مباريات الشعر مثلا أو التمثيل المسرحى أو الموسيقى أو الغناء ، أو حتى فى مسابقات المنادين أو نافخى البوق ، كان يجلب معه لصاحبه نفس الامتيازات التى كان يحصـــل عليها الفائزون فى ألعاب القوى أو المنازلات(٣٨) . ولكن فى الألعاب الموسيقية والفنية بوجه عام ، كانت مكانة الاحتراف قد استقرت وتم التسليم بها منذ بداية العصر الهللينستى ، ان لم يكن قبـــل ذلك ، اذ كان المشاركون يتقاضون أجورا فى جميع الأحوال(٣٩) .

و « أهل الفن » ، أو « الفنانون أتبـــاع ديونيســـوس » Hoi technitai hoi peri ton Dionyson ، كما كانوا يفضلون أن يسموا أنفسهم تقديسا للرب ديونيسوس الذى اتخذوه راعيا لهم ولفنونهم ،

=

فى نابلى تمجيدا له ، كانت تسمى « ايسوليمبية » ، أى مساوية للالعاب الاوليمبية ، وتقام مثلها بعد كل أربع سنوات . غير أن فعاليات المهرجان فى كل منهما كانت تنقسم الى قسمين ، الاول على نسق الالعاب الاوليمبية ويضم مباريات رياضية ، والثانى على نسق الالعاب البوثية والنمييـــة ويشتمل على مباريات موسيقية ومسرحية ، انظر :

P. London 1178, 45 — 46; Dio, LI. I — 2; Strabo, X. 325.

ومن ناحية أخرى فان العاب بانوبوليس (أخميم) كانت تســـمى « بوثية » ، ولها مكانة الالعاب البوثية . ومع ذلك فقد كانت فعالياتها لا تقتصر على المباريات الموسيقية والمسرحية فقط ، وانما كانت تشتمل كذلك على مباريات رياضية متنوعة . انظر : P. Oxy. 2476. 18 — 43 وكان هذا هو حال كل مهرجانات الالعاب التى استحدثت أو أعيد انشاؤها .

(٣٨) انظر على سبيل المثال : P. Oxy. 2338.

[جميع الاختصارات المستخدمة فى الاشارة الى مجموعات البردى اليونانى المنشورة تتبع النهج الأكثر شيوعا بين الدارسين . انظر :

E. G. Turner, **Greek Papyri** (Oxford 1968), pp. 157 — 170; **M.** David and B. A. Van Groningen, **Papyrological Primer,** (Leyden, 1965), pp. 6 — 13.].

(٣٩) Jones, **GCAJ**, p. 231.

بدأوا فى وقت مبكر من القرن الثالث ق٠م٠ يتجمعون فى اتحادات مهنية • والجدير بالملاحظة أن اتحاداتهم هذه كانت أول نقابات مهنية من أى نوع تنشأ فى بلاد الاغريق • وكان الفنانون الأثينيون سباقين فى تنظيم أنفسهم فى رابطة خاصة بهم ، وسرعان ما حذا حذوهم زملاؤهم فى المهنة فى اسثميا وفى نيميا وفى غيرهما • ولا ريب فى أن ظهور هذه المنظمات الفنية يسر كثيرا اقامة الاحتفالات بالأعياد والمهرجانات الدينية الكبرى ، فلا عجب أنها حظيت برعاية الأمفكتيين Amphictyones فى دلفى Delphi وحماية المدن الرئيسية فى بلاد الاغريق • فقد شعر الفنانون أتباع ديونيسوس فى أثينا أنهم لا يستطيعون السفر فى أمان فى بلاد الاغريق ما لم يحصلوا على ضمانات تكفل سلامتهم فى ظل الظروف السياسية المضطربة التى ميزت العصر الهللينستى • واستجابة الى هذا المطلب الحيوى صدر فى عام ٢٧٨/٢٧٧ ق٠م٠ مرسوم خاص من حلف الأمفكتيين ينص على منحهم « باسم جميع الاغريق » Hypo Panton ton Hellénon الحصانة الكاملة ويحرم التعرض لهم بالأذى أو مضايقتهم بأى صورة من الصور بوصف كونهم غير محاربين ومعفين فى أثينا ذاتها من الخدمة العسكرية[٤٠] • وفى حوالى عام ٢٢٩/٢٢٨ ق٠م٠ خلع الأمفكتيون الحصانة نفسها على أعضاء نقابتى الفنانين أتباع ديونيسوس فى اسثميا ونيميا • ثم ما لبث أن امتد حق الحصانة حتى شمل الفنانين أتباع ديونيسوس فى أيونيا وفى أماكن أخرى من العالم الهللينستى[٤١] •

أحدث تكوين رابطة الفنانين أتباع ديونيسوس فى أثينا صدى سريعا فى مصر حيث تكونت ، ربما بمبادرة شخصية من جانب الملك

---

(٤٠) Rostovtzeff, **SEHHW**, pp. 200, 1048 CF. W. Tarn and G. T. Griffith, **Hellenistic Civilisation** (3rd edition, London, 1952), pp. 94, 114.

(٤١) Rostovtzeff, **SEHHW**, pp. 1363 note 22; 1506 note 18.

بطليموس فيلادلفوس (٢٨٢ — ٢٤٦ ق٠م٠) ، رابطة مماثلة فى اتصال وثيق بعبادة الأسرة الحاكمة ٠ ولم ينحصر نشاط هـذه الرابطة فى مدينة الاسكندرية ، وانما امتـد الى بطوليمايس Ptolemais فى صعيد الوادى ، وربما فى مراكز أخرى فى مصر ٠ وسرعان ما أنشىء فرع محلى لرابطة الاسكندرية فى جزيرة قبرص لتلبية حاجات سكانها الاغريق ٠ وأغلب الظن ، كما يعتقد رستوفتزف ، أن البطالمة اتخذوا اجراء مشابها لمواجهة احتياجات رعاياهم الاغريق فى جوف سوريا(٤٢) ٠ وللأسف ليس لدينا معلومات عن سياسة السليوكيين تجاه الفنانين أتبـاع ديونيسوس ، كما أن علاقاتهم مع رابطـة الفنانين فى أيونيا والهلليسبونت فى القرن الثالث ق٠م٠ غير معروفة ٠ ولا نعرف كذلك ما اذا كانوا قد انتهجوا سياسة البطالمة فى تكوين رابطة خاصة بهم للفنانين أتباع ديونيسوس لأغراض احتفالاتهم الدينية فى أنطاكيا وفى غيرها من مراكز تجمع الاغريق فى المملكة السليوكية ٠ بيد أن الحاجة الى مثل هذه الرابطة كانت كبيرة بلا ريب ٠ غير أننا نعرف عن السياسة التى انتهجها ملوك برجاموم ، والتى لم تختلف فى مضـمونها عن سياسة البطالمة ٠ فمنذ فترة مبكرة أقاموا علاقات وطيدة مع رابطة الفنانين أتباع ديونيسوس فى أيونيا والهيلليسبونت والتى كانت قد تأسست فى آسيا الصغرى فى منتصف القرن الثالث ق٠م٠ ، ان لم يكن قبل ذلك ، واتخذت من مدينة تيوس Teos الصغيرة مقرا لها ٠ فقد ألحقوا بها الرابطة التى أنشأوها هم ، وهى رابطة الفنانين المتعلقة بعبادة الرب ديونيسوس كاثيجيمون Kathégemon (المرشد) فى برجاموم حتى أصبحت بمثابة فرع لها ٠ وهاتان الرابطتان كانتا على صلة وثيقة بالعبادة الأسرية لملوك آل أتاللوس فى برجاموم وتخضعان لسيطرتهم(٤٣) ٠ وهناك ممالك هللينسية أخـرى لم تكن بها نقابات

(٤٢) Ibid. pp. 1048 — 1049, 1596 note 40.

(٤٣) Rostovtzeff, SEHHW, p. 1049; Tarn — Griffith HC, pp. 114 — 115, 166, 338.

محلية للفنانين ، ولكن ملوكها المحبين للحضارة الاغريقية حرصوا على توطيد علاقاتهم بمجامع الفنانين فى بلاد الاغريق الرئيسية • ومن بين هؤلاء كان أرياراثيس Ariarathes الخامس ملك كابادوكيا Cappadocia (١٦٣ — ١٣٠ ق•م•) الذى توثقت صلاته بنقابة الفنانين أتباع ديونيسوس فى أثينا حتى أن هذه النقابة أصدرت مرسوما خاصا لتكريمه • كما أن نيكوميديس Nicomedes الثالث ملك بيثينيا Bithynia (١٢٨/١٢٧ — حوالى ٩٥/٩٤ ق•م•) أقام علاقة حميمة مع الفنانين أتباع ديونيسوس فى مدينة آرجوس Argos الذين أقاموا له تمثالا تعبيرا عن تقديرهم لرعايته لهم(٤٤) •

ومن المهم أن نشير هنا الى الاحتفال البطامى الذى وصفه لنا كاالليكسينوس Callixenos والذى قام فيه الفنانون أتباع ديونيسوس بدور هام • ويبدو مؤكدا أن هذا المهرجان أقيم فى المناسبة الثانية لاحتفالات البطوليمايا Ptolemaia فى الاسكندرية ، أى فى عام ٢٧٤ ق• م • وكان بطليموس الثانى فيلادلفوس قد أنشأ هذه الألعاب على مستوى الألعاب الاوليمبية تكريما لأبيه الملك بطليموس الاول ، فكانت مهرجانا عالميا يقع كل خامس عام ، ويحضر للمشاركة فى فعالياته متبارون من جميع أرجاء العالم الاغريقى • فهنا نجد ألعابا مقدسة ، أبتدعت حديثا لتخليد ذكرى مؤسس دولة البطالمة ، وقد اتخذت صبغة ديونيسية قوية • فمن وصف كالليكسينوس لفعاليات الحفل تبرز بوضوح الاتجاهات الديونيسية التى بدأت تنتشر فى عالم ما بعد الاسكندر الأكبر • فالصورة الذهنية التى ترمز الى النصر أصبحت هنا قصوف ومرح ديونيسى ، مع تغيير موضوع زحف الاسكندر المظفر ليصبح فتح باكخوس Bacchus للهند • وعلى الرغم من أن كبير أرباب الاوليمب ، زيوس ، وأرباب أوليمبيين آخرين ، حصلوا على نصيب من التكريم ، فان ديونيسوس كان فى الحقيقة هو الرب الذى

---

(٤٤) Rostortzeff, **SEHHW**, pp. 827, 838.

جعله المؤسس راعيا للحفل • وكان النضال والتنافس سواء فى مجال الرياضة أو الموسيقى أو فى مجال التمثيل يرتبط بارتقاء ديونيسوس وتقدمه ونجاحاته • فالذى كان فى يوم ما مرتبطا بالتمثيل المسرحى وبعض أنواع الموسيقى الغنائية ، امتـد تأثيره مع بدايات العصر الهللينستى ليحتضن كل الثقافة ، أو بالأحرى تلك المجالات من الثقافة التى كان فيها الفعل الرئيسى نشاطا مباشرا يجرى فى حضور المشاهدين• فالملك بطلميوس فيلادلفوس كان يعبر فى احتفال البطوليمايا ، بأسلوب فخم ومبهر للانظار بطبيعة الحال ، عن التيارات التى مهدت السبيل الى ترابط الرياضيين والفنانين أتباع ديونيسوس(٤٥) •

وكتاب التنجيم أيضا ربطوا بين الرياضى والموسيقى : « أولئك الذين يكافحون فى المباراة وفى المصارعة وفى الثوميلى Thymelé ويعيشون من الانفاق العام » • وكلمة « ثوميلى » فى المسرح الأثينى كانت تعنى المنصة التى تشبه مذبح القرابين والتى كانت توجد فى وسط الفرقة الموسيقية وكان يقف على درجاتها قائد الجوقة ، والصفة منها ثوميليكوس Thymelikos وتعنى « تمثيلى » ، أو بالأحرى « مسرحى » • ونعرف عن حالة واحدة نجد فيها ممثلا كان فى نفس الوقت ملاكما ، وهو أبوللوجينيس Apollogenes الذى عاش فى القرن الثالث ق• م• فقد قام هذا الممثل بأدوار هيراكليس وأخيـل Achilleus وأنتايوس Antaios والاسكندر الأكبر فى التراجيديا ، ونعرف كذلك أنه فاز فى مباراة للملاكمة فى الاسكندرية(٤٦) •

ومع ذلك لم يشهد العصر الهللينستى امتزاج الرياضيين والفنانين فى نقابات تعاونية واحدة ، بل أن الرياضيين تأخروا كثيرا عن الفنانين فى تنظيم أنفسهم فى مجامع نقابية خاصة بهم • ونقابات الفنانين أتباع ديونيسوس التى أشرنا اليها كانت لها صفة حرفية واضحة • فالمؤهلون لعضويتها كانوا هم فقط الذين يحترفون مهنة تتصل بصورة

---

(٤٥) Lindsay, **LPRE**, pp. 165 — 171 349 — 351.

(٤٦) Lindsay, **LPRE**, pp. 156 — 157.

أو بأخرى بالمسرح والعمل المسرحى ، المشتغلين بالتأليف أو الاخراج أو الأداء المسرحى أو انتاج المسرحيات أو تنظيم العروض الموسيقية ، وبمعنى آخر هم أولئك الذين اتخذوا من العمل الديونيسوسى حرفة دائمة لهم • أما الباقون من المرتبطين بهذه النقابات فقد كانوا اما أعضاء شرفيين Proxenoi أو « محبى الفن » Philotechnitai أو Synagonistai ، وهو مصطلح يرجح رستوفتزف أنه كان يعنى فى هذه النقابات « الطموحين » Aspirants • غير أن المعنى البسيط الأصلى للكلمة ، « المتبارون المرافقون » ، أو المساعدون ، ربما كان أكثر ملاءمة ، ولعله يشير الى رياضيين ممن كانت بعض العروض المسرحية تتطلب مشاركتهم • وفى أيام ازدهارهم فى العصر الهللينستى كان الفنانون أتباع ديونيسوس ينعمون بمظاهر الحفاوة والتكريم المختلفة ويمنحون الامتيازات ويعفون من الالتزامات ويتمتعون بامتياز المرور بأمان حتى فى زمن الحرب ويتلقون العون المالى والهبات المادية من الملوك ومن المدن ، وكان لأعضاء رابطة الفنانين فى أثينا كذلك الحق فى ارتداء الملابس الأرجوانية ، حتى يبدو الأمر كما لو أن تسلية الناس كانت أعظم شأنا من حكمهم • ولكن فى حين كانت مجامع الفنانين أتباع ديونيسوس فى بلاد الاغريق منظمة بوصف كونها نقابات حرة تدار ذاتيا بواسطة أعضائها وأشبه ما تكون بالدولة المستقلة حتى أنها كانت ترسل وتستقبل السفراء ، كانت منظمات الفنانين فى الممالك الهللينستية الشرقية نقابات رسمية تتبع الدولة • فبينما كانت تحتفظ بتنظيمها النقابى المتميز وبقدر كبير من الحكم الذاتى ، أصبحت فى الحقيقة خاضعة تقريبا للحكام • ويرى رستوفتزف أن وضع الفنانين أتباع ديونيسوس فى مملكة البطالمة يعيد الى الذهن ، بعد اجراء جميع التغييرات الضرورية ، وضع أعضاء مجمع العلوم والفنون (الموسيون Mouseion) ، ويمكن اعتباره أوّل محاولة فى العالم الاغريقى لاعطاء صفة رسمية كاملة لأحد فروع الحياة الفنية(٤٧) •

---

(٤٧) Rostovtzeff, **SEHHW**, pp. 643, 1085; Tarn — Griffith, **HC**, p. 115.

لم يفقد الفنانون أتباع ديونيسوس امتيازاتهم مع ضياع استقلال دول العالم الهللينستى ودخولها الواحدة بعد الأخرى تحت السيطرة الرومانية • فقد كان الفنانون حريصين على الحصول على تأكيدات جديدة لامتيازاتهم فى كل عهد جديد وكلما فرضت أعباء جديدة على كاهل الناس • وكان الحكام الرومان يستجيبون لمطالبهم • ولدينا نقش يرجع الى منتصف القرن الثانى ق• م• يسجل قرارا أصدره الحاكم الرومانى لوكيوس موميوس Lucius Mummius فى شكل رسالة الى رابطة الفنانين أتباع ديونيسوس فى اسثميا ونيميا ، الذين كانوا قد اتخذوا مقرا مشتركا لهم فى طيبة ، ينص فيها على أن أعضاء الرابطة جميعا معفون من الأعباء الالزامية العامة (الليتورجيا) ، ومن ضريبة ايواء الجند وغيرهم ، ومعفون كذلك من الضرائب ومن جميع الاسهامات الاستثنائية الاجبارية[٤٨] • وفى شتاء عام ٨٥/٨٤ ق• م• أنزل القائد الرومانى سوللا Sulla قواته فى مدن ولاية آسيا التى أيدت ميثريداتيس Mithridates السادس (ملك بونطوس) ضد روما ، وألزمها بدفع راتب يومى لكل جندى مقداره ست عشرة دراخمة الى جانب نفقات الكساء والغذاء ، كما فرض على الولاية كلها غرامة ثقيلة مقدارها عشرين ألف تالنت • ولما كان الفنانون أتباع ديونيسوس فى آسيا ، مثلهم مثل نقابات الفنانين الأحرى ، يتمتعون بحصانة عامة منحها لهم أو أكدها ملوك برجاموم ومن جاء بعدهم من الحكام الرومان ، فقد أسرعو الى سوللا يلتمسون منه أن يؤكد هذه الحصانة من جديد برسالة خاصة منه مشفوعة بقرار من السناتو الرومانى • ولما كان سوللا مولعا بالفنون ونصيرا للفنانين ، فقد استجاب على الفور الى طلبهم بكرم واضح مؤكدا حقوقهم السابقة فى الاعفاء من مثل هذه الالتزامات • وفى عام ٨١ ق• م• ، عندما كان سوللا دكتاتورا ، منح

---

(٤٨) **Inscriptiones Graecae**, VII. 2413/14, 5 — 6 :
"Hymas Pantapasin aleitourgétous einai **kai anepistathmeutous kai** ateleis kai aneisphorous pases eisphoras". (**apud Rostovtzeff SEHHW**, p. 1463) .

مبعوث رابطة الفنانين ، وكان صديقا شخصيا له ، ترخيصا بنشر رسالته الى الفنانين ومرسوم السناتو الخاص به فى مدن كثيرة ، ولم يكتف سـولا بذلك ، وانما بادر من جانبه الى ارسال نسخ من الوثيقتين الى المدن المعنية أرفقها برسائل مفسرة يطلب فيها توفير أفضل موقـع فى كل مدينة حتى تقام عليه لوحة رخامية تسجل وتحيى ذكرى مكارمه للفنانين • وقد حفظت لنا الصدفة نص رسالته المفسرة التى أرسلها الى كوس Cos ومعها جانب من رسالته الى الفنانين ، أما مرسوم السناتو فقد ضاع بالكامل :

« لوكيوس كورنيليوس سوللا فيليكس بن لوكيوس ، دكتاتور ، الى رؤساء ومجلس وشعب كوس ، تحية • لقد منحت عازف القيثارة اليكساندر اللاؤديكى ، وهو رجل نبيل المحتد عالى القدر وصديق لنا ، مبعـوث الرابطة المشـتركة « للفنانين المسرحيين فى أيونيـا والهلليسبونت » ، و« الفنانين المسرحيين التابعين للرب ديونيسوس المرشد » ، ترخيصا لاقامة لوحة فى أوضح مكان فى موطنكم ينقش عليها الامتيازات التى منحتها للفنانين • كما أن السناتو ، استجابة منه لسفارته الى روما ، أصدر مرسوم مصادقة • وعلى ذلك فانى أرغب فى أن تتخذوا الخطوات الضرورية لتجهيز أبرز موقع حتى تقام فيه اللوحة الخاصة بالفنانين • وأرفق أدناه نسخة من رسالتى الى الفنانين ومن مرسوم السناتو » •

« ••••• وأيضا مشاعر الود التى تحملونها نحونا ، ولذلك فانى أرغب فى أن تعلموا بأننى ، بناء على مشورة مجلسى ، قد أعلنت قرارى بأنكم سوف تحتفظون بكل الامتيـازات والمناصب والاعفـاءات من الخدمات العامة الالزامية التى منحها أو أقرها لكم السناتو والقناصل ونواب القناصل بوصف كونها مكرمة اجلالا للرب ديونيسوس ولربات الفنون ولحرفتكم ، وأنكم ، تماما مثلما كان حالكم فى الماضى ، سوف تعفون من جميع الخدمات العامة Leitourgiai ومن الخدمة العسكرية Strateia ، ولن تدفعوا أى ضرائب أو نفقات عامة Dapanai

أو اسهامات استثنائية Eisphora ، ولن يزعجكم أحد بتوفير المؤن Paroché أو تقديم مأوى للجند Epistathmia ، كما لن ترغموا على استقبال نزلاء فى منازلكم ضد رغبتكم ..... »[٤٩] .

ومنذ أواخر العصر الهللينستى أخذ الرياضيون المحترفون بدورهم يتجمعون وينظمون أنفسهم بهدف رعاية مصالحهم الفئوية والمحافظة على حقوقهم . غير أن جهودهم لم تتبلور فى شكل نقابات خاصة بهم قبل العصر الامبراطورى . ولكن منذ القرن الثانى ق. م. ترد فى وثائقنا اشارات عديدة « للفائزين المقدسين » ، أو « الهيرونيكاى » Hieronikai . وهؤلاء بلا ريب كانوا « نجوم » الرياضة والفن الدوليين الذين حققوا الفوز فى مسابقات أحد مهرجانات الالعـــاب المقدسة . وكانت صفة « المقدسة » تطلق على الالعاب التى لم تكن تقدم فيها رسميا جوائز مادية للفائزين فى المباريات ، وانما كان يكتفى بتقديم جائزة رمزية لها قيمة أدبية خالصة ، وهى فى الغالب اكليل مجدول من أوراق الشجر ، مثلما كان مألوفا فى الألعاب البانهللينية الكبرى . ومهرجانات الالعاب المقدسة كانت تعد أعلى مراتب مهرجانات الالعاب على المستوى الدولى وأكثرها أهمية . ولهذا كان الفائزون فيها يشكلون نخبة فى مركز يسمح لهم ليس فقط بتنظيم أنفسهم فى رابطة خاصة ، وانما أيضا بممارسة الضغط على أولى الأمر للحصول على الاعتراف الرسمى بمنظمتهم وعلى التقدير والتكريم الحكومى ، فضلا عن الحصول على امتيازات جديدة ومتابعة تأكيد حقوقهم مع كل عهد جديد وزعامة جديدة[٥٠] .

غير أن أول مثال واضح لمكانتهم على نطاق واسع يعود تاريخه

---

(٤٩) N. Lewis and M. Reinhold, **Roman Civilzation :** (Harper Torchbooks, New York, 1966) I, pp. 342 — 343; Rostovtzeff, **SEHHW**, p. 1561.

(٥٠) Lindsay, **LPRE**, p. 155.

الى عام ٤٢/٤١ ق٠ م٠ أو ٣٣ ق٠ م٠ ، عندما كان ماركوس انطونيوس يقوم بتعبئة موارد أقطار شرقى البحر المتوسط ٠ ففى أثناء زيارته لمدينة افيسوس Ephesus فى آسيا الصغرى ، حضر لمقابلته صديقه أرتيميدوروس Artemidorus ، وكان رياضيا ذائع الصيت ، وبصحبته كاهن « رابطة الفائزين المقدسين حاملى تاج النصر فى العـــالم »
synodos ton apo tes oikoumenés hieronikon kai stephaneiton

ولما كان أنطونيوس يرغب فى نشر شعبيته وتنميتها ، فقد اغتنم صديقه الفرصة والتمس منه أن يشمل الرابطة برعايته ، فيحمى حقوق أعضائها ويمنحهم امتيازات جديدة ٠ ونعرف أن أنطونيوس استجاب تماما الى هذا الالتماس ٠ فلدينا على ظهر بردية طبية ، محفوظة فى المتحف البريطانى ، نسخة من نص رسالته التى أرسلها بهذه المناسبة الى « عموم الهللينيين فى آسيا » To Koinon ton apo tés Asias Hellénon والتى تتضـــمن قـــرارا أصـــــدره يقـــر فيـــه بجميـــع الحقـــوق القائمة التى كانوا يتمتعون بها وينعم عليهم بامتيازات جديدة ٠

« ماركوس أنطونيوس ، امبراتور ، عضو الحكومة الثلاثية المكلفة باحياء الدولة ، الى عموم الهللينيين فى آسيا ، تحية ٠ فى مناسبة سابقة ، عندما استقبلت فى افيسوس صديقى المدرب الرياضى Aleiptes ماركوس أنطونيوس أرتيميدوروس ومعه كاروبينوس Caropinos الافيسوسى ، كاهن « رابطة الفائزين المقدسين حاملى تاج النصر فى العالم » ، التمس منى أن أصدق على شرعية الامتيازات القائمة التى تنعم بها الرابطة وأن أستحدث علاوة على ذلك هذه الهبـــات القيمـــة : الاعفاء من الخـــدمة العســـكرية astrateusia والاعفـــاء الكامل من الاعبـــاء الالزامية العـــامة aleitourgésia والاعفاء من فريضة ايواء الجند (وغيرهم) Anepistathmia ، واعتبار كل مدة مهرجان الالعاب (الافيســـوسية) فترة هدنة مقدســـة Ekecheiria peri ten Panégyrin يتمتـــع فيهـــا أعضـــــاء الرابطة بالحصانة الشخصـــية Asylia وحق ارتـــداء الملابس

الارجوانية Porphyra • وقد طلب منى الموافقة على الكتابة اليكم مباشرة فقبلت بسبب صداقتى لأرتيميدوروس وكذلك لرغبتى فى اسداء معروف الى كاهنهم لأجل تشريف وتوسيع الرابطة • والآن فى مقابلة أخرى معى ، طلب لهم أرتيميدوروس الاذن منى لاقامة لوحة برونزية ينقشون عليها الهبات المذكورة • ولما كنت لا أرغب فى أن أخيب له أى رجاء ، فقد سمحت له باقامة اللوحة حسبما طلب »[٥١] •

وجدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن المتحدث باسم الرابطة ، أرتيميدوروس ، كان رياضيا شهيرا ، فلا يوجد فى رسالة أنطونيوس ما يشير الى أن الرابطة كانت قاصرة على الرياضيين وحدهم ، ولا عليهم جميعا ، وانما كانت تقتصر على طائفة « الهيرونيكاى » أو « الفائزين المقدسين » فى مسابقات مهرجانات الألعاب الدولية الكبرى ، وبصرف النظر عن نوع المهارات التى تفوقوا فيها ، سواء كانت فى مجالات الرياضة أو فى مجالات الموسيقى والمسرح • فهى لذلك كانت على الأرجح تجمع بين صفوة أبطال الرياضة ونجوم الفن فى العالم • وكان أنطونيوس محبا للفنانين والرياضيين بوجه عام حتى شاع عنه أنه كان يتخذ الكثيرين منهم ندماء له وأصدقاء • وفضلا عن ذلك فقد كانت رعاية النقابات الفنية أو الرياضية تناسب تماما الدور الديونيسوسى الذى انتحله لنفسه ، خاصة بعد أن ارتبط نهائيا بالملكة كليوباترا السابعة ، أى بعد عام ٣٦/٣٧ ق• م• حيث كانت هى تجسد الربة « ايزيس الجديدة » ، فى حين كان هو يجسد الرب « ديونيسوس الخير »[٥٢] •

* * *

(٥١) SB 4224; Lindsay, **LPRE,** pp. 155 — 156; Rostovtzeff **SEHHW**, p. 1006; Gardiner, **AAW**, p. 107.

(٥٢) Plutarch, **Mark Antony**., 24, 26, 33, 54; Dio, L. 5. 3.

يعتبر عهد أغسطس (٢٧ ق٠م٠ — ١٤ م) بحق بداية العصر الذهبى للمحترفين سواء من الرياضيين أو من « أهل الفن » ٠ ويذكر المؤرخ سويتونيوس Suetonius (حوالى ٦٩ — ١٤٠ م) فى كتابه عن سيرة حياة أغسطس أنه ، على النقيض من يوليوس قيصر الذى كان لا يتهتم بالألعاب ولا يحضر عروضها الا من قبيل الاستهلاك العام ودواعى المحافظة على شعبيته وعرف عنه أنه كان يستغل وقت العرض فى قراءة الرسائل والشكاوى والاجابة عليها ، كان أغسطس يجد متعة شخصية حقيقية فى مشاهدة الألعاب من الحجرات العلوية لمنازل أصدقائه ومواليه المطلة على السيرك فى روما ٠ وفى بعض الأحيان كان يستخدم المقصورة الامبراطورية فى السيرك ، وكان يصطحب معه زوجته وأولادهما كذلك ، وما أن يجلس فى كرسيه حتى يعكف على متابعة فعاليات العرض باهتمام ٠ هذه المتعة التى كان يشعر بها عند متابعته للعروض الرياضية جعلته يقدم جوائز خاصة فى الألعاب ، أو أن يمنح الفائزين هدايا قيمة من جيبه الخاص ٠ ويزعم سويتونيوس أن أغسطس لم يقصر أبدا فى مكافأة المتنافسين ، كل حسب درجة استحقاقه ، فى أى مسابقات مسرحية اغريقية حضرها ٠ ولكن متعته الكبرى كانت فى مشاهدة مباريات الملاكمة ، خاصة عندما يكون الملاكمون ايطاليين ، وليس فقط مباريات المحترفين النظامية ، وانما حتى المباريات العنيفة القاسية التى كانت تقام بين رعاع وأوباش شرسين غير مدربين فى أزقة المدينة الضيقة ٠ وباختصار ، طبقا لرواية سويتونيوس ، فان أغسطس كرم المحترفين فى كافة صنوف التسلية الفنية والرياضية ، وذلك باهتمامه الودى بهم ٠ « فقد حافظ على الامتيازات التى كان يتمتع بها الرياضيون ، بل وزاد منها » Athletis et Conservavit Privilegia et Ampliavit ٠ كما عدل قانونا قديما كان يعطى للحكام سلطة معاقبة الممثلين المسرحيين حيثما ومتى شاءوا ذلك ، بحيث أصبحوا منذ عهده يختصون فقط بالتصرف فى حالات الخروج على الآداب العامة واساءة السلوك أثناء العروض المسرحية أو الألعاب ٠ فعلى الرغم من ولعه بالعروض الرياضية والامتيازات

التى أغدقها على المحترفين فى هذه المجالات ، فقد أصر أغسطس على ضرورة مراعاة النظم والقواعد بدقة شديدة أثناء مباريات المصارعة وغيرها من الألعاب العنيفة ، وكان صارما شديد الصرامة فى كبح السلوك الخليع فى المسارح ، فلم يتردد فى معاقبة الممثلين المسرحيين اذا تجاوزوا حدود الأدب • فيذكر لنا سوينونيوس أن أغسطس عندما سمع بأن ممثلا مرموقا اعتاد أن يتجول وبرفقته وصيف لم يكن فى الحقيقة سوى امرأة متزوجة قص لها شعرها حتى تبدو كما لو كانت غلاما ، أمر بجلده فى مسارح روما الرئيسية ، ولم يكتف بذلك ، وانما نفاه من روما أيضا • وبناء على شكوى من برايتور ، أمر بجلد ممثل كوميدى بارز علنا أمام الناس فى ردهة محل اقامته • ونفى ممثلا آخر ليس فقط من روما ، وانما من كل ايطاليا كذلك ، لأنه عندما بدأ أحد النظارة يهس ، لفت أنظار الحضور اليه بحركة فاحشة من أصبع يده الأوسط(٥٣) •

من بين وثائق مجموعة بردى أوكسيرينخوس المنشورة ، توجد وثيقتان جديرتان بالتأمل والدراسة فيما يتعلق بموضوع امتيازات الفنانين أتباع ديونيسوس فى الامبراطورية الرومانية • والوثيقتان كانتا فى الأصل تشكلان جزءا من مجلد واحد Tomos Synkollésimos فى سجلات مجلس شيوخ مدينة أوكسيرينخوس (البهنسا) ، ويعود تاريخهما الى عصر دقلديانوس • والوثيقة الأولى(٥٤) لم تصل الينا

---

(٥٣) Suetonius. **Augustus**, 45.

(٥٤) P. Oxy. 2475.

هذه الوثيقة يمكن مقارنتها بوثيقة بردية اخرى (B. G. U. 1074. 10 — 13) من ناحية الغرض ولكن ليس من ناحية الاسلوب أو طول الوثيقة . قارن :

A. C. Johnson, **Roman Egypt** (Baltimore, 1936) pp. 399 — 400 (no. 255).

كاملة . ولكن ما تبقى منها يشير الى أنها كانت رسالة من شخص يدعى أوريليوس هاتريس Aurelius Hatres الى مجلس شيوخ مدينة أوكسيرينخوس مطالبا بحقه فى الاعفاء من الضرائب ومن الأعباء الالزامية العامة ، والظاهر من بقايا سطور الوثيقة أنه أرفق مع طلبه المستندات التى تدعمه . أما الوثيقة الثانية(٥٥) ، والتى حررت فى يوم ٢٦ يوليو من عام ٢٨٩ م ، فهى عبارة عن شهادة Diplé (دبلوم Diploma) تبين أن أوريليوس هاتريس عضو فى « رابطة الفنانين أتباع ديونيسوس فى الامبراطورية الفائزين المقدسين المتوجين بتاج النصر » . ولما كان الغرض من هذه الشهادة هو أن تكفل لصاحبها حق الاعفاء من الضرائب والأعباء الالزامية العامة ، فهى تستشهد بنصوص من رسائل ومراسيم امبراطورية بدءا من عهد أغسطس ، ومن هنا تأتى الأهمية الخاصة لهذه الوثيقة البردية التى وصلت الينا لحسن الحظ شبه كاملة .

فالوثيقة تبدأ باقتباس نص رسالة موجهة من الامبراطور « تيبيريوس قيصر ... . الى الفنانين أتباع ديونيسوس فى الامبراطورية ، الفائزين المقدسين المتوجين بتاج النصر والمتبارين المرافقين لهم » . وفيها يعلن أنه « حفيظ على الحقوق والامتيازات التى منحها لكم الاله أغسطس »(٥٦) .

---

(٥٥) P. Oxy. 2476.

(٥٦) P. Oxy. 2476. 1 — 4 : " Tiberios Kaisar ...... tois apo tes oikoumenés peri ton Dionyson techneitais, hieroneikais, stephaneitais, kai tois touton synagonistais, ... ta de hypo tou theou Sebastou dedomena hymin kai philanthropa syntero".

رسالة الامبراطور « تيبيريوس‌قيصر »[٥٧] تشير الى الحقوق والامتيازات التى أنعم بها أغسطس على أعضاء الرابطة ، ولكن دون أن تذكر هذه الحقوق وهذه الامتيازات . غير أن الجزء التالى من الوثيقة[٥٨] يحفظ لنا ملخصا وافيا لمرسوم أصدره الامبراطور هادريان (١١٧ — ١٣٨ م) حدد فيه حقوق وامتيازات أعضاء الرابطـة على النحو التالى :

١ — الحصانة الشخصية Asylia .

٢ — أولوية الجلوس Proedria (فى الاحتفالات والمناسبات العـامة) .

٣ — الاعفاء من الخدمة العسكرية Astrateia .

٤ — الاعفاء من الخدمة العامة الالزامية
Litourgion Démosion Ateleia

٥ — أن يحتفظوا بكل دخلهم معفيا من الضرائب
atelé Echein Hosa an Epagonte (سواء ما يكسبونه من الأعمـال الخاصة أو من الألعاب) .

٦ — أن لا يطلب منهم تقديم ضامنين
Mé Kathistanein Engyètas

٧ — الاعفاء من الاسهامات الاستثنائية Aneisphoria

---

(٥٧) يعتقد ناشر الوثيقة
(J. Rea, **The Oxyrhynchus Papyri**, vol. XXVII, p. 171)
من دراسته للالقاب المصاحبة لاسم الامبراطور فى هذه الرسالة (انظر النص الكامل للوثيقة) أن الامبراطور المعنى هو كلاوديوس وليس تيبيريوس ، وان تاريخ الرسالة ربما يرجع الى عام ٤٣ ميلادية .

(٥٨) P. Oxy. 2476. 4 — 7.

٨ — حق السونثوسيا Synthysia (ولعله كان حق تقديم القرابين فى شكل جماعى أو ربما كان حق الاجتماع فى تنظيم نقابى)(٥٩) .

٩ — لا يجوز ارغامهم على استضافة أغراب
Mé Dechesthai Pros Anankén Xenous

١٠ — لا يسجنوا ولا توقع عليهم عقوبة الاعدام (؟) .

هذه الحقوق والامتيازات لم تسجل فى مرسوم هادريان لأنها جديدة أو مستحدثة . فكلها تقريبا ، فيما عدا حق « السونثوسيا » ، رأينا ما يماثلها فى فترات سابقة على عصر هادريان ، وأغلبها لدينا عنها شواهد منذ فترة مبكرة من انشاء النقابات المحلية(٦٠) . غير أن أهمية مرسوم هادريان ، بالنسبة لنا نحن الدارسين ، أنه يسجل لنا دفعة واحدة الحقوق والامتيازات التى كانت تقرها القوانين الامبراطورية لهؤلاء « الفائزين المقدسين » من الفنانين أتباع ديونيسوس والمتبارين المرافقين لهم .

كما رأينا كانت فرق الفنانين أتباع ديونيسوس المحلية منتشرة فى بقاع كثيرة من العالم الهللنيستى . وفى عصر الامبراطورية انضمت كلها فى رابطة « عالمية » Oikoumeniké واحدة تحت رعاية الامبراطور . ويعتقد بعض الباحثين أن ذلك تم فى وقت ما فى القرن الثانى الميلادى ، ويرجحون أن واحدا من الأباطرة الثلاثة « تراجان » و « هادريان » و « أنطونينوس بيوس » ، كان أول راع لها . غير أن البعض الآخر يرجح ، فى ضوء ما توحى به رسالة « تيبيريوس قيصر » (كلاوديوس) التى اقتبسناها ، أن أغسطس هو الذى أنشأ تلك

---

(٥٩) Rea, **OP** XXVII, p. 169 : " Communal sacrifice"; Johnson, **RE**, p. 400 : " right of assembly as a guild (?)" .

(٦٠) قارن ايضا : Diodorus, IV. 4 — 5.

الرابطة فى هيئتها « الدولية » أو « العالمية » ، وأغدق عليها فى تلك المناسبة بعض الحقوق والامتيازات(٦١) • وعلى أية حال فان انشاء هذه الرابطة العالمية لكل الفنانين أتباع ديونيسوس لم يؤد الى الغاء الشخصية المحلية للفرق المختلفة التى استمر تواجدها وعملها واحتفظت بهويتها الخاصة تحت مظلة « الرابطة العالمية » ، ولا أدل على ذلك من أن جميع رؤساء الرابطة التى كان أوريليوس هاتريس عضوا فيها فى أوكسيرينخوس ، كانوا مصريين بالكامل(٦٢) • وجلى أنهم كانوا لا يسيطرون على نشاطات دولية أو عالمية •

والثابت أن الأباطرة المتعاقبين تشـــابهوا جميعا فى اهتمامهم بالفنانين أتباع ديونيسوس وفى حرصهم على ارضائهم وتأكيد مكانتهم المتميزة فى مجتمع الامبراطورية الرومانية • ولدينا نص رسالة بعث بها الامبراطور سبتميوس سيفيروس (١٩٣ — ٢١١ م) الى أعضاء تلك « الرابطة المقدسة » Hiera Synodos ، ونعلم منها أنهم كانوا قد عبروا فى مرسوم أصدروه عن ابتهاجهم بمناسبة توليه مقاليد الحكم فى الامبراطورية ، فاغتنم الامبراطور الفرصة لكى يؤكد لهم أن « جميع الحقوق والامتيازات التى كانت لكم منذ البداية ، والتى منحها لكم الأباطرة الذين سبقونى ، أنا أيضا أحافظ عليها »(٦٣) • وفى رسالة من الاسكندر سيفيروس (٢٢٢ — ٢٣٥ م) الى أعضاء الرابطة ، يؤكد الامبراطور أن « كل الذى أقره أبى ، الاله أنطونينوس (كاراكاللا) ، وجدى الاله سيفيروس ، وأسلافى من قبلهما ، فيما

---

(٦١) Rea, OP, XXVII, pp. 171 — 172.

(٦٢) P. Oxy. 2476. 17 — 33.

(٦٣) P. Oxy. 2476. 7 — 11 : "......... hoposa eichetai ex archés hypo ton pro emou autokratoron dedomena hymein dikaia kai philanthropa tauta kai autos phylatto".

يختص بكم ... ... أنا أعلنه سارى المفعول »(٦٤) • وعند نهاية القرن الثالث الميلادى كانت الرابطة تحظى برعاية الامبراطورين دقلديانوس وماكسيميان(٦٥) ، وتحمل الاسم العريض : « الرابطة المقدسة الفنية المتجولة العالمية الكبرى الفنانين أتباع ديونيسوس الفائزين المقدسين المتوجين بتاج النصر »(٦٦) • وصفة « المتجولة » Peripolistiké التى أصبحت جزءا من اسمها الرسمى فى وقت ما من القرن الثانى الميلادى ، تعنى أن نشاط أعضائها لم يقتصر على مكان بعينه ، وانما كانوا كلما دعت الحاجة ينتقلون الى مناطق مختلفة فى الامبراطورية للمشاركة فى الاحتفالات واحياء الأعياد والمناسبات •

والى جانب الكاهن الأكبر ، الأرخييريوس Archiereus ، كان يقوم على شئون الرابطة المحلية طائفة من الموظفين المنتخبين • وأهم هؤلاء ثلاثة أراخنة • فهناك الأرخون بروتوس Archon Protos وهو المسئول الأول • والأنتارخون جراماتيوس Antarchon Grammateus وهو المسئول الثانى وأمين السر فى نفس الوقت ، ثم الأرخون نوموديكتيس Archon Nomodiktes ، وهو مسئول النظام(٦٧) ، ذلك أن كل رابطة كان لها فيما يبدو مجموعة القــواعد المنظمة (نوموى Nomoi) الخاصة بها • وجدير بالملاحظة أن الموسيقيين

---

(٦٤) P. Oxy. 2476. 11 — 12 : " hosa theo Antoneino patri emo kai theo Seyéro pappo mou kai tois anothen progonois ekrithe peri hymon ...... diesaphésamen kyria einai".

(٦٥) P. Oxy. 2476. e. g. 13, 15, 23, 27 30, 34, 39, 42 — 43.

(٦٦) P. Oxy. 2476. e. g. 13 — 14 : " he hiera mousiké Peripolistike oikoumenike megale synodos ton peri ton Dionyson techniton hieronikon stephaniton.

(٦٧) P. Oxy. 2476, passim. e. g. 16 : archiereus; 23 : Archon Protos; 27 : Antarchon grammateus; 30 : Archon nomodiktés.

كانوا يهيمنون على شئون الرابطة المحلية فى مصر . على الأقل فى عهد دقلديانوس ، ان لم يكن قبل ذلك ، ولعل هذا كان حالهم أيضا فى الفروع الأخرى فى الامبراطورية . فكل من أمين سر الرابطة ومسئول النظام فيها كان طبالا Salpinktés ، أما المسئول الأول فكان عازف قيثارة Kitharistés (٦٨) . وجلى أن هؤلاء الفنانين العالميين كانوا مزهويين بأنفسهم وبأمجادهم بصورة ملفتة ، ويميلون الى التفاخر بمكانتهم التى حققوها بفوزهم فى مسابقات مهرجانات الألعاب المقدسة العالمية . ففضلا عن لقب « الفائز المقدس المتوج بتاج النصر » Hieronikés Stephanéphoros ، كان كل منهم حريص على أن يتبع اسمه فى الوثائق الرسمية بقائمة بأسماء جميع مهرجانات الألعاب الدولية الكبرى التى فاز فيها ، والى جانب مدينته الأم كان ينسب نفسه الى كل مدينة منحته المواطنة الشرفية فيها تقديرا لتفوقه ، وقبل أو بعد كل ذلك كان يحلو له دائما أن يصف نفسه بأنه « بارادوكسوس » Paradoxos ، بمعنى « المذهل » أو « الخارق »(٦٩) .

كانت مهرجانات الألعاب مناسبات ملائمة لعقد اجتماعات الرابطة وقبول الأعضاء الجدد وانتخاب أو اعادة انتخاب المسئولين الرئيسيين . وفى وثيقتنا نعرف أنه تم قبول عضوية أوريليوس هاتريس وتعيينه كاهنا أكبر للرابطة أثناء الاحتفالات الكبرى بمهرجان ألعاب بانوبوليس Panopolis (أخميم) ، والتى كان لها ، على الأقل فى النصف الثانى من القرن الثالث ، مكانة دولية مساوية للألعاب البوثية . وحررت بذلك شهادة (دبلوما) ، وقع عليها أراخنة الرابطة الثلاثة ، واعتمد « رئيس الألعاب » المشرف على تنظيم المهرجان صحة ما ورد فيها

(٦٨) P. Oxy. 2476, 20, 21, 26, 46, 48.

(٦٩) P. Oxy. 2476 19 — 49 passim.

وتاريخ صدورها[٧٠] • وفى رسالة مفتوحة[٧١] الى جميع أعضائها ، أحاطتهم الرابطة علما بتعيين أوريليوس هاتريس كاهنا أكبر وبأنه قد سدد رسوم القيد المقررة قانونا • وحتى تستكمل الرابطة اجراءاتها بالنسبة للعضو الجديد ، أرفقت نص المرسوم الذى أصدرته فى هذه المناســبة مع رسالة مفسرة وبعثت بهما الى مجلس شــيوخ مدينة أوكسيرينخوس ، موطن هاتريس ، حتى تمكنه من الاستفادة الكاملة من الامتيازات والحقوق المترتبة على عضوية الرابطة وأهمها بطبيعة الحال الاعفاء من الضرائب ومن الأعباء الالزامية العامة[٧٢] •

وعلى ما يبدو كان أعضاء النقابات المحليــة للفنانين أتبــاع ديونيسوس أو ممثلون عنهم يشكلون الجمعية العموميــة (الكوينون Koinon) « للرابطة العالمية » ، التى اتخذت من روما مقرا اداريا لها • وكانت الجمعية العمومية هى التى تعين رؤساء الرابطة سنويا ، وهى التى تقرر اجراءات مثل اقامة التماثيل ومنح التيجان للأعضاء البارزين والخيرين من الشخصيات العامة الذين يرعــون الرابطة بعطاياهم وهباتهم • كما كانت تتخذ الاجراءات التأديبية حيال المقصرين من الأعضاء ، مثل توقيع الغرامة على المندوبين الذين يتخلفون عن الظهور فى الاحتفالات التى كلفوا بتمثيل الرابطة فيها • وعادة كان المسئول الأول فى الرابطة هو كاهن ديونيسوس ، وكان يجوز اعادة انتخابه فى نهاية عام رئاسته • والى جانبه كان أمين الصندوق وأمين السر • كما كان هناك مندوب حكومى ، يتم تعيينه بواسطة الامبراطور على ما يبدو ، حتى يراقب ما يدور داخل الرابطة • ومع ذلك فقد كان للرابطة بعض مظاهر الدويلة المستقلة فى الطريقة التى كانت المدن تستقبل بها مبعوثيها • فالبروكسينوى Proxenoi الذين يمثلونها كان

(٧٠) P. Oxy. 2476, 17 — 33.

(٧١) P. Oxy. 2476, 12 — 17.

(٧٢) P. Oxy. 2476, 34 — 49.

معترفا بهم لدى الدول والنقابات الأخرى ، وكانت ترسل سفراءها (الثيوروى Theoroi) لكى يظهروا مع وفود المدن فى الاحتفالات الكبرى • وكان للرابطة احتفالها Panegyris السنوى الخاص • ولكن كانت هناك أيضا احتفالات شهرية واحتفالات لتكريم الحكام والخيرين من رعاة الرابطة ، فضلا عن اقامة الولائم العامة وحفلات الخمر ، كما كانت تساهم فى تقديم القرابين بالاشتراك مع المعــابد الكبرى والمدن ، وكان أعضاؤها يسيرون فى المواكب الرسمية مرتدين الملابس الأرجوانية والذهبية(٧٣) • وكانت الأجور تختلف اختلافا كبيرا بطبيعة الحال بحسب أهمية الاحتفال وبحسب مكانة الفنان • ولكن بوجه عام كان الممثلون يتقاضون أعلى الأجور ، فى حين كان الراقصون يحصلون على أقلها(٧٤) •

* * *

فى القرن الأول الميلادى ، كان فى كل مدينــة تقريبا فى شرقى الامبراطورية الرومانية يوجد « اتحاد رياضى » ، أو « مجمــع الكســوستوس Xystos المقدس » • وكلمة « كسوستوس » كانت تعنى فى الأصل ذلك الجزء المعمد المسقوف داخل مبنى الجيمناسيوم ، والذى كان رواد الجيمناسيوم يستخدمونه عند التدريب فى فصل الشتاء(٧٥) ، ثم اكتسبت الكلمة مفهوما آخر يفيد معنى « ملتقى رياضى » يضم رياضيين محترفين من أماكن مختلفة ، ونشاطه الرئيسى هو تنظيم مباريات فى الألعاب الرياضية • وأكثر هذه الاتحادات أو

---

(٧٣) Lindsay, **LPRE**, pp. 241 — 242.

(٧٤) انظر على سبيل المثال :

P. Oxy. 519; BGU. 1648.

(٧٥) Vitruvius, **On Architecture,** V. XI. 4 : Haec autem porticus xystos apud Graecos vocitatur, quod athletae per hiberna tempora in tectis stadiis exercentur".

النقابات الرياضية شهرة كان « مجمع هيراكليس » الذى تشكل أول الأمر فى ساردیس Sardis على ما يبدو ، حيث كان ينظر اليه بوصف كونه الاتحاد الرياضى الرئيسى فى الشرق • ولكن روما كانت مركز الامبراطورية ، ومع نمو المركزية كان طبيعيا أن يرغب الأباطرة أكثر فأكثر أن تكون المنظمة الرياضية الرئيسية تحت سيطرتهم المباشرة • ومن ناحية أخرى فقد شهد القرن الثانى الميلادى تزايدا مطردا فى تأثير العناصر الاغريقية أو الشرقية فى الامبراطورية فى ظل أباطرة محبين للاغريق • وفى عصر هادريان يبدو أن « مجمع هيراكليس » هذا كان قد انفض فى ساردیس وانتقل نشاطه الى روما ، حيث كانت توجد نقابة مماثلة منذ وقت طويل ، ولكنها لم تكن المركز الرئيسى • فنعلم أن رياضيا مرموقا من افيسوس ، يدعى ماركوس أولبيوس دوميستيكوس Domesticus ، بادر بجمـــع الفائزين المقدسين من الرياضيين ، وكذلك الرياضيين المحترفين بوجه عام ، وتقدم بالتماس الى الامبراطور هادريان طالبا منحهم قطعة أرض فى روما يقيمون عليها المركز الرئيسى لطائفتهم بالاضافة الى دار كبيرة لحفظ سجلاتهم • ولدينا رسالة من الامبراطور هادريان بتاريخ ٥ مايو من عام ١٣٤ م يصدق فيها على الالتماس • ولكن يبدو أن بعض المعوقات برزت بعد ذلك وأدت الى تأخير التنفيذ • وفى عام ١٤٣ م أعاد دوميستيكوس تقديم الالتماس الى الامبراطور أنطونينوس بيوس ، فصدر مرسوم امبراطورى فى يوم ١٦ مايو من ذلك العـــام يمنح الرياضيين دارا يستطيعون أن يحفظوا فيها سجلاتهم وأشياءهم المقدسة ، بالقرب من حمامات تراجان ، وتقع فى مكان مناسب للألعاب الرومانية الكبرى ، الكابيتوليا Capitolia • وفى عام ١٥٤ م تم افتتاح الدار بوصف كونها أثليتاروم كوريا Athletarum Curia ، أو مجلس الرياضيين وكانت الدار تضم جيمناسيوم خاص للأعضاء ، وقاعة كبرى للمجلس ، حيث كان يمكن مناقشة كل الأمور المتعلقة بصالح ورفاهية الرياضيين واقامة المباريات وتحديد أماكنها ومواعيدها ، وكذلك التصديق على اقامة التماثيل التشريفية ، وغيرها من الأمور • وهكذا ، مثلما كانت

مركزا للرابطة العالمية للفنانين أتبـــاع ديونيسوس ، أصبحت روما أيضا المركز الادارى للرياضيين المحترفين فى الامبراطورية[٧٦] •

والاسم الكامل لهذه الرابطة العالمية ، سواء قبل أو بعد انتقال مركزها الادارى الى روما ، هو « المجمع المقدس للرياضيين الجوالين أتباع هيراكليس »[٧٧] • ومن الواضح أنهم اتخذوا من هيراكليس راعيا لهم وعلما على رابطتهم • أما علاقتهم الوثيقة بالأباطرة فلعلها تعود الى عهد أغسطس نفسه[٧٨] • غير أن أقدم اشارة فى مصادرنا الى هذه العلاقة ترجع الى عهد الامبراطور كلاوديوس (٤١ — ٥٤ م) ففى عام ٤٧ م أوفد المجمع بعثة لتهنئة الامبراطور بانتصاره على البريطانيين قدمت له فى هذه المناسبة تاجا من الذهب • ولدينا نسخة من الرسالة التى بعث بها كلاوديوس الى المجمع معبرا عن سعادته باستلام التاج بوصف كونه رمزا على ولاء المجمع له[٧٩] • وفى رسالة أخرى يعلن كلاوديوس عن امتنانه وتقديره للدور البارز الذى قام به المجمع بحماس فى تنظيم مهرجانى الألعاب اللذين أقامهما ملكا كوماجينى Commagene وبونطوس Pontus على شرف الامبراطور[٨٠] • ويبدو أن عهد كلاوديوس بصفة خاصة شـــهد تطورا ايجابيا ملحوظا فى علاقة الأباطرة بالمجمـــع فى فترة ما قبل انتقال مركزه الادارى الى روما ، وربما تمثل ذلك فى شكل امتيازات جديدة منحها الامبراطور

---

(٧٦) Gardiner, **AAW**, pp. 107 — 109; Lindsay **LPRE**, pp. 157 — 159.

(٧٧) P. Lond. 1178, 37 — 38 : He hiera xystiké Peripolistiké synodos ton peri ton Herakea.

(٧٨) Johnson, RE, p. 398 no. 252.

(٧٩) P. Lond. 1178, 8 — 14 : Tiberios Klaudios ...... Synodo xystiké peripolistike, chairein. Ton Pemphthenta moi hyph hymon epi te kata Bretannon neike chrysoun stetphanon hédeos elabon symbolon periechonta tés hymeteras pros me eusebeias.

(٨٠) P. Lond. 1178, 16 — 31.

لأعضاء المجمع ، أو امتيازات قديمة أقرها لهم رسميا . فلدينا نص رسالة بعث بها الامبراطور فسباسيان (٦٩ — ٧٩ م) الى أعضاء « مجمع هيراكليس » عقب توليه السلطة فى الامبراطورية يطمئنهم فيها بقوله : « بما أننى عليم بحسن سمعتكم وتميــز مكانتكم يا معشر الرياضيين ، فأنا أيضا أعتزم المحافظة على جميع الامتيازات التى منحها لكم كلاوديوس بناء على طلبكم »(٨١) .

ومثلما كان حال الرابطة المقدســة للفنانين الجــوالين أتباع ديونيسوس ، فان نشاطات المجمع المقدس للرياضيين الجوالين أتباع هيراكليس لم تكن قاصرة على مدينــة روما . فكلمة بيريبوليستيكى Peripolistiké ، « الجوال » ، التى ارتبطت باسم هذه المنظمة الرياضية وبأعضائها ، تشير الى أنها كانت تساعد فى تنظيم المباريات ، وبلا شك كانت تمارس نوعا من الســيطرة على احتفالات الألعاب المحلية فى جميع أنحاء الامبراطورية . وقد رأينا كيف أنه حتى قبل انتقال مركزها الى روما ، كانت تمارس نفس الدور من سارديس ، حين تولت تنظيم احتفالات الألعاب التى أقيمت فى كوماجينى وبونطوس تكريما للامبراطور . وكان أعضاؤها يأتون من « العالم المأهول » ، أو بالأحرى من جميع أنحاء الامبراطورية ، ورؤساؤها ، كما سوف نرى ، كانوا أبرز الرياضيين المرموقين فى عصرهم . وهكذا من الناحية العملية ، ان لم يكن من الناحية النظرية ، أصبح المجمع الرياضى فى روما هو المركز الرئيسى لجميع الاتحادات الرياضية فى الامبراطورية ، وبهذه الصفة كان ينعم بحظوة خاصة عند الأباطرة الذين رأوا فى تنظيمه أداة ثمينة لتأمين ولاء المدن المختلفة .

---

(٨١) P. Lond. 1178, 32 — 36 : .... Eidos hymon ton athleton to endoxon kai philoteimon panta hosa kai ho klaudios aitésamenois hymein Synechorése kai autos phylattein proairoumai

ولدينا وثيقة بردية تلقى بعض الضوء على نشاطات المجمع وعلى جهازه الادارى وعلى شخصية الأعضاء • وهى عبارة عن شـــهادة قانونية صادرة من المجمع الى جميع الأعضاء ، تعلمهم فيها بأن ملاكما من هرموبوليس Hermopalis (الأشمونين) ، يدعى « هرمينوس » Hermeinos ، وكنيته « موروس » Moros (وهى كنية طريفة ، إذ تفيد معنى « الغبى » أو « البليد » !) قد أصبح عضوا فى المجمع Synodités ، وأنه قد سدد بالكامل رسم اشـــتراك العضـــوية Entagion المقرر قانونا ، وقدره مائة دراخمة[٨٢] • وقد صدرت الشهادة فى نابلى فى يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٤ م ، أثناء الاحتفال بالدورة التاسعة والأربعين « للألعاب الأوغسطية الايطالية الرومانية الكبرى » ، فى حضور كبار القائمين على شئون المنظمة ، الذين وقعوا على صحة الشهادة • ومن قراءة قائمة أسماء هؤلاء المسئولين والألقاب والصفات المصاحبة لها[٨٣] ، تبرز نقطتان • أولا ، أن قيادة المنظمة كانت جماعية فى تشكيلها • فالادارة العليا كانت منوطة بهيئة مكونة من ثلاث رجال متساوون جميعا فى حمل ثلاثة ألقاب وظيفية : « الكاهن الأكبر للكسوستوس فى كل مكان » Archiereus tou Sympantos Xystou و « كسوستارخيس مدى الحياة » Xystarchés dia biou و « المشرف على الحمامات الامبراطورية » Epi Balaneion tou Sebastou • والى جانبهم كان هناك اداريان كبيران يحمل كل منهما لقب « أرخون المجمع » Archon tes Synodou • ثم كان هناك أيضا « مشرف مالى » Argyrotamias • وفى أســفل الجهاز الادارى للمنظمة يأتى كاتب وكاتب مساعد • ثانيا : اذا استبعدنا الكاتبين ، فان الجهاز الادارى للمنظمة كان يتشكل بأكمله من رياضيين عالميين بارزين جاءوا من أقطار مختلفة ، خاصة من شرقى الامبراطورية ، وأغلبهم ينتمون الى فروع ألعاب المنازلات العنيفة ، وكل منهم يصف

---

(٨٢) P. Lond. 1178, 1 — 7 37 — 44.

(٨٣) P. Lond. 1178, 50 — 65; cf. 66 — 83.

نفسه ، مثل كبار الفنانين أتباع ديونيسوس ، بأنه « بارادوكسوس » . فالمشرف المالى كان مدربا ورياضيا لامعا من افيسوس ، سبق له أن حاز على لقب « بيريودونيكيس » Periodonikés ، وهو لقب يفيد معنى « بطل الدورة » ، وكان يحصل عليه من يتمكن من الفوز فى جميع مهرجانات الألعاب البانهللينية الأربعة الكبرى على التوالى فى دورة رياضية واحدة ، كما حاز مرتين على لقب « أفضل الهللينيين » Aristos Hellenon . وأحد الأرخونين كان عداء مرموقا من ميتيلينى Mytilene ، أما الأرخون الآخر فكان مصارعا ولاعب بنكراتيوم من « ميرا » Myra ، سبق له أن فاز فى العديد من مهرجانات الألعاب الدولية . أما الاداريون الثلاثة الكبار فكانوا جميعهم حائزين على لقب « بيريودونيكيس » . وفى الحقيقة أن واحدا منهم ، وهو لاعب بنكراتيوم من سارديس ، فاز باللقب مرتين ، فضلا عن أنه كان مصارعا « أليبتوس » Aleiptos ، أى « لا يغلب » . وثانيهم كان مصارعا ولاعب بنكراتيوم من الاسكندرية . وأما ثالثهم فكان مصارعا من سميرنا Smyrna .

* * *

لاحظنا من قبل أن الجائزة الرسمية فى « الألعاب المقدسة » كانت منذ البداية تاجا مجدولا من أوراق الشجر ، ولذلك كانت تعرف بالألعاب التاجية . وقد ظلت كذلك طوال العصر الهللينستى والرومانى ، وان كان فى كثير من الأحيان يصبح التاج من الذهب الخالص ، كما أنها لم تعد تستبعد الجوائز المادية ، خاصة مع بداية مهرجانات الألعاب المستحدثة أو القديمة التى نالت مكانة « الألعاب المقدسة » وامتيازاتها . ولاحظنا كذلك أن السمة المميزة لهذه الألعاب لم تعد « التاج » ، وانما بقدر ما كان « النصر » يشار اليه فى الصفة الغربية « إيسيلاستيكوس » التى التصقت بها ، والتى تفيد معنى « له دخول المنتصر » حتى شاع تسمية الألعاب المقدسة التاجية بالألعاب الإيسيلاستيكية . فالترحيب العفوى التلقائى الذى كان يستقبل به

أهالى « البوليس » الاغريقية القديمة ورجالاتها الفائزين من مواطنيهم عند عودتهم ، فيدخلونهم الى مدينتهم فى موكب انتصار ، تحول بمرور الزمن وأصبح موكب انتصار رسمى كان يمكن للفائز المحترف أن يطالب به بوصفه حقا ثابتا يكفله له القانون ويترتب عليه امتيازات مادية واضحة .

وفى عصر أغسطس يصف فتروفيوس هذه الظاهرة فى مقدمة الكتاب التاسع من مؤلفه عن « فن العمارة » ، فيذكر محتجا أن الفائزين من مشاهير الرياضيين « عندما يعودون مظفرين الى مواطنيهم . يدخلون الى مدنهم فى موكب انتصار بعرباتهم ذات الجياد الأربعة ، وينعمون بمعاش مدى الحياة من الدولة »(٨٤) . وكان فتروفيوس ينكر على الرياضيين هذا الامتياز ويستكثره ، ويرى أن الأحق به والأجدر هم المفكرون والمبدعون الذين يثرون الفكر الانسانى وينمون المعرفة بكتاباتهم وابداعاتهم . وحسب رواية كاسيوس ديون ، فان مايكيناس Maecenas ، صديق أغسطس ومستشاره الخاص ، نصح الامبراطور بأن لا يسمح بمنح حق الاعاشة مدى الحياة Sitésis Athanatos دون تمييز لأى شخص يفوز فى احدى المباريات العامة ، وانما يقصره على الفائزين فى الألعاب الأوليمبية والبوثية والالعاب التى تقام فى روما ذاتها ، وفيما عدا ذلك كان يرى أن الجوائز المادية التى تقدم للفائزين فى كل مناسبة كافية تماما . وكان مايكيناس يعتقد أن ذلك من شأنه أن يجنب المدن ارهاق نفسها دون مبرر ، وفى نفس الوقت سوف يؤدى الى احجام الرياضى العادى عن التفرغ طول الوقت للتمرين والألعاب فلا يقدم على ذلك الا من يشعرون بأن لديهم فرصة

---

(٨٤) Vitruvius, **On Architecture**, IX. Preface, I :

" ...... Cum revertantur in suas civitates cum victoria, triumphantes quadrigis in moenia et in patrias invehantur e reque publica perpetua vita constitutis vectigalibus fruantur".

حقيقية للفوز فى تلك المهرجانات الدولية الكبرى ، أما الباقون فسوف ينصرفون الى ممارسة أعمال أكثر فائدة لهم وللصالح العام[٨٥] .

غير أنه اذا كان احتجاج فتروفيوس ، كما يمكن أن نتوقع ، لم يسترع انتباه أحد ، فمن المؤكد أيضا أن أغسطس أغفل نصيحة مستشاره ، فلم يحافظ فقط على الامتيازات التى كان يتمتع بها الرياضيون ، بل وزاد منها ، حسبما روى لنا سويتونيوس . وفى عهده وفى عهود الأباطرة الذين جاءوا من بعده ، تضاعف عدد الألعاب المقدسة ، وظل ينمو باطراد ، فلا عجب أن تزايد بصورة ملفتة عدد الفائزين الذين كانوا يحصلون على حق الدخول الى مدنهم فى موكب نصر . وبدلا من حق الاعاشة Sitésis من الانفاق العام فى البروتانيون Prytaneion (دار البلدية) ، أصبح الفائزون فى الغالب يحصلون على معاش Opsonion دائم يتقاضونه نقدا كل شهر . وفى عهد تراجان كان الفائزون فى الألعاب المقدسة فى ولاية بيثينيا Bithynia على سبيل المثال ، يثيرون جدلا حول معاشهم احتاج حاكم الولاية ، بلينى الأصغر ، فى حسمه الى الرجوع الى الامبراطور شخصيا . ففى احدى رسائله الى تراجان ، يعرض بلينى[٨٦] أن الرياضيين الفائزين فى الألعاب الإيسيلاستيكية يعتقدون أنهم ينبغى أن يتسلموا معاشهم اعتبارا من يوم تتويجهم ، ويجادلون بأن تاريخ دخولهم الى مدينتهم فى موكب انتصارهم لا صلة له بحساب بداية استحقاقهم للمعاش ، فالعبرة فى رأيهم بتاريخ الفوز الذى خول لهم فى الأصل الحق فى اقامة موكب النصر . غير أن بلينى كان يميل الى الاعتقاد بأن تاريخ دخولهم هو الجدير بالاعتبار . كما كان الرياضيون يطالبون بمكافآت عن انتصارات سابقة فازوا بها فى مهرجانات ألعاب رفعت فيما بعد الى مرتبة الألعاب المقدسة الإيسيلاستيكية . ومع أن بلينى

---

(٨٥) Dio, LII. 30, 3 — 6.

(٨٦) Pliny, **The Letters**, X. 118.

كان يعارض هذا الاجراء أيضا ، الا أنه كان يدرك أن موضوع امتيازات الرياضيين من الأهمية والحساسية بحيث يستوجب عرض كل ما يثور حــوله على الامبراطور حتى يبت فيه بنفســه • ومن الواضح أن الامبراطور أولى الموضوع اهتمامه ، اذ بعث الى بلينى برسالة(٨٧) بسط فيها قراره بوضوح فجاء مطابقا لما كان بلينى يرجحه •

كان الفائز فى أى ألعاب مقدسة إيسيلاستيكية له الحق المؤيد بقانون امبراطورى فى الحصول على معاش من مدينته • وكل ما كان عليه أن يفعله ، هو أن يقدم طلبا الى مجلس المدينة محررا من ثلاث نسخ ، ولم يكن أمام المجلس أى خيار سوى الموافقة(٨٨) • وفى بعض المدن ، مثل مدينة هرموبوليس ، كانت المكافآت التى تقدم للفائزين سخية تماما ، كما يتضح من مجموعة الوثائق التى وصلتنا من عهــد جاللينوس Gallienus (٢٥٣ — ٢٦٨ م) • فعلى ما يبدو كانت تقدم مكافآت منفصلة لكل الانتصارات الفردية ، وبذلك كان فى وسع الرياضى المحترف أن يتيقن من امكانية حصوله على دخل جيد من المباريات • ولم تكن كل المكافآت عن جميع الألعاب المقدسة متساوية ، وانما كانت تتراوح بين ١٨٠ و ٤٠٠ دراخمة فى الشهر(٨٩) •

ولدينا التماس تقدم به لاعب بنكراتيوم من هرموبوليس وفائز فى الألعاب المقدســة Hieronikés الى مجلس شــيوخ Boulé مدينتــه ، يطلــب فيه صرف مستحقاته من الحســـاب العــام Politikos Logos عن معاشــين Opsonia استحقهما بواقع ١٨٠ دراخمة فى الشهر لكل منهما ، وذلك لتتويجه فى مناسبتين : الأولى عندما فاز فى الألعاب المقدسة الإيسيلاستيكية التى أقيمت فى مدينته ،

---

(٨٧) Pliny The Letters, X. 119.

(٨٨) E. g. C. P. Herm. 55; 70.

(٨٩) Johnson, RE, p. 397.

والثانية عندما فاز فى « ألعاب الشباب المقدسة الإيسيلاستيكية العالمية الايسوليمبية » ، التى أقيمت فى صيدا[٩٠] . وبالرغم من الأسماء العريضة الرنانة لهذه الألعاب ، فقد كانت فى حقيقة الأمر ألعابا محلية ، ولابد أن أهميتها كانت ثانوية . ومع ذلك فقد كانت تتمتع بمكانة الألعاب الإيسيلاستيكية وامتيازاتها . وهكذا تمكن رياضى متواضع مثل صاحب الالتماس ، من خلال فوزين اثنين حققهما فى مهرجانات ألعاب ثانوية ، أن يؤمن لنفسه دخلا شهريا قدره ٣٦٠ دراخمة ، أى بواقع اثنتا عشرة دراخمة فى اليوم من الحساب العام فى مدينته . ويمكن لنا أن ندرك قيمة هذا المعاش اذا عرفنا أن العامل الماهر كان يحصل على ٤ دراخمات فى اليوم ، وأن متوسط الأجور لعمل يوم كامل كان حوالى دراخمة واحدة[٩١] . وعندما يكون فى وسع رياضى مغمور أن يحصل على مثل هذا المعاش ، فلابد أن معاش مشاهير الرياضيين العالميين من أبطال المنازلات كان هائلا .

وفى ألعاب الأنتينويا Antinoeia التى أنشأها الامبراطور هادريان فى أنتينوؤبوليس ، كان الفائزون يحصلون على حق اعاشة من الانفاق العام ، كما كانوا يعفون من الضرائب . والجدير بالملاحظة أن حق الاعاشة كان يمكن التصرف فيه ونقله للغير ، سواء بالوصية أو بالبيع أو بغيره . ففى وثيقة يرجع تاريخها الى عام ١٨٠ م ، تعاقد أحد أعضاء مجلس شيوخ مدينة أنينوؤبوليس مع ملاكم على شراء حقين اعاشة باسمى ولديه القاصرين لقاء مبلغ ألف دراخمة .

« أودايمون Eudaemon وشهرته نيلوس Nilus ، وهيراكيون Hieracion وشهرته أنوبيون Anoubion ، قاصران ، من مواطنى

---

(٩٠) C. P. Herm. 52 — 56, Col. IV = Șelect Papyri, II, no. 306.

(٩١) Gardiner, **AAW**, p. 113.

أنتينوؤبوليس ، بواسطة والدهما هيراكيون وشــهرته أثينودوروس Athenodorus ... عضو مجلس شيوخ المدينة ... الى توربو Turbo ابن أبوللونيوس وشهرته أمونيوس ... عضو رابطة الفائزين فى الألعاب المقدسة المعفين من الضرائب . توربو يقر بأنه تسلم من هيراكيون مبلغ ألف دراخمة من الفضة بوصفه الثمن المتفق عليه لبيع حقين اعاشة من الانفاق العام كان قد فاز بهما فى مباريات الملاكمة للرجال فى ألعاب الأنتينويا الكبرى التى أقيمت فى أنتينوؤبوليس ... (يذكر تواريخ المباريات) ... حسب مذكرة البيع الرسمية المسجلة فى السجلات المحلية مع كافة الحقوق المتضمنة فيها » .

ولنا أن نعرف بعد ذلك أن توربو كان أميا لا يعرف القراءة أو الكتابة ، فلم يستطع أن يكتب بنفسه اقرار استلامه المبلــغ فى ذيل العقد ، فكتبه عنه نساج ، ووقع على العقد ثلاث شهود[٩٢] .

ولكن بطبيعة الحال ، ليس كل الرياضيين المحترفين كانوا يفوزون ويحققون لأنفسهم ثروات أو يؤمنون معاشا طيبا عندما تتقدم بهم الســن ويصبحون « عباءات بالية مهترئة » . ويبــدو أن الحكومة الرومانية إرتأت مساعدة الرياضيين الأقل حظا ، فمنحت حق أولوية التعيين فى بعض الوظائف العامة الخفيفة لكبار الســن من قدامى الرياضيين ، بل حتى قصرت عليهم بعض هذه الوظائف . ففى وثيقة ترجع الى القرن الثالث الميلادى ، نقرأ التماسا تقدم به أحد هؤلاء الرياضيين المسنين رقيقى الحال ، يطلب تعيينه فى وظيفة كيروكس Kéryx ، أى « مناد » ، فى اقليم الهبتانوميا Heptanomia (مصر الوسطى) . والمنادى كان فى الغالب اما دلالا على المبيعات العامة ، أو مذيعا يتولى اعلان شتى القرارات والمراسيم العامة بين الناس . وليس واضحا بالتحديد فى طلب الوظيفة ما كان سوف ينادى عليه ، ومقدم طلب التعيين لا يملك مؤهلات خاصة ، فهو مجــرد عامل

---

(٩٢) Johnson, **RE**, pp. 397 — 398 no. 251.

بسيط فى احدى الحرف ، ولكنه رياضى قديم ، ويذكر فى تسويغ طلبه أن وظيفة المنادى مخصصة ، بموجب مرسوم امبراطورى ، للرياضيين المسنين من أمثاله ، ويقدم تبريرا شيقا لامتيازات الرياضيين ، فيزعم أن المباريات التى يبلى فيها الرياضيون أنفسهم ما هى الا قرابين يتقربون بها للآلهة من أجل نصر وسلامة الأباطرة(٩٣) .

* * *

وعلى ما يبدو أن الغالبية العظمى من الرياضيين المحترفين كانوا أميين ليس لهم اهتمامات ثقافية . ولكن بعضهم ، خاصة من حرص منهم على أن يتقدموا فى سلك الخدمة العامة ، كانوا يحاولون أن يتسلحوا بالتعليم وأن ينسبوا أنفسهم الى طبقة المثقفين . ولدينا رسالة رسمية يرجع تاريخها الى عام ٢٦٧ م ، بعث بها مجلس شيوخ مدينة هرموبوليس مهنئا عضوا بارزا من أعضائه بسلامة العودة من روما . هذا العضو البارز هو أوريليوس بلوتيون Plution ، وهو من أهالى المدينة ، وكان فى شبابه مصارعا مشهورا ، وأصبح الآن يحمل لقب « دوكيناريوس Ducenarius » ، وهو لقب شرفى على ما يظهر ، ولكنه كان أيضا بروكيوراتور Procurator ، أو وكيل أعمال امبراطورى . ومع ذلك فقد كان يحصل على معاش رياضى . والجدير بالملاحظة ، فى سياق موضوعنا ، أن الرسالة تشير اليه بلقب فخم ، وهو « عضو الموسيون Mouseion » (دار العلم والمكتبة) فى الاسكندرية . ولعل بلوتيون ابتهج لذلك بصفة خاصة عندما تسلم الرسالة ، اذ فيها اعتراف به بوصفه واحدا من العلماء . ومع ذلك ، ففى وثائقنا اشارات الى أشخاص آخرين غير بلوتيون يوصفون بأنهم أعضاء فى معهد الاسكندرية . ويعتقد بعض الباحثين أن هؤلاء لم يكونوا فى الحقيقة علماء أو دارسين ، وانما كانت عضويتهم على ما يبدو شرفية ، على نحو ما تمنح المؤسسات الأكاديمية فى عصرنا الزمالة الفخرية . ومع

---

(٩٣) P. S. I. 1422; Lindsay, **LPRE**, p. 161.

ذلك فنحن لا نعرف ما يكفى عن هؤلاء الأشخاص ، وبالتأكيد لا نعرف ما يكفى عن بلوتيون حتى نجزم بأنه لم تكن لديه اهتمامات ثقافية ، على الأقل بوصفه قارئا ان لم يكن بوصفه كاتبا(٩٤) .

ومثال آخر على هذه الفئة من الرياضيين الذين تمكنوا من تثبيت أقدامهم فيما هو أبعد من مجرد الاحتراف الرياضى ، مصارع من أهالى الاسكندرية يدعى ماركوس أوريليوس أسكليبياديس Asclepiades ، الذى عاش فى روما فى زمن الامبراطورين ماركوس أوريليوس وكومودوس . ونعرف عنه من ثلاث نقوش مكتوبة باللغة الاغريقية وتصفه بأنه « نيوكوروس الرب الكبير سارابيس » Ho Neokoros tou Megalou Sarapidos ، و « النيوكوروس الأكبر » Ho Presbytatos Neokoros أى « رئيس النيوكوروى » . والنيوكوروى Neokoroi هم أمناء المعبد والمشرفون الاداريون على شئونه ، وكان لهم مكانتهم ، حتى أن الكتاب القدماء يصنفونهم عادة ضمن الطبقة الكهنوتية العليا . غير أن أهميتهم كانت بالضرورة تتفاوت تبعا لمكانة المعبد الذى ينتسبون اليه . وعلى أية حال ، ففى العصر الامبراطورى أصبحت وظيفة « النيوكوريا » Neokoria مسئولية تشريفية يتقلدها وجهاء الناس . ويعتقد ماليز Molaise أن هذا الرياضى السكندرى كان يمارس نيوكوريته فى معبد سارابيس الرئيسى فى مدينة الاسكندرية ، وليس فى روما . ففى واحد من النقوش يتضح أنه كانت له صلة بالموسيون هناك(٩٥) . وفضلا عن ذلك كان أسكليبياديس يحمل لقب الكاهن الأكبر فى أحد الجيمناسيا ، وان كنا لا نعرف ما اذا كان الجيمناسيوم المعنى فى روما أو فى الإسكندرية(٩٦) . والجدير بالاحظة أن أسكليبياديس كان ينتسب

---

(٩٤) Turner, **GP**, pp. 85 — 86.

(٩٥) M. Malaise, **Les Conditions de Pénétration et de Diffusion des Cultes Egyptiens en Italie** (Leiden, 1972), pp. 131 — 132.

(٩٦) Malaise, **CPDCEI** p. 73.

الى أسرة احترفت الألعاب الرياضية عبر عدة أجيال • فمن النقوش التى تركوها فى روما وفى غيرها نستطيع أن نتعرف على الأقل على أربعة أجيال من الرياضيين المرموقين • فأبوه ، ماركوس أوريليوس ديمتريوس ، كان مصارعا ذائع الصيت و « رئيس ملتقى رياضى » (كسوستارخيس) وواحدا من الرؤساء الثلاثة الكبار فى مجمع هيراكليس الرياضى فى روما • وقد خلف أسكليبياديس أباه فى رئاسة المجمع وشاركه فى رئاسة الملتقى الرياضى (الكسوستارخية) • ثم خلفهما فى نفس الموقع ابنه ماركوس أوريليوس ديمتريوس (الثانى) • وتبعهم على نفس الطريق حفيده المصارع ماركوس أوريليوس سارابيون ، الذى يظهر لنا مع أبيه فى نقش أقاماه تكريما للرب سارابيس عند نهاية القرن الثانى الميلادى(٩٧) •

وروح التفاخر والدعاية الذاتية وحب تحطيم الأرقام القياسية ، كلها كانت سمات مميزة لمشاهير الرياضيين فى عصر الامبراطورية ، ونلمس هذا فى نقش تركه لنا أسكليبياديس • فهو يقدم بيانا مسهبا بألقابه ويعدد المدن التى منحته مواطنتها (الشرفية) أو عضوية مجالس شيوخها • ثم يعرض سجله الفذ بوصفه « لاعب بنكراتيوم منقطع النظير ، متين لا يقهر » • ويفاخر بقوله : « لم أتحد أحدا للنزال ، ولم يجرؤ أحد فى زمانى أن يتحدانى ، ولم أقتسم التاج مع أحد ، ولم أتجنب مباراة ، ولم أقدم احتجاجا ، ولم أنسحب من أى مباراة ، ولم أشترك فى أى مباراة لارضاء أمير ، ولم أشترك فى أى ألعاب جديدة مزيفة ، وانما فى جميع المباريات التى سجلت فيها اسمى فزت بالتاج فى الحلقة ذاتها ، وبعد أن تم اجازتى فى جميع الاختبارات التمهيدية » • وكان أسكليبياديس حائزا على لقب بيريودونيكيس (بطل الدورة) ، وفى احصاء قائمة انتصاراته الطويلة يسجل دائما كيف أنه كان يشل حركة كل خصومه منذ اللحظة الأولى

---

(٩٧) Malaise, **CPDCEI**. pp. 27, 132.

لبداية المباراة • ويقول أنه اعتزل اللعب فى سن الخامسة والعشرين ، « بسبب المخاطر والأحقاد التى أحدقت به » • وبعد فترة انقطاع دامت عدة سنوات ، قبل العودة للمبـاريات مرة أخرى ، وفاز فى مباراة البنكراتيوم فى الأوليمبياد السادس (١٩٦ م) « للألعاب الأوليمبية » التى أنشأها ماركوس أوريليوس فى الاسكندرية[٩٨] •

ومن هذا القبيل أيضا ، نجد رياضيا مصريا يوصف على نقش شاهد مقبرته بأنه « روفوس Rouphos ، الفائز الذى لا ينسى فى الألعاب الكابيتولية والأوليمبية والبوثية والاسثمية ، الفائز المذهل فى عدد هائل من المباريات ، المدرب ، المصارع ، الملاكم ، لاعب البنكراتيوم ، الكسوستارخيس (رئيس الملتقى الرياضى) »[٩٩] •

ولدينا سجل لحياة رياضى مرموق من أهالى سارديس ، وهو لاعب البنـكراتيوم ماركـوس أوريليـوس ديموسـتراتوس دامـاس Demostratus Damas ، وكان زميلا لديمتريوس ، والد أسكلييياديس ، فى رئاسة مجمع هيراكليس الرياضى فى روما • فقد أقام له أبناؤه تمثالا فى موطنه سارديس وعلى قاعدته نقش[١٠٠] يسجل انتصاراته وتشريفاته • ويؤكد النقش أنه كان محطما للارقام القياسية • « فقد فاز فى أكثر من مائة مباراة ، منها ثمانية وستين فوزا فى الألعاب المقدسة الايسيلاستيكية » • « وكان الأول والوحيد بين الرجال فى كل العصور الذى فاز فى عشرين مباراة للشباب فى الألعاب المقدسة ، وثمانية وأربعين فى الألعاب المقدسة بعد أن تقدم من سن الشباب الى سن الرجولة » • وفضلا عن ذلك ، « فى روما ، فى ألعاب النصر التى أقامها الامبراطوران أنطونينوس وكومودوس ، توج بتاج من الذهب وفاز بجائزة ذهبية » • « وقد كرمه المؤلة ماركوس والمؤله كومودوس

---

(٩٨) Gardiner, **AAW**, pp. 112 — 113.

(٩٩) Lindsay, **LPRE**, p. 158.

(١٠٠) Lewis — Reinhold, **RC**, II pp. 235 — 236.

بمنحه المواطنة الكاملة لمدينة الاسكندرية » . ومنهما حصل على تشريف « برئاسة الملتقى الرياضى » (الكسوستارخية) فى العـــديد من مهرجانات الألعاب المقدسة فى روما وفى أماكن أخرى كثيرة فى أنحاء الامبراطورية . كما حصـــل على تشريف ممـــاثل من الامبراطورين سيفيروس وأنطونينوس (كاراكاللا) . ويذكر النقش أن ديموستراتوس التمس من الامبراطورين الأخيرين أن يخلفه ولداه فى مكانه وأنهما أجاباه الى طلبه ، فأصبح ابنه أوريليوس داماس « الكاهن الأكبر للكسوستوس فى كل مكان وكسوستارخيسا مدى الحياة ، ومشرفا على الحمامات الامبراطورية » ، وأصبح ابنه « داميانوس » كسوستارخيسا (رئيسا لملتقى رياضى) . ويشير النقش الى ابنين آخرين . وكان الأبناء الأربعة جميعهم مصارعين ويصف كل منهم نفسه بأنه بطل وفائز فى العديد من المباريات وبارادوكسوس .

* * *

الادعاءات المسرفة التى يتشدق بها الرياضيون ربما تحملنا على الظن بأنهم كانوا جنسا فوق البشر . ولكن يمكن اختبار قيمة عباراتهم الطنانة ودعايتهم الذاتية من خلال أعمال المؤلفين المعاصرين ، وليس من مجرد اشارات عابرة ، وانما من دراسات عن الرياضيين . ومن أبرز هؤلاء الكتاب « جالن » Galen البرجامى ، الذى عاش فى آخر القرن الثانى وأول القرن الثالث الميلاديين ، وكان طبيبا اشتغل لبعض الوقت فى مدرسة مجالدين ، وكان فى الحقيقة مدافعا عظيما عن التدريبات الرياضية وأهميتها الصحة ، وله آراء حول أسسها الصحيحة عبر عنها فى بحث له بعنوان « التمرين بالكرة الصغيرة » . ولكن بالنسبة للرياضيين المحترفين فى أيامه ، لم يكن لديه شىء طيب يقوله عنهم . ففى بحثه عن « نصيحة فى اختيار الوظيفة » ، يناقش مهنة الرياضى متسائلا : هل فى حياة الرياضى (ويقصد المنتمى الى فروع ألعاب المنازلات العنيفة) منفعة له أو للدولة ؟ وعن هذا التساؤل أجاب « جالن » بلا مؤكدة . وهذه هى مبرراته :

« العقل أسمى من الجسد ، لأن العقل نشترك به مع الآلهة ، أما الجسد ، فمع الحيوانات . وفى نعمة العقل ليس للرياضيين نصيب . فتحت كتلة أجسادهم الضخمة تختنق أرواحهم كما لو كانت فى بحر من الوحل . وهم لا يتمتعون حتى بأفضل نعم الجسد . فقد أهملوا القاعدة الصحية القديمة التى تصف الاعتدال فى كل شىء ، وباتوا يقضون حياتهم بين افراط فى التدريب واسراف فى الأكل واستغراق فى النوم ، مثلهم مثل الخنازير . فلا عجب أنهم نادرا ما يعمرون طويلا ، واذا طال بهم العمر ، تراهم مقعدين وعرضة لكل صنوف المرض . وهم لا يملكون صحة ولا جمالا . وحتى أولئك الذين منحتهم الطبيعة جسدا متناسقا ، يصيبهم الانتفاخ والبدانة . وأغلبهم ترى وجوههم بشعة قبيحة ، شوهتها الجروح فى مباريات الملاكمة والبنكراتيوم . وهم يفقدون عيونهم وأسنانهم ، كما أن أوصالهم تهصر وتعصر . وحتى قوتهم التى يتبجحون بها ، عديمة الفائدة . فقد يستطيعون أن يحفروا وأن يحرثوا الأرض ، ولكنهم لا يقدرون على القتال ، ولا يستطيعون أن يتحملوا الحرارة أو البرد ، ولا يمكنهم ، مثل هيراكليس ، أن يرتدوا ثوبا واحدا صيفا وشتاء ، وأن يمشوا حفاة ويناموا فى العراء ، ففى كل هذا هم أضعف من الأطفال حديثى الولادة »[١٠١] .

غير أن الرأى الشعبى كان يعتبر بعض الرياضيين من أبطال

---

(١٠١) Gordiner, **AAW**. pp. 114 — 115.

يعتقد « جاردنر » ان وصف جالن ليس فيه أدنى مبالغة ، بل تؤيده وتؤكده جميع الاعمال الفنية التى تصور الرياضيين المحترفين المرموقين ، والتى تبدو كما لو كانت قد صورت لتوضيح الوصف الذى قدمه « جالن » .

ومثال ذلك صور المصارعين المشهورين فى مطلع القرن الثالث الميلادى والمرسومة بالفسيفساء فى حمامات كاراكاللا ، اذ نراهم صفا بعد صف بأجسامهم الخرقاء المفرطة فى النمو ، ورؤوسهم الصغيرة المتبلدة البلهاء ، وتعبيراتهم الوحشية القاسية ، « فهم لا يملكون صحة ولا جمالا » . أنظر نفس المرجع ، شكل ٧٤ ، وقارن شكل ٧٢ .

المنازلات شخصيات بطولية . وكتاب التنجيم كتبوا عن « الرياضى الذى ينال أمجاد النبالة عن جدارة » ، وعبارات أخرى كثيرة تشيد بالرياضى النبيل . والتركيز على النبالة يوحى باختراق ما كان حكرا على الاستقراطية[١٠٢] . وجلى مما عرضنا له فى الصفحات السابقة أن الأباطرة كانوا يسلمون بمكانة متميزة للرياضيين ، وكانوا بأنفسهم يولون عناية خاصة بهم وبنقاباتهم ونشاطاتهم . فالامبراطور لم يكن فقط يعين كبار المسئولين فى المجمع الرياضى الرئيسى فى روما ، بل كان يعين أيضا رؤساء الملتقى الرياضى (الكسوستارخيس) لرئاسة مهرجانات الألعاب فى روما وفى الولايات ، كما كان هو الذى يمنح الرياضيين امتيازاتهم ، وكانت المسائل التى تثار فيما يتعلق بهذه الامتيازات تحال اليه شخصيا حتى يبت فى أمرها . وكانت مكانة بعض الرياضيين المرموقين يمكن أن تشفع لذريتهم حتى بعد مماتهم ، فيشملهم الأباطرة بعطفهم ويغدقون عليهم الامتيازات اكراما لذكرى آبائهم . ونعرف عن شاب صغير يتيم من هرموبوليس ، يدعى أيليوس أسكليبياديس ، وهو ابن لرياضى كان يحمل نفس الاسم ، تقدم بالتماس لاعفائه من الالتزامات والأعباء العامة . واهتم بأمره البروكيوراتور بلوتيون (وهو نفسه الرياضى وعضو الموسيون الذى سبقت الاشارة اليه) ، فزكى طلبه ورفعه الى الامبراطور جاللينوس . وجاء رد الامبراطور معبرا بوضوح عن المكانة الحقيقية التى كان يتمتع بها هؤلاء الرياضيون فى ظل الامبراطورية ، وهذا نصه :

« من الامبراطور قيصر بوبليوس ليكينيوس جاللينوس بيوس فيليكس أغسطس ، الى أوريليوس بلوتيون ، تحية . حسنا فعلت وعملت الصواب أن أوليت الغلام اليتيم اهتمامك وكتبت لى فى شأنه . ان واجب العدالة بالاضافة الى محتوى إلتماسك يدفعانى الى منحه المكرمة فى الحال . فغلام له مثل هذا النسب ، أبوه

(١٠٢) Lindsay, **LPRE**, p. 158.

« اسكيبياديس » وجده « نيلوس » . وهما رجلان كانا فى ما مضى مرموقين فى المصارعة ، كيف لا يكون أهلا لأن ينالها بيسر ؟ لذلك ، يعفى أيليوس أسكليبياديس ، وشهرته نيلوس ، من جميع الالتزامات والمناصب والأعباء العامة الاجبارية (الليتورجيا) ، حتى ينعم باحسانى اكراما لشجاعة أسلافه »(١٠٣) .

* * *

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن ، لماذا كان الرياضيون والفنانون أتباع ديونيسوس يتمتعون بتلك المكانة المتميزة ، ولماذا كان كل هذا الاهتمام بهم من جانب الأباطرة ؟ لعل الاجابة على هذا السؤال نجدها عند « فرونتو »(١٠٤) الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى . فشعبية الحكم كانت تعتمد بالدرجة الأولى على توفير وسائل التسلية للجماهير . ومهرجانات الألعاب التى تعتمد على عروض الفنانين والرياضيين كانت أنجح هذه الوسائل ، فهى التى كانت تجعل كل الناس سعداء . ولابد أنها كانت تعكس الذوق العام . وجلى أن مستوى هذا الذوق كان فى هبوط مستمر ، فلا عجب أنه كان يفضل الألعاب العنيفة والفن الهزيل(١٠٥) .

---

(١٠٣) C. P. Herm. 119, Verso III, 8 — 16 = Select Papyri, II, no. 217.

(١٠٤) Fronto, **Elements of History., XVII** : " It was the height of political wisdom for the empeior not to neglect even actors and the other performers of the stage, the circus, and the arena, since he knew ...... that the success of the government depends on amusements as much as on serious things. Neglect of serious matters entails the greater detriment, of amusements the greater unpopularity, ... the shows keep the whole population happy ". (Translation, Lewis — Retinhold, **RC**, II, pp. 229 — 230, with note 19).

(١٠٥) Cf. e. g. Dio Chrysostom, **Discourses,** XXXII. 47 — 48, 59.

مسألة العقبة بين شرق الاردن والسعودية

بين عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٧ م

دكتور / عبد العليم على عبد الوهاب ابو هيكل
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

العقبة منطقة تقع بأعلى الطرف الشمالى لخليج العقبة ، وهى لهذا الموقع المتطرف جغرافيا ملتقى لحدود عدد من الكيانات هى : مصر وفلسطين والعربية السعودية ثم شرق الاردن ٠

وترجع أهميتها بالنسبة لمصر باعتبارها نقطة العبور البرى للمحمل المصرى الى الأماكن المقدسة بالحجاز[١] ، وازدادت أهميتها بالنسبة للدولة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر مع بناء خط سكك الحديد الحجاز ، المار بالقرب منها قادما من سورية والمتجه أيضا الى المدينة المنورة ووجود رغبة فى مد خط له من معان الى العقبة[٢] ٠

كما حرصت شرق الأردن على ضمها الى حدودها عقب الاعلان عن قيام الدولة فى ابريل عام ١٩٢١ ، حتى يمكن أن تتخذها ميناء بحريا لها ، باعتبار (العقبة) هى الموقع الوحيد الذى يتيح لها ذلك الهدف ، الذى يقترب أيضا من الهدف الفلسطينى باعتبارها المنفذ البحرى لها على البحر الأحمر الذى يتيح لها الاتصال البحرى بشرق أفريقيا وآسيا[٣] ٠

---

(١) الدكتور يونان لبيب : الأصول التاريخية لمسألة طابا ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ ٠

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٤ ٠

(٣) National Archives, Records of the Department of State Relating to Internal Affairs of Jordan, 890I — 0018, Report on (Akaba), from Division of Near Eastern Affairs, 15/10/1937 p. 9.

أما أهميتها بالنسبة للملكة العربية السعودية فبالاضافة الى موقع (العقبة) الاستراتيجى على الساحل الشرقى لها باعتبار أن (خليج العقبة) ذو صفات يتميز بها — عن بقية الخلجان على هذا الساحل[٤] . من ناحية الموقع على البحر الأحمر ، ومن ناحية ثانية ، فالمدينة ترتبط برباط طبيعى مع داخل المنطقة الشمالية الغربية للمملكة عبد امتداد (وادى التيم) الذى يصب قرب العقبة ومبتدأ منه سلسلة جبال السراة[٥] . على أن هذا الارتباط الجغرافى لم يكن ليمثل شيئا ذات أهمية ، لولا ارتباطه بالعنصر البشرى من خلال الامتداد القبلى لـ (شمر والحويطات) عبد هذا الوادى ووادى السرحان ، حيث تنتشر فيها المراعى المناسبة لقطعانهم خلال فصلى الربيع والشتاء[٦] وقوة بأس هذه القبائل وهيمنتهم على النطاق الفاصل بين جنوب سورية الطبيعية وشمال الجزيرة العربية ، (حيث تمثلت عقدة لدى الوكلاء المقيمين فى عمان ، مفادها التخوف والخشية الدائمة من وجود رباط وعقد دائم بين القبائل الحجازية والنجدية وقبائل شرق الاردن وظل

---

(٤) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٦٨ ، ص ١٥ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٢٤

(٦) National Archives, Intarnal Affairs of Jordan, OP. cit. pp. 7/8.

وتعتبر الرولا من أقوى القبائل القاطنة أيضا فى هذه المنطقة ، ووضعت بعض المصادر زعيمها فى هذا الوقت وهو (نورى الشعلان) فى مصاف أمراء الجزيرة العربية (انظر لورنس فى أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٢١ فى الطبعة الثانية ، بيروت ، فبراير ١٩٧٩) ، وتحكم هذا الزعيم فى منطقة وادى السرحان كما تستوى معها فى القوة (الحويطات) وزعيمها (عودة أبو تايه) الذى استمد قوته من (عنفه القتالى) ثم خليفته (حامد آل جازى) الذى أصبح عضوا فى مجلس الشورى الأردنى ، وتميز بدهاءه عندما كان يهادن الأتراك فيأخذ الأموال منهم ، ويهادن العرب أو الانجليز فيأخذ منهم ما يشاء ، حتى أصبح من أغنى الشيوخ فى شرق الاردن . Ibid PP. 7/8.

هؤلاء الوكلاء يضعون نصب أعينهم العمل على عدم تحريك النزاع الأبدى بين القبائل واقرار سلام دائم بينهم)[٧] .

وهكذا أضحى (موقع العقبة) مسألة استراتيجية منذ بداية بلورة الشكل السياسى لبعض الكيانات المحيطة به عقب الحرب العالمية الأولى مثل العربية السعودية وشرق الاردن وفلسطين .

أما قبل هذا الموعد فلم يكن هذا الموقع سوى نقطة للراحة عبر الطريق الصحراوى الملتف حول خليج العقبة والمؤدى الى سيناء فى مصر و (وادى عرابة) جنوب سورية وشمال الحجاز[٨] . وظلت من الناحية الاقتصادية محدودة الأهمية ، باعتبارها بقعة يفد اليها البدو خلال موسم الحج لتقديم بعض المساعدات لهم أو ارشادهم لدروب السير باتجاه الحجاز[٩] ، كما أقيمت بها بعض المساكن ليقطنها الصيادون واتخذوها موطنا لهم[١٠] .

---

(٧) National Archives, 890 i. 00/8, OP. cit, p. 13.

وكانت اهم الحركات التى ظهرت فى تلك المنطقة ـــ حركة (حامد ابن رفاده فى أواخر عام ١٩٣٢) المضادة لابن سعود حيث اتخذت من العقبة وما حولها منطلقا لها ، الا أن صاحب الحجاز ونجد تمكن من اخمادها . انظر : عبد الله العلى الزامل ـــ أصدق البنود فى تاريخ عبد العـــزيز آل سعود ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٧٥ ـــ ١٧٧ . والأخطر منها ، هو (زحف قبائل الشمال نحو عمان عقب الاعلان عن قيام شرق الاردن واجتياح قبائل بنى صخر واقترابها من العاصمة فى منتصف عام ١٩٢٢ م) .

انظر عن هذه الأحداث ـــ مفصلة ـــ عبد العليم على عبد الوهاب ، العلاقات بين عبد العزيز والاخوان ١٩١٢ / ١٩٣٠ ـــ رسالة ماجستير غير منشورة بآداب عين شمس ـــ ١٩٧٦ ـــ صص ٢١٧ / ٢١٨ .

(٨) Naval Intelligence Division, Geographical Handbook Series Western Arabia and the Red Sea, Jun, 1946, pp. 91 — 93.

(٩) Palgrave (W. G.), Narrative of A Year's Journey Through Centeral and Eastern Arabia, Part : I, Cambridge, 1969, PP. 2 — 4.

(١٠) N. A. 890i . O14/8, OP. cit.

وبوفاة الخديو توفيق فى بداية عام ١٨٩٢ م ، انتهز السلطان عبد الحميد الفرصة لفصل شبه جزيرة سيناء عن مصر ، الا أن الضغوط البريطانية اضطرت الباب العالى الى الاعتراف (بأن الخط الذى يسير فى اتجاه جنوبى شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش الى رأس (خليج العقبة) سوف تظل تحت الادارة المصرية وأن قلعة العقبة شرق هذا الخط سوف تبقى قسما من ولاية الحجاز)(١١) .

وهكذا تأكد أن العقبة والمنطقة الواقعة شرقها تقع ضمن حدود الحجاز وبالتالى تحت حكم الأشراف ؛ واستقر الأمر على هذا الوضع دون مشاكل ، طالما ظلت التبعية محددة بنطاق جغرافى وسيادى للدولة العثمانية(١٢) .

دعم هذا الاستقرار أن الوحدة السياسية الجديدة (شرق الاردن) لم تكن قد برزت على السطح فى ذات الوقت قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها . وبالتالى ظل النطاق الصحراوى القائم بين جنوبى سورية الطبيعية وشمال الحجاز والذى تقبع العقبة داخل نطاقه ، مجالا واسعا لحركة القبائل ، وبعيدا عن أنظار القوى الأخرى المحيطة(١٣) .

وتأكد هذا الاستقرار سياسيا عند قيام الشريف حسين بن على بثورته عام ١٩١٦ وزحفه باتجاه الشمال ، وما لبثت بريطانيا عند وصول القوات العربية الى منطقة العقبة ومعان ، أن بدأت من ناحيتها احتواء هذه الثورة بصورة كاملة ومباشرة بعد أن حركتها من وراء حجاب وهى داخل الحجاز ، وأستندت بريطانيا فى هذا التحول تجاه قوات الشريف الى :

---

(١١) د. يونان لبيب رزق : المرجع السابق ، ص ٢٢

(١٢) Lancaster (W.), The Rwala Bedouin Today, London, 1989, PP. 81 — 83.

(١٣) Naval Iitelligence Division OP. cit. PP. 94 — 95.

أولا : تقدمت موجات الثورة داخل نطاق قوى قبلية شـــديدة المراسى ومتأرجحة الميول تبعا لمصالحها الخاصة فقط مثل (الرولا والحويطات والشرارات وبنى عطية)[١٤] .

ثانيا : وهو الأهم أن بريطانيا اعتبرت هذا التغلغل باتجاه (معان والعقبة) ، هو (أمر غير مرغوب فيه حاليا)[١٥] .

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى ودخول قوات الثورة مدينة دمشق ، ثم انعقاد مؤتمر القاهرة تحت اشراف وزارة المستعمرات البريطانية لبحث شؤون الشرق الأوسط وفلسطين فى الفترة من ١٢ الى ٢٤ مارس ١٩٢١ والذى جاء فى قراراته تعيين الأمير عبد الله بن الشريف حسين بن على أميرا لشرق الأردن[١٦] . والذى كان مقيما فى (معان) حينما وصلته تلك الأنباء ، ويستعد وقتها ومعه ثلة من رجال القبائل لنجدة أخيه فيصل بدمشق[١٧] .

فى هذا التاريخ وضعت البذور الأولى (لمسألة العقبة) بين شرق الأردن والسعودية .

فقد تبين أن الموقف البريطانى من توجهات وتحركات الثورة العربية تجاه الشمال نحو العقبة بصفة خاصة لم ينشأ من فراغ ، بل كان قائما ضمن نطاق الاستراتيجية البريطانية العامة خلال الحرب العالمية ، والقائمة على اتخاذ العقبة (كبديل استراتيجى) للقواعد

---

(١٤) Lancaster, OP. cit, P. 84.

(١٥) F. O. 882/19, Telegram from Arab Beureau Cairo to Sir Gilbert Clayton, 8/3/1914.

(١٦) Report on Middle East Conferance Held in Cairo and Jerusalem 12/24 March, 1921.

(١٧) لنشوفسكى (جورج) : الشرق الأوسط فى الشؤون العالمية ، جـ ١ ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ١٩٦٤ ، ص ١٣٧ .

البريطانية فى مصر ، خاصة مع اقتراب هذا البديل من الخطـوط التركية •

فإلى جانب امكانية اتخاذ الأراضى المحيطـة بالعقبة كحظائر للطائرات فان سواحلها المحمية وأرضها المغلقة بسلسلة من الجبال ، يمكن اتخاذها كقاعدة للخطوط البحرية تخدم بشكل جوهرى القواعد الجوية الأخرى ، فتكون هضبة سيناء العالية وامتداد جبال الحجاز على الخليج والبحر الأحمر بمثابة الظهير الذى يحمى السفن والطائرات البريطانية(١٨) •

كما نظرت السلطات البريطانية الى (العقبة) باعتبارها ــ نقطة انتقال من الخـط المائى الى المواصلات البرية باتجاه البحر المتوسط أو مصر ، وهى بهذا (الموقع) يمكن وضعها أيضا (كبديل استراتيجى) اذا ما توقفت الملاحة فى قناة السويس ، حينئذ فان (ميناء العقبة سوف يكون ذات قيمة استراتيجة لا حدود لها) ولهذا السبب أيضا ، فهناك فكرة مبدئية تقوم على (التفكير فى انشاء قناة من منطقة ما على الساحل الفلسطينى تمر عبر وادى الاردن والبحر الميت حتى يصل الى قمة الخليج ــ عند العقبة) بالرغم مما كانت تنظر اليه السلطات البريطانية من صعوبات يمكن أن تعترض مثل هذا المشروع(١٩) •

كما لم تتوقف أهمية العقبة الاستراتيجية عند الحدود الحربية ، بل أيضا الى قيمتها الاقتصادية ، فقد وضعت بريطانيا نصب أعينها أهمية الميناء التجارية باتجاه شرق أفريقيا وآسيا لخدمة حركة التجارة فى الجزء البريطانى فى بلاد الشام والعراق ، وامكانية اقامة فرع من فروع خط أنابيب البترول القادم من الموصل ويمر عبر منطقة شرق

---

(١٨) N. A. Washington, 890 i. O 14/11, Report from Department of Staet, Division of Near Eastern Affairs to Jerusalem, 75/10/1937.

(١٩) Ibid.

الاردن . مما يعطى للمدينة قيمتها كمركز بترولى ممتاز بالنظر الى ما يمكن أن يتعرض له البحر المتوسط من أخطار محدقة خلال الحروب وتقلبات العلاقة السياسية[٢٠] .

ومع اتفاق سايكس — بيكو — ثم مقررات مؤتمر سان ريمو فى ابريل عام ١٩٢٠ م وتوزيع الانتداب على البلاد العربية ، ومجىء العراق وفلسطين من نصيب بريطانيا ، فى ذات الوقت الذى كانت فيه شرق الأردن قد ظهرت بالوجود ، وأصبحت هذه البلدان العربية الثلاث مقيدة بالتوجيهات البريطانية ، فى ذات الوقت الذى صار فيه مصير الأسرة الهاشمية بأيد ذات القوة ، ولم تكن قوات ابن سعود قد اقتربت بعد من الحجاز .

لهذه المقررات كلها ، سلمت الحكومة البريطانية الى مجلس عصبة الأمم فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٢ مذكرة حددت فيه المناطق التابعة لشرق الاردن ، وجاءت من بينها (العقبة) باعتبارها من نطاق الحدود الجنوبية للامارة ونقطة من مناطق الدفاع عنها . وجاء فى نص المذكرة (أنه تبعا لمقررات الانتداب المتعلقة بفلسطين ، فان بريطانيا تؤكد أن الحدود الجنوبية لشرق الأردن المجاورة لفلسطين فان حدود الأولى تشمل كافة المناطق الواقعة الى شرق الخط الواقع عند نقطة تقع على بعد ميلين غرب مدينة العقبة على الخليج حيث تقع ضمن نطاق وادى عرابه)[٢١] .

---

(٢٠) فى ديسمبر عام ١٩١٨ كان (كليمنصو ولويد جورج) قد اتفقا قبيل مؤتمر الصلح على نقل الموصل من دائرة النفوذ الفرنسى الى النفوذ البريطانى ، مقابل حصة من ثرواتها البترولية الذى كان قد منح امتياز استخراجه لشركة النفط التركية المكونة من ٧٥٪ بريطانية و ٢٥٪ المانية وفى ١٨ ابريل ١٩١٩ وقع (بيرانجيه) عن فرنسا والمستر والتر لونج اتفاقا تحصل بموجبه فرنسا على حصة المانيا ، وسرعان ما أيد مؤتمر سان ريمو هذا التوقيع — انظر — لنشوفسكى : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٢١) N. A. 890 i — 014/11 OP. cit. P. 3.

وجاء رد عصبة الأمم على هذه المذكرة البريطانية الواردة من وزارة المستعمرات ، بأن حدود الانتداب فى فلسطين والمناطق المجاورة له فى كل من الحجاز ونجد وشرق الاردن ليست محددة بصورة واضحة دقيقة ، وأن بريطانيا نفسها حينما أشارت الى هذه الحدود فقد جاءت اشارتها بشكل عام غير واضح دون تحديد[٢٢] .

ولهذا ظل الموضوع المتعلق بالتبعية الرسمية للعقبة غير واضح أو محدد ، طالما ظلت مقاليد الأمور بيد بريطانيا فقط .

كما أن الشريف حسين نفسه عندما تنازل عن عرشه فى الحجاز وغادر مكة المكرمة متجها الى (العقبة) لم تسمح له بريطانيا بالاقامة بها ، وطلبت منه السفر الى عمان ومنها الى قبرص ، بحجة أن الوهابيين وهم يتعقبون الأشراف ، سوف يتخذون من وجوده فى تلك المدينة ذريعة للزحف خلفه وتهديد امارة نجله الحديثة فى شرق الاردن ، فى ذات الوقت الذى أعلنت فيه أن حدود الدولة الجديدة تشملها العقبة ، وأكد الأمير عبد الله هذا الاجراء معتمدا على المساندة البريطانية[٢٣] .

وفى الوقت الذى بدأت فيه السلطات الاردنية بتشجيع من بريطانيا ، اقامة مبنى للجوازات وآخر لموظفى الحكومة بالمدينة ، فقد رد الشريف حسين على الانذار الموجه اليه وتلك الاجراءات الادارية ، بمطالبة بريطانيا العظمى اخلاء العقبة ، فهى مقره ليست لكونها ملجأ له ، ولكنها حسب قوله ، مقرا له منذ الثورة العربية التى قام بها ، وكان دائم التنقل اليها من مدن الحجاز وقال حسب ما أوردته المصادر البريطانية (بالرغم من أن المنطقة الواقعة بين معان والعقبة منذ نهاية

---

(٢٢) N. A. 890 i — 014/13, OP. cit.

(٢٣) N. A. op. cit, 890 i — 14/11.

(٢٤) Ibid.

الحرب تابعة للانتداب البريطانى لشرق الاردن ، فانها لم تخضع رسميا لهذه الامارة ، أو لسيطرة القوات البريطانية ، وأنها لابد وأن تظل واو بصورة مؤقتة تحت سيطرته حيث يقيم بها منذ وصوله اليها فى عام ١٩١٨)[٣٤] .

فى يونيو وأغسطس عام ١٩٢٥ تأكدت سيطرة عبد العزيز بن سعود على الحجاز ، ويبدو أن بريطانيا حينئذ أدركت ما يمكن أن يتمخض عنه هذا التطور من نتائج سلبية على موقفها مع الحجاز وأهميتها الاسلامية ، فبادرت بارسال تقرير الى عصبة الأمم فى شهر أغسطس ١٩٢٥ جاء فيه أن اقليم (معان) وهو من الأقاليم التى تشملها المساحة الواقعة تحت الانتداب البريطانى ، فان خضوع (العقبة) المرتبطة بها اداريا كانت تابعة بصفة مؤقتة لحكومة الحجاز ، (أما حاليا وقد أضحى الأمر مصيريا يتحتم حسمه ، فان العقبة ومعان يجب أن تتبع شرق الاردن)[٣٥] .

وعللت هذا الموقف الحاسم الذى اتخذته فى هذا الوقت بالذات بأن هناك العديد من الأصوات العربية داخل شرق الاردن نفسه خاصة من القبائل العربية التى تنتشر بين الامارة الجديدة فى شمال الحجاز بالاضافة الى بعض الشخصيات البريطانية نفسها أمثال (جون فيلبى) تدعى القول ، أن المقررات البريطانية فيما يتعلق بمسألة التبعية لبعض المواقع أو تخطيط الحدود ، ما هى الا (اجراءات هامشية لا قيمة لها ، لأنها تهدف فى المقام الأول الى خلق كيان للملك حسين تعويضا عما خسره فى الحجاز كما فعلت مع أنجاله فى عمان والعراق) ، ويستمر فيلبى بالقول (أن بريطانيا ظلت تؤمن لفترة طويلة أنه ليس هناك أرض مرتبطة بأشخاص ، ولكنها الآن تعتمد فى تبعية العقبة

---

(٣٥) N. A. OP. cit, 890 i — 014/11.

لشرق الاردن على كونها تابعة للأسرة الهاشمية ليس الا وبالتالى هناك تناقض واضح فى موقفها)(٣٦) .

وفى الوقت الذى قام فيه الأمير عبد الله فى يوليو ١٩٢٥ باصطحاب عدد من الرسميين فى حكومته وبعض المسئولين البريطانيين والاردنيين ومعهم بعض القوات التى كانت تشمل ١٥٠ رجلا من أبناء القبائل المؤيدة له فى عمان وزار الجمع (معان) واكتفوا بذلك رغم نصائح البعض بالتوجه الى العقبة(٣٧) ، وفى المقابل وردت بعض التقارير تفيد أن أحد الزوارق الايطالية قد أتت الى العقبة فى مظاهرة عسكرية بدعوة من عبد العزيز بن سعود ، وسرعان ما عادت أدراجها(٣٨) .

كان على المسئولين البريطانيين أمام هذه البداية (للمناوشات) المتبادلة بين الأشراف وآل سعود ، وضع استراتيجية لضبط العلاقات معهم من جهة وبينها وبينهم كل على حدة من جهة ثانية ، فقامت هذه السياسة على حفظ التوازن بين الأسرتين (الهاشميون فى الشمال ، وآل سعود فى الجنوب) بوضع المسـائل الرئيسـية بينهما موضعا (هامشيا) والابتعاد عن بحثها ، وكان منها (قضية التبعية للعقبة) ، من خلال الشعور البريطانى بالحاجة الى (سياسة طويلة الأمد لهذه الأقطار ، أقل تكلفة لها وأكثر خبثا)(٣٩) .

انطلاقا من تلك السياسة طالبت وزارة المستعمرات من (سير جلبرت كلايتون — Sir Gilbert Clayton) التوجه الى ابن سعود لبحث مسألة الحدود بين شرق الأردن والحجاز ، وفى العـاشر من

---

(٣٦) N. A. OP. cit, 890 i — 014/11.

(٣٧) Ibid P. 56.

(٣٨) Ibid, P. 3.

(٣٩) لنشوفسكى : المرجع السابق ، جـ ١ ، صص ١٣٦ / ١٣٧

سبتمبر ١٩٢٥ توجه المسؤول البريطانى الى جدة من أجل العمل (على إقرار الأوضاع على الحدود والبحث فى المسائل الاخرى)[٣٠] .

والملفت للنظر — أن الطرفين قد ركزا مباحثاتهما التمهيدية على مسألة الحدود بين نجد وشرق الأردن ، وليست بين الحجاز والأخيرة ، مع الاخذ فى الاعتبار أن — الحجاز قد آلت كلها الى ابن سعود ، حيث جاء فى المادة الأولى من اتفاقية (حداء) الموقعة فى الخامس عشر من شهر ربيع الثانى ١٣٤٤ ﻫ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥ ما يلى :

« يبتدىء الحد بين نجد وشرق الأردن فى الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ (شرقى) ودائرة العرض ٣٢ (شمالى) حيث تنتهى الحدود بين العراق ونجد ، ويمتد على خط مستقيم ، الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ (شرقى) بدائرة العرض ٣١٫٢٥ (شمالى) ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقى) بدائرة العرض ٣٠ (شمالى) تاركا ما برز من أطراف وادى السرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقى) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٩٫٣٥ (شمالى) أما الخارطة التى يرجع اليها فى هذه الاتفاقية فهى الخارطة المعروفة بالدولية (آسيا مقياس واحد على مليون)[٣١] .

وعلقت الوثائق الأمريكية ، على ما جاء فى هذه المادة بأن مسألة الحدود الجنوبية لشرق الأردن ، اعتبرت واحدة من المسائل الثانوية غير محددة المعالم سواء بالنسبة لهذه الامارة الجديدة أو لشمال الحجاز ، خاصة عند منطقة العقبة ، بحيث أن هذه المسألة لم تظهر حينئذ وكأنها قضية تحتاج الى ايضاح أو تحكيم سواء بالنسبة لابن سعود أو للأمير عبد الله بن الحسن ، وبالتالى لم تكن هناك أية محاولات من أجل التفاوض بشأن الحدود بصفة عامة و (العقبة) بصفة خاصة ،

---

(٣٠) N. A. Op. cit, 890 i — O 14/11, P. 5b.

(٣١) صحيفة أم القرى : السنة ٢ ، العدد ٦٠ ، ٢٩ فبراير ١٩٢٦ م .

وأن قدم ابن سعود خلال المباحثات التمهيدية للاتفاقية استعداده لتقديم (معلوماته الدقيقة) عن الحدود الجنوبية لشرق الاردن ، وكان رد حكومة جلالة الملك أنها تعتبر هذه المسألة المتعلقة بالعقبة من المسائل المستحسن عدم إدراجها فى مثل هذه الموضوعات الحساسة ، وان أشار فى ذات الوقت الى أن وجهة النظر البريطانية تعتبر أن الحدود الجنوبية لشرق الأردن تبدأ عند تقاطع خط الوسط ٣٨ وبموازاة الخط ٢٩ر٣٥° عبر خط سكك حديد الحجاز حتى جنوب (المدورة) ومن خلال هذا التحديد فان (مدينة العقبة) الواقعة على النقطة الجنوبية المحددة ، تدخل ضمن نطاق شرق الاردن[٣٢] .

وهكذا استبعدت مسألة تحديد الحدود الجنوبية لشرق الاردن ، الشمالية بالنسبة للحجاز ، وبالتالى تجاهل موقع (العقبة) بينهما بصورة متعمدة من قبل (كلايتون) بناء على تعليمات حكومته ، حفاظا على موقفها وتثبيتا سالفة الذكر .

وتأكدت هذه السياسة مرة أخرى عام ١٩٢٧ ، عندما عاد (جلبرت كلايتون) فى منتصف مايو من هذا العام الى جدة لعقد معاهدة بين بريطانيا والحكم الجديد فى الحجاز ، وتكرر الحديث فى المباحثات التمهيدية عن (مبدأية) الموقف البريطانية من قبل (ايمانها) بأن خط الحدود الفاصل بين الحجاز وشرق الأردن هو نفس الخط المحدد فى اتفاقية (حداء) عام ١٩٢٥ ، وكان رد ابن سعود هو الآخر ، (بأنه لا يعترف بهذا الخط الفاصل الذى تقدمه بريطانيا وهو أمر مستحيل بالنسبة له ، الا أنه من أجل تهدئة الأوضاع حاليا ، فانه من خلال رغبته الصادقة فى توطيد العلاقات بينه وبين شرق الاردن فانه متمسك بموقفه بعدم بحث هذه التنظيمات الغامضة المتعلقة (بمعان

---

(٣٢) N. A. 890 i — 014/11 OP. cit, P. 5b.

والعقبة) حتى تأتى الظروف المواتية لبحثها ، وعندئذ سوف نضع نهاية لمثل هذه المسألة)[٣٣] .

وبالفعل فقد كان لمعاهدة جدة الموقعة فى ٢٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٢٧ أربعة ملاحق : جاء فى الثانى منها ما ملخصه المحافظة على الحالة الراهنة فى الحدود بين الحجاز والاردن ، وفى منطقة معان والعقبة الى أن تحين الظروف المناسبة لتسويتها تسوية نهائية[٣٤] .

وبناء على توقيع اتفاقية القدس فى ٢٠ فبراير ١٩٢٨ بين بريطانيا وشرق الاردن التى جعلت السلطة العليا فى الأخيرة بين بريطانيا وفقا لنصوص الانتداب ، وبالتالى أضحى المجال مفتوحا أمام الانجليز لاتخاذ بعض الخطوات داخل العقبة بدعـوى (خـدمة أهـداف الاستراتيجية داخل منطقة الانتداب الذى شمل بصورة (قانونية) شرق الأردن وفلسطين والعراق ، بعد توقيع تلك الاتفاقية[٣٥] .

وبدأت هذه الخطوات باقامة مبان داخل العقبة فى أواخر عام ١٩٢٨ ، بلغ عددها أربعة بدعوى التمهيد لاقامة الطريق البرى بين حيفا ـ بغداد ، وأنها مجرد مقار لتجمعات الأشخاص للعمل فى هذا الطريق[٣٦] .

أدرك ابن سعود أن فى الأمر شيئا يجرى من وراء ظهره بعد توقيع اتفاقيتى جدة والقدس عند الشروع فى اقامة تلك المبانى ، وكان رده على هذا ، ما لا حظته المصادر الأمريكية من تدفق أعداد من الرعاة المحليين بصورة مكثفة غير معروفة الهوية ومعهم قطعانهم ، أقاموا

---

(٣٣) Ibid, P. 6.

(٣٤) امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ـ جـ ٢ ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٩) ـ الرياض ، ص ١٩٨ .

(٣٥) لنشوفسكى ـ المرجع السابق ـ صص ١٧١ / ١٧٦

(٣٦) N. A. 890 i 014/11, OP. cit.

فى مدينة العقبة وسرعان ما صحبهم بعض الرجال تحت دعوى أنهم من الحجيج ، وتعتقد هذه الوثائق أنهم من أتباع ابن سعود ، وظلت هذه التحركات تتوالى منذ عام ١٩٢٨ حتى سبتمبر ١٩٣٤ ، وأرجعت تلك الوثائق مصادرها الى ما ورد فى تقرير مفوضية الانتداب فى رسالته رقم ٢١٠ فى شهر سبتمبر من ذلك العام(٣٧) .

وهكذا عاد الصراع بين الأطراف المعنية بشكل غير مباشر ، وان تميزت الخطوات البريطانية فى صراعها هذا باتجاه (خلق أمر واقع) حتى أضحت سياسة واضحة وبصورة تدريجية تصاعدية ، عندما قامت قنصليتها بالقدس بشراء مساحة شاسعة من الأراضى المحيطة (بالعقبة) بسعر مخفض للغاية ، لم تحدد المصادر قيمته(٣٨) .

كانت الخطوة التالية هى مطالبة العربية السعودية صراحة بنقل منطقة (معان والعقبة) الى حدود فلسطين أو شرق الأردن ولكن بتصريح بريطانى ، أو منح الانجليز وعدا بالسماح لهم باقامة عدة مبان على ساحل الخليج داخل العقبة بغرض استخدامها للدفاع عن أمن البحر الأحمر ، مقابل امداد العربية السعودية بما تحتاجه من سلاح وذخيرة(٣٩) .

على أن ابن سعود ، تبعا لما أوردته الوثائق الأمريكية ، بدلا من هذا العرض البريطانى أعلن تنازله عن (معان) لتصبح تابعة لشرق الأردن ، مقابل أن يسحب الأخير ما لديه من قوات على حدودها الى

---

(٣٧) N. A. 890 i. 14/11, OP. cit.

(٣٨) N. A. 890 i. 52/2, Dispatch from American Consular Officer Jersualem to Solan, Bagdad 23/11/1932.

(٣٩) N. A. 890 i. 014/4, From American Consular of Aden to Fanx on Bagdad, 28/8/1988.

(٤٠) N. A. 890 i. 014/8, From American Consular (Jernualem) to Brant, 1/10/1833.

داخلية بلاده[٤٠] . ولم توضح المصادر عما اذا كان هذا التنازل عن (معان) باعتبارها جــزء من التنظيمات الادارية التابعــة للأمير عبد الله[٤١] ، كان هو الثمن المقابل فى سبيل اعتراف الاخير بسيادة فى أواخر عام ١٩٢٦ من خلال الاتفاق الذى استطاع (عبد الله بن سراج) ابن سعود على الحجاز لأول مرة منذ خروج الاشراف نهائيا من الاقليم رئيس الحكومة الأردنية ، الوصول اليه مع ملك العربية السعودية فى ٣١ مارس ١٩٣٣ م[٤٢] .

على أن هذه الاجراءات (المتبادلة) قد مهدت من ناحية أخرى الطريق بين (السعودية وشرق الاردن) لاجراء مفاوضات بينها فى جده فى مايو من نفس العام ، ثم انتقلت الى القدس التى تم بها الوصول الى صيغة لمعاهدة صداقة وحسن جوار فى يوليو ١٩٣٣ ، وقع عليها بصفة نهائية بالقاهرة فى ٢٨ رجــب ١٣٥٢ هـ المـــوافق ٢١/١٢/١٩٣٣ م[٤٣] .

لم يرد ذكر لمسألة العقبة فى هذه المعاهدة على الاطلاق بالرغم من التأكيد فى موادها على الدعوة الى حسن العلاقات بينهما والى ما جاء فى مادتها الثالثة من (تعيين) مأمورين مخصوصين فى المناطق المجاورة للحدود يكونون مسئولين عن تنظيم التعاون العام وعن القيام بالتدابير الضرورية لتأمين تطبيق أحكام هذه المعاهدة) . والبروتوكول الخاص بالتحكيم والملحق بها[٤٤] مما دفع المصادر الأمريكية الى القول بأن (هناك بندا سريا لم يعلن عنه جاء بتلك المعاهدة ، قد تضمن

---

(٤١) N. A. 890 i. 00/41, Internall Affairs of Jordan 15/10/1937, P. 25.

(٤٢)

(٤٣) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٦١ .

(٤٤) أمين سعيد : المرجع السابق ، صص ٢٨٥ / ٢٩١ .

إلحاق معان والعقبــة ضمن المعاهدة مع فلســطين لكونها خاضعة للانتداب(٤٥) .

وأكدت المصادر الأمريكية اعتقادها هذا ، من خلال اغفال أمر مصير (العقبة) فى التقارير السنوية التى تقدمها بريطانيا الى عصبة الأمم المتحدة ، مما دفع (مفوض الانتــداب الدائم) الى مطالبة السلطات البريطانية فى أواخر عام ١٩٣٤ م بضرورة استيفاء تقرير العام القادم بشأن مسألة الحدود بين شرقى الاردن والعربية السعودية خاصة مع اقليم الحجاز . ثم الحدود بين هذه الأخيرة وسورية فى العصر العثمانى(٤٦) .

وبالفعل ففى العام التالى ١٩٣٤ . جاء التقرير البريطانى فيما يتعلق بمطالب عصبة الأمم ، (غامضا) أيضا بشأن الحدود الحجازية الأردنية وجاء فى التقرير تبعا لما نقلته هذه الوثائق الأمريكية نقلا عن المصادر الانجليزية ، (أن الحدود بين شرق الاردن والحجاز تخضع لما ورد فى اتفاقية (حداء) عام ١٩٢٥ ، واعتبار الوضع الحدودى بين الحجــاز وشرق الاردن ، كما جاء فى المباحثات التى تمت بين ابن سعود وكلايتون فى الفترة ما بين ١٩ و ٢١ مايو ١٩٢٧ عندما وقعت اتفاقية (جدة) حيث بقى الوضع دون تغيير أو تحديد ، كما يؤكد التقرير فى النهاية أن (البحث فى مسألة تخطيط الحدود بين ولاية الحجاز وسورية فى العهد العثمانى ما زال قائما وأن هذه الأبحاث غير مكتملة حاليا)(٤٧) .

فى العام التالى ١٩٣٥ ، نشطت الجهود الاردنية البريطانية ، من أجل حسم مصير (العقبة) حيث قام الأمير عبد الله والكولونيل كوكس Colonel Cox بزيارة للقدس بهدف اجراء مباحثات مع المندوب

---

(٤٥) N. A. 890 i 561 — Dirpatch from Consul. Iraq to Hughes.

(٤٦) - N. A. 890 i. 014/11. OP. cit. P. 7.

(٤٧) Ibid. P. 7.

السامى البريطانى بها فيما يتعلق (بالأوضاع المتغـيرة بالعقبة) وما أفادت به الأنباء من أن هذه المدينة (سوف تسلم الى السلطات العسكرية البريطانية فى فلسطين)[٤٨] .

وعقب هذه الزيارة التى اجتمع فيها كل من المندوب الســامى لفلسطين ومصر (ميلز لامبسوز — Sir Miles Lampson) والجنرال (سير آرثر ويكوب General Arthur Wauchope) والمسؤول عن شئون العقبة بشرق الاردن (بيك باشا Peake Pasha) مع (سير أندروريان — Sir Andrew Ryan) الـــوزير البريطانى فى جدة مع رئيس هيئة موظفى وزارة المستعمرات (مونتجمرى ماسينجبرد Sir Archibald Montgomery Massingberd) بما يعنيه هذا الجمع من المسؤلين البريطانيين فى كافة المواقع ، المهتمة بالنزاع التى تحددت فى أول ابريل ١٩٣٥ وأعلن الجميع عقب هذه الزيارة (أن العقبة الواقعة على رأس خليج العقبة تعتبر موقعا ذو صبغة قومية) . وأضافت المصادر الأمريكية أن هناك عدد من الدوافع لهذا الموقف والموقع (القومى) للعقبة — ممثلا فى (أهميته بالنسبة لتجارة اليهود فى فلسطين) مع (أهميتها الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا)[٤٩] ، باعتبار أن (ميناء سولمون — Solomon's Port الواقعة ضمن منطقة (ايزون جيبر Ezion — Geber) والتى تسمى منطقة العقبة من الموضوعات القومية التى تحتاج الى مناقشة)[٥٠] .

فى مقابل هذا النشاط (البريطانى الاردنى والذى أضيف اليه الاهتمام اليهودى قام الأمير سعود بن عبد العزيز بزيارة القاهرة فى أغسطس عام ١٩٣٥ م للتباحث بشأن هذه المسألة مع (لامبسون

---

(٤٨) N. A. 890 i — 014/11, OP. cit, P. 9

(٤٩) Ibid, P. 9.

(٥٠) Ibid, PP. 8/9

Lampson) والتوصل الى خطوط للاتفاق معه بشأن العقبة ، بعد أن تنازل عن (معان) قبل ذلك ، وعرض سعود خلال تلك المباحثات جعل المنطقة المتنازع عليها — ميناء حرا — يستخدمه كل من شرق الأردن والحجاز ، وفى المقابل يجب أن تتمتع العربية السعودية بمميزات أفضل فيما يتعلق باستخدام خط سكك حديد الحجاز ، على أن يظل هذا النظام قائما وسارى المفعول داخل اطار القضايا الاخرى غير محددة المصير ، حتى يتم الاتفاق نهائيا بشأنها من خلال المفاوضات ، بعد أن تحل القضية الأثيوبية(٥١) .

وتعلق المصادر الأمريكية على هذا الموقف السعودى والبريطانى بأن هذه التقارير تفيد بأن المواقف تجاه العقبة (لا يزال من الموضوعات الهلامية) بصفة عامة ، وتستطرد بأن (ابن سعود لا يرغب فى معان ، أما هذا الاقليم ككل فانه ذات أهمية بالنسبة لبريطانيا حيث يتحكم فى المنطقة الجنوبية الغربية لشرق الاردن وتعتبره قاعدة استراتيجية للقواعد الجوية ومقرا حيويا لقيادة القـوات الملكية ولقـوات حرس الحـدود)(٥٢) .

تصاعد الضغط البريطانى مرة أخرى مع بداية عام ١٩٣٧ م ، من خلال ما نقلته المصادر ذاتها عن تقرير المندوب السامى البريطانى

---

(٥١) N. A. 890 i. 014/11, P. 11.

فى اواخر عام ١٩٣٤ ، كانت المعارك بين ايطاليا واثيوبيا قد بدأت ، مع بداية احتلال الأولى لـ (بئر ولول) واستنجدت الثانية بعصبة الأمم ، الا أن الأولى رفضت هذا بحجة ن بحث الموضوع سوف يحل بالمفاوضات المباشرة بينها وبين أثيوبيا ، ولكن هذه طالبت بالتحكيم الدولى ، والتنازل عن جزء من صحراء (الاوجادين) ورغم تأييد عصبة الأمم لاثيوبيا الا أن ايطاليا بدأت عدوانها فى أواخر عام ١٩٣٥ وفى شهر أكتوبر بالذات ، فى ذات الوقت الذى كان يتباحث فيه الامير سعود فى القاهرة .

انظر بخصوص موضوع القضية الأثيوبية : دكتور زاهر رياض : الاستعمار الأوربى لافريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، صص ٢٥٦ / ٢٥٧ .

(٥٢) N. A. 890 i — 014/11, OP. cit, P. 11.

لمصر وفلسطين الى وزارة المستعمرات جاء فيه أن الاستخدام المتعلق بالمنطقة المحيطة برأس خليج العقبة المتفرع من البحر الأحمر ، يجب أن يكون فى هذا الوقت بالذات فى وضع يسمح بتحقيق مصالح كافة الأطراف المعنية سواء الجانب العربى — ولم يوضح هذا الصالح بالنسبة للعرب ، أو للتجارة والصناعة اليهودية على حد سواء ، وعلينا أن نفهم جميعا أن خط سكك حديد الحجاز القائم حاليا أسفل (وادى عرابه) مكمل لهذا النشاط الأخير ، واذا كان بالامكان تقديم اقتراح بهذا الصدد — فيجب على بريطانيا كما يقول التقرير أن تلحق المنطقة الواقعة أقصى الشمال الغربى من ساحل خليج العقبة الى تنظيمات الانتداب وأن المعاهدات التى سوف تعقد بهذا الصدد يجب أن تتضمن حرية نقل البضائع بين (الولاية اليهودية) وهذه المنطقة الجديدة[٥٣] .

أثار هذا الاقتراح اهتمام مجلس اللوردات البريطانى ، وأثير على مستوى الصحافة فكتب اللورد ستريكلاند Lord Strickland فى صحيفة التيمس اللندنية — London Times فى ٢٢ يوليو ١٩٣٧ ما يلى : أن من الواجبات التى يجب أن نعطيها اهتمامنا فى الوقت الحاضر هى مسألة الحماية وحرية العبور بين البحر الأحمر والبحر المتوسط حيث أن موقع قناة السويس يعتبر موقعا معبرا عن المصالح البريطانية فى الوقت الحالى ، ويجب علينا أن نكون أيضا على استعداد لاقامة قناة موازية لها من العقبة الى البحر المتوسط .

وفى ذات اليـوم والصحيفة كتب (ســوانيتون — Swinton سكرتير وزارة الطيران ، أن قواعد الاستراتيجية ، لا يمكن أن تسمح فى هذه المنطقة بتلك الخسارة ، اذا فقدنا هذه (المدينة) ، ويجب أن نأخذ فى الاعتبار نصائح المستشارين العسكريين — حيث يجب أن تكون هناك معاهدة للتأكيد على هذه المسائل المتعلقة برأسى خليج العقبة لتشملها الحدود الجنوبية لفلسطين[٥٤] .

---

(٥٣) N. A. 890 i — 014/11, OP. cit, P. 12.

(٥٤) Ibid, PP. 12/13.

تصاعدت هذه المطالب البريطانية الخاصة بشمال البحر الأحمر ، فى ذات الوقت الذى بدأت فيه الضغوط الايطالية بالتزايد جنوب هذا البحر بعدما التهمت قوات الجيش الايطالى أديس أبابا فى الثالث من أكتوبر ١٩٣٥ م ، وبدأت الأنظار تتجه نحو الضفة الأخرى أى باتجاه اليمن ، وبدأ الانجليز وابن سـعود يدركون خطورة هـذا الزحف والضغوط القادمة من الجنوب(٥٥) .

وبدأت تظهر أهمية تحديد مصير العقبة ، فقد أفادت الوثائق الأمريكية بأن هناك صعوبات تتعلق بهذه المدينة ، وتدور الاتصالات حاليا حول امكانية تقسيم الحدود بين فلسطين وشرق الاردن ، وسوف تقسم العقبة بينهما(٥٦) .

نتيجة لهذا الموقف أفادت وزارة الدولة للشئون الخارجية فى لندن أن الملك ابن سعود لن يعترف بأن العقبة جزء من فلسطين أو شرق الاردن الواقعتين تحت الانتداب ــ بالرغم مما يواجه من متاعب فى الجنوب(٥٧) .

وبعث ابن سعود بوزيره حافظ وهبه الى لندن لمناقشة المسئولين هناك وصعوبة تجزئة ميناء العقبة بين فلسطين وشرق الاردن ، وكان من رأى الحكومة البريطانية قبيل وصول الوزير السعودى ، هو أن الملك عبد العزيز يجب أن يضع اعتبارا لمركزه الدينى وسيادته على الحجاز فى سبيل الحفاظ على أمن وحماية البحر الأحمر(٥٨) .

---

(٥٥) Beeley (Harold), The Middle East in 1939 and in 1944, Journal of Royal Centeral Asian Society, Vol 32, January 1945 PP. 8/11.

(٥٦) N. A. 890 i — 014/12, Dispatch from Consulate of Bagdad, to Knabanshne (Jesuralems), 28/10/1937.

(٥٧) Ibid.

(٥٨) N. A. 890 i — 014/13, Dispatch from Jraq to Secretary of State, Washington, 28/10/1937.

خلال المباحثات التى دارت فى أواخر شهر أكتوبر عام ١٩٣٧ ، أفادت الوثائق الأمريكية ، أنه بناء على الأنباء الواردة من لندن ونشرت خلال الصحف اللندنية وبعض الصحف العربية مثل صحيفة (العلم العربى) التى تصدر فى البصرة ، أن الحكومة البريطانية والمسؤول السعودى قد اتفقا مبدئيا على أنه للأخير نفوذ روحى من خلال امكانية السماح لرعاياه بحرية التنقل والانتفـــاع من موقعها دون التبعية الرسمية له — أى التنازل رسميا عنها مقابل وضع الظروف الاجتماعية المعيشية والاقتصادية لبدو المنطقة فى الاعتبار .

وفى المقابل (وعدت) الحكومة البريطانية ابن سعود على أنها سوف تقوم بعقد اتفاق مع ملك اليمن بما يمنح ابن ســـعود بعض المميزات فى (النواحى التسع وحضرموت) أى — عدن — وفى المقابل أيضا ، فسوف يكون (لميناء العقبة) خاصة تنظيمات متعلقة به ، بعيدة عن مسألة التقسيم المقترح ، وأن علاقاته — أى علاقة ابن سعود سوف تخضع أيضا لبعض بنود هذا الاتفاق(٥٩) .

وحتى يكون المجال الخارجى للسعودية أكثر انفراجا ، فقـــد (وعدت) بريطانيا حافظ وهبة بأنها سوف تعيد مناقشة الأمور المتعلقة بالاتفاقيات التجارية والدفاعية المتصلة بالشواطىء السعودية على الخليج الفارسى مع البحرين ، وكذلك مسألة الاتصالات الجوية بالشرق عامة ، وتستطرد الوثائق بالقول أن هناك صعوبات تواجه الوصول الى اتفاق نهائى بشأن هذه المسائل خاصة مع ما أفادت به بعض المصادر الصحفية ، من أن هناك بعض القبائل العربية من نجد والحجاز آخذة فى التقدم نحو الشمال ، واذا كانت هذه الأنباء صحيحة فلابد أن تكون وجهتها هى العقبة(٦٠) .

---

(٥٩) N. A. 890 i — 014/14, Report from Bagdad to the Secretary of State, 28/10/1937.

(٦٠) Ibid.

وهكذا رضخت السعودية للضغوط البريطانية ، وتنازلت عن العقبة مقابل (وعود) بريطانية بمزيد من الامتيازات السعودية على السواحل الاخرى لها فى عدن أو البحرين ، ومع دخول الحرب العالمية الثانية كان للعلاقات السعودية مع بريطانيا بالتـــوازن مع علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية شأن آخر .

لقد بدأت المشكلة المتعلقة (بتبعية) العقبة من خلال ما شاب التقسيمات التى وضعتها انجلترا وفرنسا للمنطقة العربية من مساوىء خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها دون النظر المقدسات التاريخية والبشرية والجغرافية لتلك المنطقة .

وكانت مشكلة (موقع العقبة) موضوع الدراسة أشد تعقيدا ، نظرا لوقوعها فى منطقة تماس لأطراف عربيـــة متعددة ، هى مصر وفلسطين وشرق الاردن والحجاز ، ثم أضيف الى هذا الواقع الصعب مشكلة أخرى ذاتية الى حد كبير ، تتمثل فى ذلك التبدل (لمواقـــع الأسر الحاكمة) الذى شهده العرب ، عقب الخطوات التنفيذية التى فرضتها مقررات الصلح بأوربا وما اتفق عليه قبل ذلك بين سايكس وبيكو ، وسرعان ما أحتاج هذا التبدل الى الاجابة عن سؤال مفاده (مدى أحقية تلك الأسر) فى استمرارية أو عدم استمرارية زعامتهم للمناطق التى كانوا يسيطرون عليها ، والمواقـــع التى تربعوا عليهـــا بعد ذلك .

وأتبعت بريطانيا التى أمسكت بديها كافة خيوط الحركة : أساليب عدة لتحقيق مصالحها الاستراتيجية بالدرجة الأولى ، ثم (تحريك) تلك الأسر كيفما شاءت وفى الحدود التى يسمح لهذا التحرك خدمة أهدافها ، لواقع قوتها وعجز الزعامات العربية .

حدث ذلك عندما اعتبرت بريطانيا منطقة العقبة ، حلقة وسطى لخطها البرى بين البصرة وحيفا على البحر المتوســـط ، أو لموقعها (البرمائى) بين خط سكك حديد الحجاز وخليج العقبة ، الذى يتوازى

فى أهميته مع مضيق باب المندب عند مدخل البحر الأحمر فى الجنوب ، ثم باعتبار هذا الميناء ، موازيا لأهميته الاستراتيجية لقناة السويس ، كبديل واحتياطى فى وقت الحاجة .

والأخطر من ذلك ، أن بريطانيا بالرغم من جهودها ابعاد المصالح العربية عن (العقبة) بالتلويح بعدم (أهميتها أو أنها من الموضوعات الثانوية) فانها كانت تسير بخطى ثابتة فى اتخاذ هذه المدينة قاعدة اقتصادية وتجارية (للدولة اليهودية) فى فلسطين ، بما يمثله هذا الميناء كنافذة على شرق أفريقيا وقارة آسيا جنوبا ، حتى تسير هذه الخطوات الاقتصادية للدولة الناشئة جنبا الى جنب مع القواعد السياسية التى كانت تجرى وقتئذ على قدم وساق .

وأتبعت بريطانيا فى هذا السبيل لتحقيق أهدافها أسلوب (الخطوات) لاقتطاع المساحة تلو الاخرى ، فبدأت باعتبار العقبة ومعان — مسائل ثانوية ، يجب ألا تعيق المسيرة السياسية لدول المنطقة ، بعدها ، ألحقت (معان) بالعقبة ، باعتبار موقعها الاستراتيجى لبريطانيا ولشرق الاردن ، بعدها بدأت بالموقع الأهم ، (العقبة) ، فبدأت بتشييد بعض المبانى ، بعدها شراء الأراضى المحيطة ، وأخيرا التهديد القادم من الجنوب والتلويح بتقديم (المقابل) فى مناطق ساحلية أخرى جنوبا فى عدن وشرقا بالبحرين ، كبديل عن العقبة ، ولم يكن أمام الأطراف العربية المعنية فى شرق الأردن أو السعودية الا السير فى ركاب الوعود البريطانية ، كما سارت فى ذات الركاب قبل ذلك خلال الحرب العالمية الأولى .

مصـــــادر البحـــث

أولا ــ الوثائق الأمريكية غير المنشورة :

ورقم الملف الذى يشمل الوثائق المتعلقة بشرق الاردن هــو 890 i والوثائق التى تم الاستعانة بها هى :

890 i — 00/8
— 00/14
— 014/4
— 014/11
— 014/12
— 014/13
— 014/14
— 52/2
— 691

ثانيا ــ الوثائق البريطانية المنشورة :

1 — F. O. 882/19, 8/3/1914.

2 — Report on Middle East Conforance held in Cairo and Jerusalem 12 — 24 March 1922.

ثالثا ــ المراجع والمصادر العربية والمترجمة :

١ ـــ أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ــ جـ ٢ ــ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٩) الرياض •

٢ ـــ خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ــ بيروت ١٩٧١ م •

٣ ــ دكتور زاهر رياض : الاستعمار الأوربى لأفريقيا ــ القاهرة ١٩٦٠ م .

٤ ــ عبد العليم على عبد الوهاب أبو هيكل : العلاقات بين عبد العزيز ابن سعود والاخوان ــ رسالة ماجستير غير مطبوعة ــ آداب عين شمس ١٩٧٦ .

٥ ــ فــؤاد حمزة : قلب الجزيرة العربية ــ الرياض ١٩٦٨ .

٦ ــ لنشوفسكى (جورج) : الشرق الأوسط فى الشؤون العالمية ، جـ ١ ، ترجمة جعفر خياط ــ بغداد ١٩٦٤ .

٧ ــ الدكتور يونان لبيب رزق : الأصول التاريخية لمسألة طابا ، القاهرة ١٩٨٣ .

رابعا ــ المصادر والمراجع الأجنبية :

1 — Lancaster (William), The Rwala Bedouin Today London, 1989.

2 — Palgrave (William Gifford), Narrative of Year's Journay Through Centeral and Eastarn Arbia, Part I, Cambridge, 1969.

خامسا ــ الموسوعات والصحف الأجنبية :

1 — Naval Intelligence Division, Geographical Handbook Series, (Western Arabia and Red Sea), New York, 1946.

2 — Journal of Royal Centeral Isian Society Vol. 33, 1945.

سادسا ــ الصحف العربية :

صحيفة أم القرى ــ السنة ٢ ــ العدد ٦٠ ، فبراير ١٩٢٦ م .

الغـــلاء وآثاره الاجتماعيـــة فى مصر

بين الحـــربين العالميتين

دكتور / احمـــد الشربينى

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

باندلاع الحرب العالمية الأولى وتركز قوات الحلفاء فى مصر ، وعلى مقـــربة منهـــا بدأت البـــلاد تشـــهـــد حـــالة من التضـــخم الاقتصادى الذى ارتفعت فى ظله الأسعار من يوم لآخر والذى يعزى بعضه الى انتقال الهزات التى أصابت الاقتصاد العالمى بصفة عامة ، والاقتصاد البريطانى بصفة خاصة مع اندلاع الحرب الى مصر ، لعـــلاقة التبعية التى كانت تربط الاقتصـــــاد المصرى بهذه الاقتصاديات ، فى اطار سياسة تقسيم العمل الدولى ، أما بعضه الآخر فيرجع لاتجاه بريطانيا الى تحميل مصر جزءا من نفقات قواتها العسكرية بمنطقة الشرق الأدنى ، عن طريق اجراء تغيير فى سياسة مصر النقدية ــ بتحويلها عن قاعدة الصرف بالذهب الى قاعدة الصرف بالاسترلينى ــ بشكل يسهل من مهمة بريطانيا فى الحصول على أى كميات من العملات الورقية المصرية ، واستخدامها فى الانفاق على عملياتها العسكرية بالمنطقة دون الالتزام بتوفير غطائها الذهبى •

وقد بدأت اجراءات ذلك منذ بداية الحرب ، ففى ٢ أغسطس ١٩١٤ فرض السعر الالزامى لأوراق البنكنوت المصرية ، ومن ثم أصبحت غير قابلة للاستبدال بالذهب ، وفى نوفمبر من ذات السنة رخص للبنك الاهلى المصرى ، نتيجة ظروف الحرب ، بايداع الغطاء الذهبى لأى عملة تصدر بمصر ، فى بنك انجلترا بلندن ، وفى أكتوبر ١٩١٦ تقرر احلال أذونات الخزانة البريطانية محل الذهب كغطاء للعملة المصرية • وقد ترتب على هذا الاجراء ان تزايدت كمية العملة الورقية المصدرة ، والتى أدى تزايد تداولها الى هبوط قيمتها الى قيمة السلع

التى ارتفعت أسعارها نتيجة اشتداد الطلب عليها — وبخاصة من جانب قوات الحلفاء — فى الوقت الذى نقصت فيه الكميات المعروضة منها ، بعد أن تعذر الاستيراد لظروف الحرب مما ساعد على انتشار ظاهرة السوق السوداء ، وعمليات المضاربة بالأسواق على السلع[١] .

ولما كان الارتفاع السريع فى الاسعار عندئذ ، يتعارض مع المصالح البريطانية فى مصر ، لهذا اتجهت السلطة العسكرية البريطانية ابان الحرب ، الى الضغط على الحكومة المصرية ، لاتخاذ اجراءات لوقف الارتفاع المتوالى فى الأسعار . ورغم تعدد الاجراءات التى اتخذت لهذا الغرض ، والجهود التى بذلت لانجاحها[٢] ، الا أنها جميعا أثبتت فشلها فى التصدى للارتفاع المستمر فى أسعار السلع ، التى كانت تجرى عليها المبادلات ، فى معظمها بعيدا عن الأسواق[٣] .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها توقع المصريون ، نزول الأسعار الى مستوى ما قبل الحرب بعد أن اختفت أسباب ارتفاعها ، وتوقف تجميع الامدادات للسلطات العسكرية منذ بداية ١٩١٩[٤] ، وتخلت الحكومة تدريجيا عن سياسة التسعير الجبرى تاركة تحديد حركة الأسعار صعودا وهبوطا لعاملى العرض والطلب داخل السوق ، فتم فى منتصف سنة ١٩١٩ تقريبا الغاء تسعير المواد الغذائية بضوابط تضمن تثبيت الأسعار على الأقل اذا استحال هبوطها ، عندما اشترط على التجار لالغاء التسعيرة ، الالتزام بالاثمان المحددة للمواد الغذائية

---

(١) أحمد الشربينى السيد : موقف الحكومة من التضخم ابان الحرب العالمية الأولى ، المؤرخ المصرى ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص ص ٣١٤ — ٣١٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ص ٣٢١ — ٣٤٠ .

(٣) CRouchley, A. E : The Economic development of modern Egypt, London 1938, p. 196.

(٤) Ibid, p. 198.

بالتسعيرة الملغاة ، وعدم ممارسة التجارة فى هذه السلع ، الا بعد الحصول على تصريح من مدير مصلحة التموين[٥] .

بيد أن قرار التخلى عن سياسة التســعير الجبرية من جانب الحكومة كان بعيدا عن الصواب فى ذلك الوقت ، لنقص كميات السلع المعروضة بالأسواق بشكل زاد من تعقيد الأمور بالمدن الكبرى ، وخاصة القاهرة ، التى عانت بها الشرائح ذات الدخول المحدودة من عدم القدرة على تدبير قيمة المواد الغذائية والضروريات الاخرى بعد أن ارتفعت أسعارها[٦] .

ولخطورة الارتفاع المتوالى فى الأسعار ، لتزامنه مع أحداث ثورة ١٩١٩ ، والتى شارك فيها المجتمع بكل شرائحه ، تحركت الوزارة السعيدية لتخفيف ويلات الغلاء المنذر بالمجاعة ، وارتأت العودة إلى نظام التسعير الجبرى ، وتثبيت الاسعار على ما كانت عليه قبل الغاء التسعيرة ، غير أن اتجاه نيــة الحكومة الى تخفيض الاسعار ، دفع التجار الى اعلان الحرب عليها ، حتى أجبروها على التراجع عن هذه النية ، وزيادة الاسعار بنسبة ١٥٪[٧] .

وبعد العودة الى سياسة التسعير الجبرى بشهور قلائل ، قررت الحكومة فى يناير ١٩٢٠ حل لجان التسعير ، والغاء التسعير الجبرى للسلع ، باستثناء سلعتى السكر والدقيق ، على أن تقوم الشركة

---

(٥) الأهالى ، عدد ٢٧٦٤ ، ٢٦ سبتمبر ١٩١٩ « الغذاء قبل كل شىء » اسماعيل عبد الوهاب .

(٦) الأهالى ، عدد ٢٧٤٤ ، ٢ سبتمبر ١٩١٩ ،
CRouchley, A. E : op, cit. pp. 194, 196 — 197

(٧) الأهالى ، عدد ٢٧٦٤ ، ٢٦ سبتمبر ١٩١٩ « الغذاء قبل كل شىء » اسماعيل عبد الوهاب .

المصنعة للسكر ببيعه بأثمان مسعرة ، وأن يتولى مكتب توزيع الغلال التابع للجنة التموين ببيع الدقيق للجمهور كذلك بأسعار محددة[٨] .

ورغم هذا التردد بين التسعير الجبرى من عدمه ، الا أن الاسعار ظلت على ارتفاعها الشديد فى أعقاب الحرب عما كانت عليه قبل الحرب ، والبيان التالى يوضح الارتفاع الذى طرأ على أسعار السلع الضرورية بعد الحرب .

الأســعار القياسية للسلع الضرورية

(ينــــاير ١٩١٣ — يوليـــو ١٩١٤ = ١٠٠)

السنة	القمح البلدى	الفول	الذرة	السكر	الآرز	البترول	الفحم
يناير ١٩١٣ / يوليو ١٩١٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
١٩١٨	٢٤٢	١٦٥	١٦٤	٢٧١	١٦٨	٢٠٣	١١٠٧
١٩١٩	٢٣٢	٢١٤	١٨١	٢٩٤	١٧٢	٢١١	٨٨٢
١٩٢٠	٢٨٢	٣٧٧	٢٥٤	٣٥٧	٣١٧	٢٦٢	٨٨٠
١٩٢١	١٩١	١٢٠	١٠٦	٣٦٢	١٧٠	٢٧٠	٣١٦

المصـــدر : CRouchley. A. E, op. cit., p. 198.

من البيان يتضح أن الزيادة فى أسعار بعض السلع فى نهاية الحرب — الفول الاذرة والارز — تجاوزت أسعار ما قبل الحرب بـ ٦٠٪ ، وفى بعضها — القمح البتـرول — بلغت أكثـر من ١٠٠٪ ، فى حين تضاعفت بالنســبة للفحم ، حتى تجاوزت احدى عشرة مرة فى سنة ١٩١٨ أسعار ما قبل الحرب ، ثم أكثر من ثمان مرات

---

(٨) CRouchley. A. E, op. cit., p. 198.
الاهالى ، عدد ٢٩٨٥ ، ٢٠ يونيو ١٩٢٠ .

فى سنتى ١٩١٩ و١٩٢٠ ، وجاءت سنة ١٩٢١ لتشهد هبوطا ملحوظا فى أسعار معظم السلع « القمح ، الفول ، الأذرة ، الأرز ، البترول » عنه فى السنتين السابقتين ، مع احتفاظ الاسعار فى كل السلع بفارق بسعر مرتفع عن مستوى ما قبل الحرب الأولى ، ثم والت أسعار الجملة هبوطها التدريجى الطفيف فى العشرينات ، متمشية مع الأسعار العالمية ، حتى تطابقت مع أسعار ما قبل الحرب فى بداية الثلاثينات ، والبيان التالى يوضح الاتجاه النزولى لأسعار الجملة فى مدينتى القاهرة والاسكندرية فى العشرينات .

الأرقام القياسية لأسعار الجملة فى شهر مايو

بالقاهرة والاسكندرية على أساس أسعار ١٩١٣ = ١٠٠

السنة	القاهرة	الاسكندرية
١٩٢٢	١٤١	١٤٣
١٩٢٣	١٣٤	١٣١
١٩٢٦	١٢٨	١٢٨
١٩٢٧	١٢٤	١١٩
١٩٢٨	١١٧	١١٥
١٩٢٩	١١٤	١١٢
١٩٣٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : تقارير مصلحة عموم الاحصاء المنشورة ، بالاهرام ، عدد ١٤٠٧٤ ، ١٤ يونيو ١٩٢٣ « الارقام القياسية للاسعار » ، وعدد ١٥٦٩٢ ، ١٧ يونيو ١٩٢٨ « نفقات المعيشة العامة فى شهر يونيو » ، المقطم ، عدد ١٢٥٨٤ ، يوليو ١٩٣٠ « الارقام القياسية للاسعار » .

من البيان يتضح أن أسعار الجملة قد اتجهت الى الهبوط التدريجى والمستمر ، الى أن اقتربت فى أواخر العشرينات مع أسعار ما قبل

الحرب ، ثم تطابقت معها فى بداية الثلاثينات • **ولا يعنى هذا** أن الغلاء قد زال أثره ، بل ظل ضاربا اطنابه بطول البلاد وعرضها ، نتيجة استمرار الفجوة بين أسعار التجزئة وأسعار الجملة ، حيث ظلت أسعار التجزئة ، التى تعد المؤشر لنفقات المعيشة الحقيقية ، مرتفعة ليس فقط عن أسعار الجملة — التى لا تعد مؤشرا لنفقات المعيشة الحقيقية ، بقدر ما تعد مؤشرا للحالة العامة للاسواق — **بل وعن** مثيلاتها قبل الحرب وبفارق كبير ، والبيان التالى يوضح هذا •

أسعار التجزئة لشهر مايو على أساس أن أسعار سنة ١٩١٣ = ١٠٠

السنة	أسعار التجزئة	السنة	أسعار التجزئة
١٩٢١	٢٠٢	١٩٢٧	١٥٠
١٩٢٢	١٩٤	١٩٢٨	١٤٤
١٩٢٣	١٦٥	١٩٢٩	١٤٨
١٩٢٦	١٦١	١٩٣٠	١٤٣

المصدر : تقارير مصلحة عموم الاحصاء والتعداد المنشورة بالاهرام ، عدد ١٤٠٧٤ ، ١٤ يونيو ١٩٢٣ « الارقام القياسية للاسعار » ، وعدد ١٥٦٩٢ ، ١٧ يونيو ١٩٢٨ « نفقات المعيشة العامة فى شهر يونيو » ، المقطم ، عدد ١٢٥٨٤ ، ١٣ يولية ١٩٣٠ « الارقام القياسية للاسعار » .

من البيان نلمس اتجاه أسعار التجزئة الى الهبوط فى العشرينات ، فى ركاب الهبوط الذى أصاب أسعار الجملة ، مع الإحتفاظ بفارق الارتفاع بينهما ، فبعد أن كانت أسعار التجزئة قد تجاوزت ضعف مثيلاتها قبل الحرب ، فى سنة ١٩٢١ ، أخذت بعد ذلك توالى هبوطها ، إلى أن اتسمت بالثبات فى السنوات الأخيرة من العشرينات ، مع الارتفاع بما يزيد على ٤٠٪ ، عن معدلات أسعار التجزئة قبل

الحرب ، حتى فى السنة التى تطابقت فيها أسعار الجملة مع مثيلاتها قبل الحرب .

ثم جاءت سنوات الأزمة الاقتصادية المتبقية ، لتشهد هبوطا فى أسعار الجملة والتجزئة معا ، لكن اذا كانت أسعار الجملة قد تجاوزت فى الهبوط أسعار ما قبل الحرب ، فان الأمر جاء مختلفا بالنسبة لأسعار التجزئة ، التى احتفظت بزيادة عن أسعار ما قبل الحرب تراوحت بين ١٠ ٪ و٢٠ ٪ . والبيان التالى يوضح الهبوط الذى طرأ على أسعار الجملة والتجزئة فى شهر نوفمبر ١٩٣١ — ١٩٣٢ على أساس أن أسعار ما قبل الحرب = ١٠٠ .

السنة	اسعار الجملة الاسكندرية	 القاهرة	أسعار التجزئة
١٩٣١	٩٠	٩٠	١٢١
١٩٣٢	٨٠	٧٦	١١١

المصدر : الاهرام ، عدد ١٧٢٨٣ ، ١٩٣٣/١/١٨ .

وهكذا نجد أن سنتى ١٩٣١ و١٩٣٢ قد شهدتا هبوطا فى أسعار الجملة عن أسعار ما قبل الحرب العالمية الاولى ، تبعه أيضا هبوطا فى أسعار التجزئة ، قلل فارق الارتفاع — الذى ساد العشرينات — بينها وبين مثيلاتها قبل الحرب ، ويعزى هذا الهبوط الى الكساد العالمى ، الذى هبطت فى ظله أسعار كل السلع على المستوى العالمى ، بما فيها المواد الخام الزراعية ، كالقطن[٩] . والبيان التالى

(٩) الاهرام ، عدد ١٧٥٥٣ ، ١٩ أكتوبر ١٩٣٣ « الازمة والضائقة ذات وجهين ، فهل لوزير المالية ان ينظر الى وجهيها » وعدد ١٦٥٧٩ ، ٣١ يناير ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة وتخفيف وطأة الأزمة الاقتصادية » مذكرة احمد عبد الوهاب باشا ،

CRouchley A. E : op. cit, p. 141.

يوضح ما طرأ من هبوط فى أشد سنوات الأزمة الاقتصادية بمصر على أسعار الحاصلات الزراعية .

الأرقام القياسية لأسعار الحاصلات الزراعية

فى سنى استهلاكها على أساس أن أسعار ١٩١٣ = ١٠٠

السنة	الشعير	القمح	الاذرة شامى	الاذرة رفيعة	الارز	القمح
١٩٣١	٩١ر٩	٥٣ر٠	٧٠ر٩	٧٣ر٦	١١١ر٢	٩٣ر٠
١٩٣٢	٥٨ر٥	٦٤ر٦	٥٤ر٠	٥٤ر٧	٦٨ر٨	٧٦ر١
١٩٣٣	٤٨ر٥	٦٩ر٠	٩٥ر٤	٩٣ر٣	٧١ر٤	٧٩ر٧
١٩٣٤	٩٤ر١	٨٠ر٠	٩٧ر٠	٩٠ر٣	٨٤ر٦	١٠٦ر٦

المصدر : مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٩ ، ص ٤٩٨ .

وبذلك نجد أن هبوطا كان قد طرأ على أسعار الحاصلات الزراعية الغذائية والنقدية ، منذ ١٩٣١ وحتى ١٩٣٣ ، وان كانت الاسعار قد عاودت ارتفاعها فى سنة ١٩٣٤ ، الا انها لم تصل الى مستوى ما قبل الحرب باستثناء القمح ، الذى تجاوزت أسعاره ، مثيلاتها قبل الحرب بأكثر من ٦٪ . ورغم هبوط أسعار الحاصلات الزراعية الغذائية ، الى الحد الذى قد يدفع البعض الى التصور بانخفاض نفقات المعيشة معه ، الا أن الاحساس بارتفاعها وبالغلاء ، كان أشد منه فى العشرينات ، لما طرأ على الدخول الزراعية ، من هبوط نتيجة انخفاض أسعار القطن ، التى تمثل المحدد الاساسى للدخول وللقوة الشرائية المصرية .

وقد أدى اتساع الفجوة بين الدخول ، وارتفاع نفقات المعيشة ابان الأزمة الاقتصادية ، الى تزايد الآنين بانحاء مصر ، من غلاء كل

السلع[١٠] ، وتفاوت أسعارها ، ليس فقط من مدينة لأخرى ، بل من حى لآخر داخل المدينة الواحدة[١١] .

وتعددت أسباب الاحساس بالغلاء فى سنوات الأزمة الاقتصادية ، منها عدم تراجع أسعار التجزئة بعد الطفرة التى أصابتها منذ الحرب العالمية الأولى ، وغياب رقابة بعض الشركات المنتجـة — كشركة السكر — على توزيع انتاجها بالتسعيرة ، وخاصة فى المناطق النائية ، واستمرار ارتفاع أسعار بعض الخدمات — كأجور السكك الحديدية ، وأسعار الغاز ، والمياه — التى سبق أن تحددت فى أوقات الرخاء ، ولم تتغير ، بالهبوط الذى طرأ على مستويات الدخول لمعظم المصريين . باستثناء الموظفين الذين ظلت مرتباتهم على ارتفاعها ، منذ أن حصلوا على علاوات غلاء المعيشة فى الحرب الاولى ، ومن ثم أصبحوا يمثلون مصدرا للطلب لا ينقطع على السلع التى ارتفع سعرها ، طالما وجد التجار استمرارا فى الاقبال عليها[١٢] .

كذلك ساهم تطبيق التعريفة الجمركية منذ فبراير ١٩٣٠ فى رفع أسعار السلع وبخاصة التى يستهلكها محدودى الدخـل والفقـراء

---

(١٠) الاهرام ، عدد ١٦٧٠٥ ، ١٢ يونية ١٩٣١ « مواجهة الأزمة الاقتصادية ، مكافحة غلاء حاجات المعيشة » ، وعدد ١٦٨٢١ ، ٥/١٠/١٩٣١ ، وعدد ١٦٦٠٧ ، ١٩٣١/٣/٢ ، « غلاء المعيشة » ، المقطم ، عدد ١٢٩٦٤ ، ١٠/١٠/١٩٣١ « الغلاء المصطنع » .

(١١) الاهرام ، عدد ١٧١٣٤ ، ١٩٣٢/٨/٢٠ « أثمان الحاصلات فى الريف والمدن فروق تلفت النظر » ، المقطم ، عدد ١٢٨٩٧ ، ١٨ يولية ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة فى بورسعيد » ، مصر الصناعية ، السنة السابعة ، العدد الاول ، يناير ١٩٣١ « مسألة غلاء المعيشة » ص ص ١٥ — ١٦ .

(١٢) الاهرام ، عدد ١٦٥٧٩ ، ٣١ يناير ١٩٣١ « مكافحة غـلاء المعيشة وتخفيف وطأة الازمة الاقتصادية » مذكرة احمد عبد الوهاب باشا .

بنسب كبيرة[١٣] ، لأن الرسم المفروض على أى سلعة يعد ضريبة غير مباشرة يتحملها المستهلك . هذا علاوة على استغلال التجار للتعريفة استغلالا سيئا ، باتخاذها ستارا . لرفع الأسعار بشكل جنونى ، رغم هبوط الاسعار العالمية بما يربو بكثير الزيادة فى قيمة السلع الناشئة عن تطبيق التعريفة الجمركية على حد قول وكيل وزارة المالية[١٤] . وربما كان هذا وراء ما ذهبت اليه بعض الصحف ، من أن الغلاء الذى أصاب البلاد ، أثناء الازمة الاقتصادية ، لم يكن طبيعيا بقدر ما كان صناعيا ، تسبب فيه جشع التجار[١٥] .

وقد زاد من الاحساس بالغلاء ، هبوط قيمة العملة المصرية ، بعد أن خرجت انجلترا عن قاعدة الذهب فى ٢١ سبتمبر ١٩٣١[١٦] . وخروج مصر فى أثرها عن ذات القاعدة لما بين العملتين من ارتباط وثيق أحكم صنعه ابان الحرب العالمية الأولى . ولم يؤد الخروج عن قاعدة الذهب ، فقط الى ارتفاع أسعار السلع المستوردة من الدول التى تأثرت قيمة عملتها بخروج مصر وانجلترا على قاعدة الذهب وهبوط قيمة عملتيهما ، فحسب ، بل امتد هذا الارتفاع الى كل ما هو

---

(١٣) Aziz, Sabry : The changes in the exports and imports Since 1900, Thesis Presented to the Victoria university of manchester, p. 334.

(١٤) الاهرام ، عدد ١٦٥٧٩ ، ٣١ يناير ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة وتخفيف وطاة الازمة الاقتصادية » مذكرة احمد عبد الوهاب باشا ، وعدد ١٦٥٥٤ ، ٦ يناير ١٩٣١ .

(١٥) المقطم ، عدد ١٢٦٢٣ ، ٢٨ اغسطس ١٩٣٠ « مقام الغلاء فى الأزمة الحاضرة » ، الاهرام ، عدد ٦٦٢٤ ، ١٦ مارس ١٩٣١ « الغلاء ونار الاسعار » محمد صالح زهير .

(١٦) التجارة ، عدد ٨٢٦ ، ١٣ فبراير ١٩٣٢ « استقلال الجنيه المصرى لا يتيسر الا بالادخار » .

مستورد من الخارج عن قصد من جانب التجار[١٧] ، الذين لم يستثنوا حتى السلع المحلية من رفع الأسعار ، حتى الخبز واللحم والبن والصابون والغاز ، والتى بلغت أسعارها حدا من الارتفاع فى بعض المناطق — كالفكرية بمديرية الغربية — تراوح بين ٣٠٪ و ٤٠٪[١٨] .

وقد بذلت الحكومة محاولات غير ناجحة لاعادة الثقة الى نفوس الأهالى فى قيمة الجنيه المصرى بالاعلان رسميا فى جميع المديريات والمحافظات عن احتفاظه لقيمته المتمثلة فى مائة قرش صاغ ، وتوعدها لمن يتلاعب بقيمته فى المعاملات الأهلية بالعقاب . ومع ذلك استمر بيع الجنيه ، يتم بأقل من قيمته فى المدن والريف على حد سواء ، مما زاد الاحساس بارتفاع أسعار السلع . ففى دمياط بيع الجنيه البنكنوت بأقل من قيمته بثلاثين قرشا ، فى حين ارتفع سعر الجنيه الذهب الى حد — ١٣٠ قرشا — دفع الأهالى فى كثير من المناطق — كالزقازيق والمنيا — الى الاحجام عن التعامل بالبنكنوت[١٩] .

وبذلك ساهمت عوامل مختلفة ابان أزمة الكساد العالمى ، فى استمرار نفقات المعيشة عند مستوى فاق مستويات الدخول المنخفضة لمعظم المصريين ، رغم هبوط الأسعار ، وكذا نفقات المعيشة عما كانت عليه فى العشرينات . وبعد أن خفت حدة الكساد العالمى ، قل احساس المصريين بالغلاء ، وارتفاع نفقات المعيشة ، الى أن جاءت نهاية

---

(١٧) الاهرام ، عدد ١٦٨١٥ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٣١ « أزمة الجنيه الانجليزى » ، وعدد ١٦٨٢١ ، ٥ أكتوبر ١٩٣١ « ما هذا الغلاء الظالم واجب الجمهور فى الدفاع عن حقوقه » عبد الله حسين ، المقطم ، عدد ١٢٩٧٣ ، ١١ أكتوبر ١٩٣١ « نفقات المعيشة فى مصر وتاثرها بهبوط سعر النقد » ، لباحث اقتصادى .

(١٨) الاهرام ، عدد ١٦٨١٧ ، ١ أكتوبر ١٩٣١ « ارتفاع أسعار الحاجيات بسبب هبوط الجنيه المصرى » ، المقطم ، عدد ١٢٩٦٧ ، ٤ أكتوبر ١٩٣١ .

(١٩) الاهرام ، عدد ١٦٨١٣ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٣١ .

سنة ١٩٣٥ ، لتشهد — بعد أن اندلعت الحرب الايطالية الحبشية ، وتزايد تحكم التجار فى أسعار السلع — ارتفاعا فى الاسعار ، وبخاصة فى المواد الغذائية بلغ حدا ، أدرك معه المستهلكون الذين ضجوا بالشكوى ، أن الحياة أصبحت لا تطاق[٢٠] .

وعلى الرغم من عودة الهدوء والاستقرار الى السوق العالمية ، بعد أن انتهت الحرب الايطالية الحبشية الا أن الاسعار فى مصر ، لم تعاود التماشى مع الدخول والبيان التالى يوضح التطور الذى طرأ على أسعار الجملة بمدينتى القاهرة والاسكندرية عقب انتهاء الحرب ، وحتى سنة ١٩٣٨ :

---

(٢٠) الاهرام ، عدد ١٨٢٧٧ ، ٢٨ اكتوبر ١٩٣٥ « لجنة مكافحة الغلاء » ، وعدد ١٨٢٨٣ ، ٣ نوفمبر ١٩٣٥ .

الأرقام القياسية لاسعار الجملة فى شهر مايو
بالقاهرة والاسكندرية على أساس أسعار الفترة
من أول يناير ١٩١٣ وحتى آخر يولية ١٩١٤ = ١٠٠

السنة	قمح بلدى	شعير	ذرة شامى	ذرة رفيعة	سكر	دقيق قمح	دقيق ذرة	زيت	مسلى	ارز	بترول
					الاصناف						
					القاهرة						
١٩٣٦	٩١ر٨	٦١ر١	٦٦ر٣	٥٣ر٤	١٥٢ر٠	١٠٥ر٣	٧٠ر٦	٨١ر١	٩١ر٠	٧٤ر٩	٩٣ر٠
١٩٣٧	٨٩ر٧	٦٨ر٥	٧٨ر٥	٧٤ر٢	١٣٢ر٧	٩٢ر٥	٦٩ر٦	٨٦ر٨	٩٧ر٨	٧١ر٨	٩٩ر٧
١٩٣٨	١٠٠ر١	٧٦ر٨	٩٨ر٤	٩٤ر١	١٧٥ر٠	١٣٤ر٤	٩٦ر٤	٦٩ر٨	٩٢ر٨	٩١ر٥	٨١ر١
					الاسكندرية						
١٩٣٦	٩١ر٨	٦٣ر٨	—	٨٥ر١	١٥٤ر٧	١٠٣ر٦	٧٤ر٠	٨٩ر٧	٩٠ر٠	٨٠ر٨	٨٦ر٤
١٩٣٧	٨٩ر٠	٧٨ر٦	٨٧ر١	٧١ر٤	١٥٦ر٠	٩١ر٩	٦٧ر٠	٩٦ر٣	٩٧ر٦	٧٤ر٧	٩٣ر٦
١٩٣٨	١١١ر٢	٦٤ر٨	١٠٢ر٤	٩٩ر٥	١٧٦ر٩	١٢٧ر٢	٨٩ر٠	٧٤ر٤	٩٤ر٣	١٠٠ر٥	٦٨ر٢

المصدر : مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٩ ، ص ص ٤٨٦ — ٤٨٩ .

الاحصاءات الواردة بالبيان تشير الى اتجاه الاسعار بالجملة فى معظم السلع الى الارتفاع فى سنتى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عنها فى سنة ١٩٣٦ ، باستثناء أسعار الزيت التى ترددت بين الهبوط والارتفاع ، فبينما بلغت فى سنة ١٩٣٦ حوالى ٨٩٫٧ من أسعار ما قبل الحرب ، اذا بها ترتفع فى سنة ١٩٣٧ الى ٩٦٫٣ ثم تعاود الهبوط فى ١٩٣٨ الى ٧٤٫٤ والملاحظ أن الارتفاع فى أسعار بعض السلع فى سنة ١٩٣٨ قد تجاوز أسعار مثيلاتها قبل الحرب العالمية الاولى ، حيث ارتفعت أسعار القمح والسكر ودقيق القمح ، هذا فى الوقت الذى اقتربت فيه أيضا أسعار معظم السلع الاخرى مع مثيلاتها قبل الحرب ، بما يشير الى اتجاه نفقات المعيشة الى الارتفاع ، خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار ، فارق السعر بين أسعار الجملة ، وأسعار التجزئة ، التى تعد المؤشر لنفقات المعيشة الحقيقية ، وكذلك أسعار السوق السوداء ، التى تفوقها فى الارتفــاع .

وقد دفع الارتفاع فى نفقات المعيشة منذ ١٩٣٧ مجلس الوزراء الى الاجتماع فى ٢٤ فبراير ١٩٣٧ لبحث استمرار ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، وبعد بحث الموضوع أعطى وزير المالية تفويضا باغراق السوق المحلية ، بالقمح المستورد الرخيص ، ما لم يبادر التجــار بالتخفيف من غلوائهم وترك الأسعار لتعاود الرجوع الى مستواها الطبيعى بالســوق ، التى يتوفر بها احتيــاطى من القمح يفــوق أحتياجاتها[٢١] .

بيد أن أسعار المواد الغذائية ، لم تتوقف عن الارتفاع ، الذى أثار اهتمام الغرف التجارية بالاسكندرية ، وغرف المطاحن ، فى أوائل ابريل ١٩٣٨ . والذين عقدوا اجتماعا حددوا فيه أســعار القمح

---

(٢١) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٤٢٢٣ ، ٢٦ فبراير ١٩٣٧ .

والدقيق وكذلك الخبز(*) ، فى نفس الوقت الذى قررت فيه وزارة المالية ، وقف تصدير كميات القمح ، وتوجيهها لشركة المطاحن ، لتقوم بطحنها ، وتوزيعها بسعر محدد على أصحاب المخابز — ١٢٠ قرشا للشوال الذى يزن ٨٠ أقة — الذين يتولون بيعها خبزا للجمهور بسعر ١٥ مليما للاقة ، ابتداء من ١٠ مارس ١٩٣٨[٢٢] .

ولم تؤثر هذه الاجراءات فى خفض أسعار المواد الغذائية ، التى سجلت ارتفاعا جديدا فى أوائل سنة ١٩٣٩ ضج منه المستهلكون[٢٣] . بعد أن توتر الجو السياسى الدولى ، وساد تخوف من اندلاع حرب عالمية ثانية ، دفع التجار الى حجب السلع عن الاسواق وتخزينها ، فى نفس الوقت الذى تكالب فيه جمهور المستهلكين على تخزينها بكميات كبيرة ، تحسبا لما قد يطرأ على أسعارها من ارتفاع ، اذا ما اندلعت الحرب ، ولهذا ارتفعت أسعار كل السلع ، وخاصة المواد الغذائية ، بدرجة لا تبررها حالة البلاد على حد قول البعض[٢٤] .

وهكذا شهدت مصر فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، حالة من الغلاء ، كانت شديدة الوطأة على الأهالى ، منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وحتى منتصف العشرينات ، ثم أخذت حدتها تقل شيئا فشيئا كلما اقتربت العشرينات من النهاية ، بعد أن بدأت

(*) تم تحديد سعر اردب القمح ما بين ١٦٠ و ١٦٥ قرشا ، والدقيق بـ ١٤٢ و١٤٥ قرشا للشوال الذى يزن ٨٠ اقة بالجملة و١٨٫٥ و ١٩ مليما للاقة بالتجزئة ، اما الخبز فحدد سعره للاقة ١٨ مليما ، الجريدة التجارية المصرية عدد ٤٢٢٤ ، ٥ مارس ١٩٣٨ .

(٢٢) نفس المصدر ، عدد ٤٢٢٤ ، ٥ مارس ١٩٣٨ .

(٢٣) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد الثالث ، مارس ١٩٣٩ ، ص ٣٩٩ .

(٢٤) نفس المصدر ، ونفس السنة ، العدد الرابع ، ابريل ١٩٣٩ ، ص ٥١٢ ، والعدد السابع ، سبتمبر ١٩٣٩ « اقتصادنا القومى فى جو الحرب » للاستاذ عبد المجيد الرمالى .

الأسعار في الداخل وخاصـــة أسعار الجملة تتوازن مع الأســـعار العالميـــة .

واذا كانت أسعار الجملة قد استمرت فى هبـــوطها فى أوائل الثلاثينات بشكل جعلها تتجاوز هبوطا أسعار ما قبل الحرب العالمية الأولى ، الا أن أسعار التجزئة لم تهبط بنفس الدرجة ، ولذا ظلت تفوق أسعار ما قبل الحرب وان كان بنسبة محدودة ، الا أن الاحساس بالغلاء فى ظلها ربما كان أشد منه فى العشرينات ، نتيجة هبوط أسعار الحاصلات الزراعية ، وما ترتب عليها من انخفاض الدخول الزراعية فى الوقت الذى انخفضت فيه أجور العمال واشتدت البطالة بينهم .

ثم جاء النصف الثانى من الثلاثينات ليشهد نوبات من ارتفـــاع الاسعار ، ارتبطت بما طرأ على الجو السياسى الدولى من ارتباكات منذ الاعتداء الايطالى على الحبشة ، وحتى اندلاع الحرب العالميـــة الثانيـــة .

محاولات التصدى للغلاء وما ترتب عليه من أثار :

لم تقف الجهات المعنية سواء كانت حكومية أو غير حكومية ، من الغلاء مكتوفة الأيدى ، ولم تترك للاسعار الحبل على الغـــارب لتبلغ عنان السماء ، بل داومت هذه الجهات ، البحث عن وسائل للحد من غلواء الأسعار ، أو العمل — على الأقل — على تثبيتها . لكن ما اتخذ من اجراءات لم يثبت نجاحه فى تحقيق الهدف المرجو من ورائه والمتمثل فى الحد من آثار الغلاء .

فبعد أن توقفت الحرب العالمية الأولى ، استمر الابقاء على ما اتخذ من سياسات لمواجهة ارتفاع الاســـعار ، فاستمر العمل بنظام التسعير الجبرى ، وما ارتبط به من محاكمات للتجار الذين يخالفون التسعيرة ، أمام محاكم عســـكرية جزئية ، كانت تنظـــر

فيما تعرضه عليها مصلحة التموين من قضايا مخالفة التسعيرة ، والتلاعب بأقوات الشعب[٢٥] .

لكن فى ١٣ مايو ١٩١٩ قررت الحكومة التخلى عن سياسة التسعير الجبرى ، فى الوقت الذى اتخذت فيه بعض الضمانات لتثبيت الاسعار ، وقطع الطريق على المضاربين من التجار ، وممارسة التجارة ، عندما اشترطت على التجار ، عدم تجاوز الأسعار المحددة بالتسعيرة الملغاة ، فى نفس الوقت الذى وقفت فيه حق الاتجار فى السلع على من يحصل من التجار على تصريح بذلك من مصلحة التموين[٢٦] .

واذا كان القصد من وراء التخلى عن سياسة التسعير الجبرى ، هو رفع يد الحكومة عن الأسعار ، بما يؤدى الى اختفاء ظاهرة السوق السوداء ، وهبوط الأسعار ، اذا ما طرح التجار مخزونهم من السلع فى الاسواق ، ليحدد سعرها عاملى العرض والطلب . لكن بمجرد ما تخلت الحكومة عن تسعير السلع اشتطت الاسعار وبخاصة أسعار المواد الغذائية التى تدخل ضمن الاستهلاك اليومى لجمهور المستهلكين الذين أخذت تزداد معاناتهم من يوم لاخر .

ولما كان الوضع السياسى الداخلى لا يحتمل السكوت على الغلاء ، لذا أخذت الوزارة السعيدية تبحث عن بدائل للتصدى لارتفاع الأسعار ، وانتهت الى العودة لنظام التسعير الجبرى ، ولذلك عهدت الى بعض موظفيها ، وبعض أعيان التجار بدراسة حالة الاسواق ، وارشادها الى أنسب الوسائل لتخفيف غبن الغلاء عن المستهلكين ، باقامة نظام صارم يكفل سرعة محاكمة كل من تسول له نفسه من

---

(٢٥) المقطم ، عدد ٩٠٦٤ ، ٤ يناير ١٩١٩ « محاكمة مخالفى التسعيرة » ، وعدد ٩٠٦٦ ، ٧ يناير ١٩١٩ .

(٢٦) الاهالى ، عدد ٢٧٦٤ ، ٢٦ سبتمبر ١٩١٩ « الغذاء قبل كل شىء » اسماعيل عبد الوهاب .

التجار مخالفة التسعيرة ، وبما لا يشكل عبء على الشـــــهود من الجمهور ، فى حالة رفعهم لشكاواهم أو الادلاء بشهاداتهم[٢٧] .

وعند مناقشة لجنة مراقبة التموين فكرة العودة الى نظام التسعير الجبرى ، اختلف أعضائها فيما بينهم حول العودة الى هذا النظام ، فذهب البعض الى أن تسعير السلع وبخاصة المواد الغذائية ، فى ذلك الوقت . لا يتفق مع ظروف البلاد ، لأن السلع الغذائية انتقلت من يد الفلاح الى مخازن التجار . فى حين ذهب آخرون الى وضع تسعيرة وهمية ، تستهدف الحد من اجحاف التجار وتثبيط هممهم . ثم انتهت اللجنة الى اقتراحات رفضها رئيس مجلس الوزراء . تمثلت فى انه اذا لم يكن هناك بد من اعادة التسعير ، فلابد من رفع أســـعار آخر تسعيرة ألغيت بنسبة ٢٥٪ ، مع استبعاد المواد الغذائية من جداول التســـعير[٢٨] .

ثم قرر مجلس الوزراء اعادة العمل بنظام التســـعير الجبرى للسلع الضرورية بما فيها المواد الغذائية[٢٩] مع الأخذ فى الاعتبار ما طرأ على الأسعار العالمية والمحلية من ارتفاع ، لهذا أصدر تصريحا قبل اعلان التسعيرة لطمأنة التجار ، ذهب فيه الى أن الاسعار التى ستحدد ليلتزم بها التجار ، ليست فى كل الاحوال نفس الاسعار التى ألغيت فى ١٣ مايو ١٩١٩ وسوف ترتفع أسعار الغلال عنها بمتوسط ١٠٪[٣٠] .

---

(٢٧) نفس المصدر ، عدد ٢٧٣٧ ، ٢٦ اغسطس ١٩١٩ « مشكلة المواد الغذائية والتسعيرة المنتظرة » .

(٢٨) المقطم ، عدد ٩٢٦٧ ، ١٠ سبتمبر ١٩١٩ « مشكلة المواد الغذائية والتسعيرة المنتظرة » .

(٢٩) الاهالى ، عدد ٢٧٥٣ ، ١٤ سبتمبر ١٩١٩ .

(٣٠) المقطم ، عدد ٩٢٧٤ ، ١٨ سبتمبر ١٩١٩ « التسعيرة الجديدة » مذكرة لجنة مراقبة التموين .

ولم يخفف هذا التصريح من روع التجار ، وخصوصا تجار الغلال ، الذين اعترضوا على التسعيرة بدعوى أنهم جمعوا السلع التى أصبحت تحت أيديهم باسعار تفوق أسعار التسعيرة الملغاة ، من سوق حرة لم يحسبوا أن تجارتهم ستتقيد فيها ثانية بقيود كانت قد اطلقت منها[٣١] .

ولم تأبه الحكومة لاحتجاجات التجار ، وأعلنت فى ٢١ سبتمبر ١٩٢١ عن اعادتها لنظام التسعير الجبرى لكل السلع ، وأطلقت يد كل اقليم فى وضع تسعيرته واستخدام الوسائل اللازمة للاعلان عنها ومراقبة تنفيذها[٣٢] . وخول للجنة مراقبة التموين حق اضافة ما تراه من سلع الى التسعيرة وكذلك اخراج ما تراه منها ، بناء على المعلومات التى تتوفر لديها من جانب التجار أو موظفيها[٣٣] .

واضافة الى الأخذ بسياسة التسعير الجبرى ، أقدمت الحكومة على دعم بعض السلع ، كالخبز الذى تحملت فى سبيل دعمه للجمهور ، مبالغ ضخمة ، نتيجة الفارق الكبير بين سعره الحقيقى ، وسعر الاستهلاك ، منذ أن قررت توزيعه بالمنافذ الحكومية[٣٤] . كذلك اتجهت الحكومة الى استيراد كميات من الدقيق والقمح ، وبيعها للجمهور مباشرة بعيدا عن التجار من خلال أقلام توزيع الغلال التى انتشرت بالمدن وبخاصة القاهرة والاسكندرية[٣٥] . وقد أعفيت هذه الكميات المستورة من القمح والدقيق ، من رسوم الوارد مؤقتا منذ سبتمبر ١٩١٩ وحتى يونيو ١٩٢١[٣٦] .

---

(٣١) نفس المصدر : عدد ٩٢٧٥ ، ١٩ سبتمبر ١٩١٩ «أسعار الغلال» .

(٣٢) نفس المصدر ، عدد ٩٢٧٧ ، ٢٢ سبتمبر ١٩١٩ « بيان لجنة التموين فى التسعيرة الجديدة » .

(٣٣) نفس المصدر ، عدد ٩٢٧٩ ، ٢٤ سبتمبر ١٩١٩ .

(٣٤) CRouchley, A. E : op, cit., p. 198.

(٣٥) المقطم ، عدد ٩٢٧٤ ، ١٨ سبتمبر ١٩١٩ « التسعيرة الجديدة مذكرة لجنة مراقبة التموين » .

(٣٦) CRouchley, A. E : op, cit., p. 197.

وعلى الرغم من فشل هذه الاجراءات فى الحد من ارتفاع الأسعار ، الا أن الحكومة قررت ثانية التخلى عن نظام التسعير الجبرى لمعظم السلع فى ٢٠ يناير ١٩٢٠ باستثناء الدقيق والسكر ، ويعزى الابقاء على تسعير الدقيق ، لعجز الكميات المتاحة منه عن الوفاء باحتياجات السوق ، بعد أن أطاقت زراعة القطن من كل قيد . وراحت الحكومة تدبر النقص فى الدقيق ، باستيراد كميات من القمح ، وبيعها للمستهلكين بأسعار مدعمة ، تحملت فى سبيل دعمها مبالغ كبيرة ففى الفترة من ابريل ١٩١٩ وحتى مايو ١٩٢٠ ، استوردت حوالى ١٠٣٫٨٠٠ طن من القمح الاسترالى بمبلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ، بيعت كلها للجمهور بخسارة قاربت نصف مليون جنيه ، ولم تدفع هذه الخسارة الحكومة ، الى التخلى عن تقديم الدعم للقمح المستورد ، بل عقدت فى خريف ١٩٢٠ عدة اتفاقات لاستيراد كميات منه مع كميات من الذرة لتوزيعها على المستهلكين فى السنة التالية(٣٧) .

ولما توسعت الحكومة فى توزيع القمح والدقيق بأسعار مخفضة للجمهور ، وأدركت ضيق منافذ التوزيع التابعة لمصلحة التموين بالجمهور ، اتجهت لجنة التموين الى توزيع حصص من هذه السلع على الموظفين بالمصالح الحكومية — حتى جنود البوليس والخفراء وعمال البناء والورش ، وعمال الترسانات — مما أدى الى هبوط أسعار هذه السلع فى السوق ، بعد أن وصل الدعم لمستحقيه ، ففى أقل من شهر هبطت أسعار القمح بنسبة ٥٠٪ ، من ٦٦٠ قرشا للاردب فى مارس ١٩٢٠ ، الى ٣٣٠ قرشا فى شهر ابريل ، ثم الى أقل من ذلك فى شهر مايو . ويعزى هذا الهبوط الى فشل التجار فى خلق سوق سوداء للمواد الغذائية ، بعد أن توسعت الحكومة فى توزيع الدقيق والقمح ، خاصة بين أصحاب الدخول المحدودة(٣٨) .

---

(٣٧) CRouchley, A. E : op cit., p. 198 — 199.
الاهالى ، عدد ٢٧٤٦ ، ٤ سبتمبر ١٩١٩ .

(٣٨) الاهالى ، عدد ٢٩٥٢ ، ١١ مايو ١٩٢٠ ، وعدد ٣١٣١ ، ١٦ ديسمبر ١٩٢٠ .

وحتى لا تثقل الحكومة خزانة الدولة بعبء تخفيض ثمن رغيف الخبز فقد لجأت الى فرض ضريبة على القطن — الذى ارتفعت أسعاره عندئذ — كما فرضت ضرائب أخرى ، لتغطية نفقات استيراد القمح ، وتعويض قسطا من خسارتها من وراء تقديمه مدعوما(٣٩) .

وحتى تخفف من الأعباء الملقاه على عاتق الخزانة كذلك ، اذا ما زادت الفجوة بين أسعار التوزيع فى الداخل ، والاسعار العالمية ، اتجهت الحكومة الى تحريك أسعار الدقيق نحو الارتفاع من وقت لآخر ، كلما ارتفعت أسعار الكميات المستوردة من السوق العالمية(٤٠) .

والجدير بالذكر أن السلطة العسكرية قد شاركت الحكومة فى وضع حد لغلاء المواد الغذائية فى أوائل العشرينات عن طريق استيرادها لكميات من القمح ، وعرضها فى مزادات بمخازنها للبيع(٤١) ، ولم تعاود استخدام أسلوب البطش بالمتلاعبين فى الاسعار من التجار ، كما كان فى الحرب العالمية الأولى .

واذا كانت الحكومة قد انتهجت أكثر من وسيلة لوقف الارتفاع المتوالى فى الأسعار ، عندما اشتد ارتفاعها فى أوائل العشرينات ، فانها سرعان ما قللت من تدخلها فى تحديد الاسعار ، وبخاصة أسعار الغلال ، عندما اتجهت قرب منتصف العشرينات للنزول ، حيث قصرت اهتمامها بأمر الأسعار على تقديم بعض التسهيلات للمستوردين فى معظم الأحوال ، والتدخل لوقف تصدير الحاصلات الزراعية الغذائية ، فى بعض الأحوال ، مؤقتا فى شهور معينة لضمان تمويل البلاد ، لحين

---

(٣٩) نفس المصدر ، عدد ٢٩٦٠ ، ٢٠ مايو ١٩٢٠ .

(٤٠) الاهرام ، عدد ١٣٦٨٥ ، ٤ مارس ١٩٢٢ ، النشرة الاقتصادية المصرية ، السنة الثانية ، عدد ٥٩ ، ١٤ مارس ١٩٢٢ ، ص ١٩٨ .

(٤١) الاهالى ، عدد ٢٩٣٤ ، ٢٠ ابريل ١٩٢٠ .

حصد المحصول الجديد ، بهدف تجنيب البلاد مغبة الوقوع فى أزمة غذائيـــة[٤٢] .

أما الابقاء على تسعير السكر بجانب الدقيق ، فمبعثه تحكم بعض التجار فى معظم كمياته ، وتلاعبهم باسعاره ، التى بلغت حدا من الارتفاع شكا منه جمهور المستهلكين ، حيث درج هؤلاء التجار على اثراء أنفسهم على حساب المستهلكين ، عن طريق اقتطاعهم لكميات كبيرة من حصصهم وبيعها بأسعار مرتفعة لأصحاب مصانع الحلوى والشراب ، بما أجهــز على الكميات المخصصة للاستهلاك الشخصى بالأسواق ، والتى أدت قلتها ، فى الوقت الذى أوقفت فيه الحكومة استيراد السكر ، الى ارتفاع أسعارها بشكل فاحش وخاصة فى السوق الســوداء[٤٣] .

وعندما تنبهت الحكومة الى ذلك ، وضغطت على الشركة من أجل وضع حد لتهريب السكر من الأسواق ، أقدمت الشركة على أخــذ تعهدات على باعة القطاعى بعدم بيع السكر فى كميات تزيد عن عشر أقات للفرد الواحد[٤٤] .

ولما اثبت هذا الاجراء فشله فى وضع حـــد لارتفاع أســعار السكر ، قررت الحكومة ، أن تشرف بنفسها على تسعيرته من أول مايو ١٩٢٣ ، وعينت لذلك مفتشا ، وضعت تحت تصرفه قوة من رجـــال البوليس ، لمتابعة تنفيذ تسعيرة السكر بالعاصمة ، ومدن الأقاليم ، لدى التجار الذين تتعامل الشركة معهم والتى زودت القوة بأسمائهم ، وبالكميات الموردة اليهم[٤٥] .

---

(٤٢) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٩٦٠ ، ١٤ فبراير ١٩٢٥ .

(٤٣) نفس المصدر ، عدد ١٩٣ ، ١٦ يناير ١٩٢٢ ، الاهالى ، عدد ٩٨٥ ، ٢٠ يونيو ١٩٢٠ .

(٤٤) الاهالى ، عدد ٢٩٨٥ ، ٢٠ يونيو ١٩٢٠ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ١٩٣ ، ١٦ يناير ١٩٢٢ .

(٤٥) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٥٥٦ ، أول مايو ١٩٢٣ .

وبعد أن زودت مصلحة التجاره والصناعة ، قوة مراقبة تسعير السكر ، بأسماء التجار ، وأحجام الكميات التى تورد اليهم من جانب الشركة ، اذا بالصحف تطالعنا بعد أيام ودون مقدمات ، بالغاء الحكومة لكل القيود التى وضعت على تجارة السكر ، بدءا من التخلى عن تسعيره ، واطلاق حرية استيراده ، الى الغاء رسم الانتاج المفروض على صناعته المحلية[٤٦] .

وبذلك تكون الحكومة قد تخلت نهائيا عن الأخذ بنظام التسعير الجبرى للسلع بالسوق المصرية تاركة الأسعار فى الداخل تتحـرك ارتفاعا وهبوطا فى ركاب الأسعار العالمية ، ووفقا لعاملى العـرض والطلب المحليين ، خاصة بعد أن أدركت اتجاه الاسعار العالميـة الى الهبوط ، بعد أن كانت قد ارتفعت فى السنتين الاوليين من العشرينات ، وأن استمرار تدخل الحكومة فى تحديد أسعار السلع ، وفرض رقابة عليها مؤداه خلق أكثر من سعر لها بالسوق المحلية .

ولم يتوقف التراجع عن مواجهة الغلاء ، على الحكومة فحسب ، بل امتد الى شركات التموين الخيرى ، التى أخذ عددها فى التناقص ، بعد أن خفت حدة ارتفاع الاسعار ، من ست عشر شركة فى سنة ١٩٢١ الى خمس شركات فى ابريل ١٩٢٢[٤٧] .

واذا كانت سنوات العشرينات قد شهدت هبوطا فى الأسعار ، بعد سنواتها الأولى الساخنة الارتفاع ، بما جعل الحكومة والشركات

---

(٤٦) نفس المصدر ، عدد ٥٥٧ ، ٢ مايو ١٩٢٣ ، وعدد ٥٥٨ ، ٣ مايو ١٩٢٣ .

(٤٧) « كانت هذه الشركات قد تأسست فى طول البلاد وعرضها — فى الغربية والدقهلية والبحيرة وبنى سويف ودمياط والمنيا — برؤوس أموال خاصة لمكافحة الغلاء عن طريق توفير المواد الغذائية وغيرها من السلع الضرورية لجمهور المستهلكين من الفقراء والعمال بأسعار رخيصة » لمزيد من التفاصيل ارجع الى الاهالى ، عدد ٢٩٢٩ ، ١٤ ابريل ١٩٢٠ ، وعدد ٢٩٣٣ ، ١٨ ابريل ١٩٢٠ ، النشرة الاقتصادية المصرية ، السنة الثانية ، عدد ٦٤ ، ٨ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٣١٦ .

الخيرية ، تقلل من تدخلها لتخفيف وقع الغلاء عن أصحاب الدخول المتدانية والمحدودة • واذا كان هذا الهبوط المتوالى قد جعل أسعار الجملة تتطابق مع أسعار ما قبل الحرب العالمية الأولى ، فان أسعار التجزئة المؤشر الأساسى لنفقات المعيشة الحقيقية ، كانت ما تزال تحتفظ بزيادة عن مثيلاتها قبل الحرب بلغت فى سنة ١٩٣١ ٣٠٪ و ٤٠٪ فى سنة ١٩٣٢ • وهى زيادة رغم ضآلتها بالنسبة لمستوى أوائل العشرينات ، الا أن الاحساس بالغلاء معها كان شديدا بدرجة ربما فاقت أشد سنوات العشرينات غلاء ، وذلك لهبوط الدخول الفردية الى حد كبير ، ومن هنا كانت الفجوة الخطيرة بين الدخول التى تدنت فى ظل الكساد العالمى ، ونفقات المعيشة المرتفعة ، والتى ظلت لا تتناسب بأى حال من الأحوال مع الدخول ، رغم هبوط الأسعار • ولهذا زاد البحث عن وسائل لتثبيت الاسعار والدخول بما يحفظ توازنهما ، حتى لا تزداد الأزمة الاجتماعية حدة •

ورغم بحث الجهاز الادارى عن وسائل لكبح جماح الاحساس بالغلاء ، الا أنه لم ينته الى سياسة التسعير الجبرى ، وكذا وضع تشريعات للضرب على أيدى المتلاعبين بالأقوات • فعندما اجتمع مجلس الوزراء للنظر فى عدة اقتراحات بشأن الغلاء ، رفض اصدار تشريع بتحديد أسعار الحاجيات فى حين وافق على عدة اقتراحات منها ، التوسع فيما جرت عليه بعض المديريات والمحافظات ، من الاتفاق مع تجار التجزئة على تخفيض أسعار بضائعهم ، والتوسع فى انشاء مطاعم للفقراء فى المدن بمساعدة المجالس البلدية ، كذلك وافق على تكليف وزارة المالية بمخاطبة الشركات المسيطرة على أسعار بعض السلع ، للابقاء عليها فى حدود تكاليف انتاجها ، كما كلف بعض المصالح الحكومية بمراقبة أسعار شركات احتكار الماء والنور ابتغاء تخفيضها(٤٨) •

---

(٤٨) الاهرام ، عدد ١٦٥٨٦ ، ٧ فبراير ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة قرارات مجلس الوزراء فى تقرير وكيل المالية » .

كذلك أنشأت الحكومة قسما بوزارة المالية لمكافحة الغـلاء فى منتصف مارس ١٩٣١ لبحث وسائل تخفيض الأسعار فى أنحاء البلاد ، عن طريق مجموعة من المندوبين الذين توزعوا بين الاقاليم لدراسة ظروفها ومراقبة الأسعار بها ، وتلقى شكاوى الجمهور ، ثم العكوف على عقد اجتماعات محلية يشارك فيها التجار والمستهلكين ، لتبادل الحوار حول الأسعار ، والانتهاء الى تسعيرة معتدلة للسلع ، يتعهد التجار بالالتزام بها ، واذا ما تعذر الوصول الى تسعيرة معتدلة مع تجار بعض السلع ، يتولى القسم بمساعدة البلديات انشاء منافذ توزيع لها[٤٩] .

وعلى الرغم من تحقيق هـذا القسم قدرا من النجاح فى خفض أسعار المواد الغذائية[٥٠] . الا أن الحكومة ، قررت بعد شهور قليلة من انشـائه ، الغـاءه ، واحالة أعمـاله الى المحافظين ومديرى المديريات[٥١] ، بعد أن أدركت أن دوره لا يتعدى ما كانت تقوم به هذه الجهات منذ بداية الأزمة الاقتصادية[٥٢] .

لذلك تشكلت لجان على مستوى كل مديرية أو محافظة ، ومركز ، يرأسها المدير فى مديرية ، والمحافظ فى محافظته ، والمأمور بالمركز ، وتضم مجموعة من أعيان كل منطقة ، ويمثل فيها التجار والمستهلكين .

---

(٤٩) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٢٠ ، ١٥ مارس ١٩٣١ « مقاومة غلاء المعيشة فى القاهرة » وعدد ١٦٦٣١ ، ٢٦ مارس ١٩٣١ ، وعدد ١٦٦٢٣ ، ١٧ مارس ١٩٣١ .

(٥٠) نفس المصدر ، عدد ١٦٧٠٥ ، ١٢ يونية ١٩٣١ « مواجهة الازمة الاقتصادية ، مكافحة غلاء حاجات المعيشة » ، المقطم ، عدد ١٢٩٥٣ ، ١٧ سبتمبر ١٩٣١ « مكافحة الغلاء » ، وعدد ١٢٩٦٤ ، أول اكتوبر ١٩٣١ « ضرورة اعادة قسم مكافحة الغلاء » توفيق فريد .

(٥١) الاهرام ، عدد ١٦٦٢٢ ، ١٦ مارس ١٩٣١ « مكافحة الغلاء فى الاسكندرية » .

(٥٢) نفس المصدر ، عدد ١٦٤٩٣ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٠ « مقاومة غلاء المعيشة » .

وتقوم اللجنة بعقد اجتماعات لمناقشة الغلاء ، والانتهاء الى تسعيرة غير ملزمة لكل التجار ، الا من تعهد بشكل ضمنى أمام الحكومة ، بمعاملة الجمهور على أساسها . وتقوم اللجنة بعد ذلك بنشر التسعيرة ، وأسماء من قبل من التجار التعامل بها مع الجمهور ، فى الاماكن العامة — المديريات ، أقسام البوليس ، الميادين الكبرى ، وكذلك الجهات الأكثر ازدحاما . وعلى أبواب المتاجر — وخول لرئيس اللجنة عقد اجتماعات دورية كل أسبوع للنظر فى ادخال تعديلات على الأسعار وكذلك تكليف كبار موظفيه بالاشراف على تنفيذ التعليمات ومراقبة قيام رجال الادارة بواجبهم فى مباشرة التجار[٥٣] .

والجدير بالذكر أن تسمية هذه اللجان اختلفت من اقليم لأخر ، فبينما أطلق عليها فى القاهرة لجنة المواد الغذائية[٥٤] ، عرفت فى الجيزة بلجنة تخفيض أسعار المواد الغذائية[٥٥] . وفى الفيوم بلجنة تسعير المواد الغذائية[٥٦] .

وكما اختلفت تسميات لجان مكافحة الغلاء من اقليم لآخر ، اختلف كذلك تحديد مدة التسعيرة من اقليم لاخر فبينما قررت لجنة تخفيض أسعار المواد الغذائية بمديرية الجيزة ، أن تستمر التسعيرة التى وضعت فى أول مارس ١٩٣١ لمدة شهر ، تجتمع فى نهايته للنظر فى

---

(٥٣) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٧٠١ ، ١٥ ابريل ١٩٣١ « ميزانية الدولة ١٩٣١ — ١٩٣٢ » ، الاهرام ، عدد ٦٦٤٢ ، ٧ ابريل ١٩٣١ ، وعدد ١٩١٩٥ ، ٢٠ فبراير ١٩٣٨ « غلاء حاجات المعيشة اهتمام الحكومة بالأمر » .

(٥٤) الاهرام ، عدد ١٦٨١٦ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ ، وعدد ١٦٨٢٣ ، ٧ أكتوبر ١٩٣١ ، وعدد ١٦٩٤٢ ، ٥ فبراير ١٩٣٢ ، وعدد ١٦٥٥٤ ، ٦ يناير ١٩٣١ .

(٥٥) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٠٧ ، ٢ مارس ١٩٣١ « غلاء المعيشة » .

(٥٦) نفس المصدر ، عدد ١٦٦١٧ ، ١٢ مارس ١٩٣١ « تسعير المواد الغذائية فى الفيوم » .

أمرها بحضور التجار[٥٧] . ذهبت لجنة تسعير المواد الغذائية بالفيوم الى استمرار سريان العمل بالتسعيرة التى وضعتها فى ١١ مارس ١٩٣١ لحين صدور أخرى جديدة[٥٨] .

ومما يلفت النظر حقا ، أن التسعيرة التى كان ينتهى اليها رجال الادارة مع التجار ، كانت غير ملزمة لهم ، كما افتقدت الى شرط جزاء يوقع العقاب بمن تعهد بالالتزام بها أمام الادارة ، ثم ضرب بها عرض الحائط فى تعامله مع المستهلكين . حيث كان كل ما ينتظره من عقاب فى هذه الحالة ، هو الشطب من كشوف التجار الذين قبلوا التعامل مع الجمهور على أساس الاسعار ، التى انتهى اليها معهم ، ويعلن عن ذلك فى نفس الجهات التى سبق أن نشرت بها التسعيرة[٥٩] .

وحتى تسهل الحكومة من مهمة أجهزتها الرقابية على أسعار المحلات التجارية المتعاونة مع الحكومة ، وبما يوفر قدرا من الحماية للمستهلكين ، استصدرت مرسوما بقانون (رقم ٥٣) فى ٩ ابريل ١٩٣١ ، حتم على تجار التجزئة والباعة المتجولين وغيرهم ، أن يعلنوا عن أسعار السلع بطريقة واضحة ، وأن يكون ذلك باللغتين العربية والفرنسية ، بالمحال التى يتردد عليها عملاء أجانب . ونص القانون على عقاب من يخالف ذلك ، بدفع غرامة لا تزيد على مائة قرش ، والحبس لمدة لا تتجاوز أسبوعا ، أو باحدى هاتين العقوبتين[٦٠] .

---

(٥٧) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٠٧ ، ٢ مارس ١٩٣١ « غلاء المعيشة » .

(٥٨) نفس المصدر ، عدد ١٦٦١٧ ، ٢ مارس ١٩٣١ « تسعير المواد الغذائية فى الفيوم » .

(٥٩) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٧٠١ ، ١٥ ابريل ١٩٣٠ « ميزانية الدولة ١٩٣١ — ١٩٣٢ » ، الاهرام ، عدد ١٩١٩٥ ، ٢٠ فبراير ١٩٣٨ « غلاء حاجات المعيشة اهتمام الحكومة بالأمر » .

(٦٠) مجلة غرفة القاهرة ، السنة التاسعة ، العدد الرابع ، ابريل ١٩٤٤ ، ص ٣١٠ ، الاهرام ، عدد ١٦٦٤٥ ، ١٠ ابريل ١٩٣١ =

... ومما لا مرية فيه ، انه طالما كانت التسعيرة التى تسعى الحكومة اليها ، تقوم على التراضى مع التجار ، ولا يتوفر بها ما يلزم التجار بعدم تجاوز أسعارها فى تعاملهم مع المستهلكين ، لم يكن متوقعا من معظم التجار التضحية بأرباحهم ، والتعاون مع اللجان التى كانت تشكل على مستوى المناطق ، والقبول بأسلوبها فى تخفيف حدة الغلاء عن كاهل الأمة .

ولما أدركت الحكومة هذا ، وبخاصة من جانب بعض التجـــار ، الذين لا يتوفر لديهم الولاء الذى يجعلهم يتنازلون عن قـــدر من أرباحهم ، لصالح ذويهم ممن أصبحوا لا يحسون بطعم الحياة مع الغلاء وارتفاع نفقات المعيشة . فقد أوصت المجالس البلدية بتخصيص اعتمادات لفتح منافذ بيع لبعض السلع ، التى لا يقبل تجارها على التعاون مع الادارة ، لبيعها بأسعار فى مستوى دخول المستهلكين . لهذا أعد مجلس محلى قنا اعتمادا ، لفتح منافذ لبيع السلع التى يبيعها التجار بأسعار مغالى فيها ، بأسعار معتدلة تناسب الحـــالة القائمة للبلاد[٦١] . كــذلك أنشأت بلدية مديرية الغربية ، محـــلا لبيع الخبز ، عندما تمسك باعته بأسعار عالية ، وفى البحيرة ، أنشأت البلدية محلا لبيع اللحوم بالتسعيرة[٦٢] . أما فى الاسكندرية ، فقد قرر قسم مكافحة الغلاء فتح مخبزين وثلاث محلات للجزارة ، لتوفير احتياجات الجمهور من السلعتين بأسعار معتدلة ، لعزوف التجار عن البيع بها[٦٣] .

=

« اعلان أسعار القطاعى فى بيع الاصناف والحاجيات الاولية مرسوم القانون الجديد » .

(٦١) الاهرام ، عدد ١٦٦٤٥ ، ١٠ ابريل ١٩٣١ .

(٦٢) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٥٧ ، ٢٤ ابريل ١٩٣١ .

(٦٣) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٩٦ ، ٣ يونيو ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة فى الاسكندرية » .

وبالاضافة الى حرص الحكومة على اجراء اتفاقات مع أكبر عدد ممكن من التجار للبيع بأسعار معتدلة للجمهور ، وفتح محلات باعتمادات حكومية للبيع بأسعار مناسبة ، اذا ما تعثر التراضى مع العدد الكافى من التجار بكل اقليم ، لم تتوان الجهات المهتمة بالغلاء ، فى حصر المحلات التجارية بكل مدينة والوقوف على ما يبيع منها للمجهور بأسعار متهاودة ، وارشاد الجمهور اليها ، وحثه على التعامل معها ، وذلك اسوة بمن ارتضوا البيع بهذه الأسعار ، بعد الاتفاق مع الاجهـزة الحكومية(٦٤) .

كذلك استجابت الحكومة . لاقتراح وزارة المالية ، وألغت عوائد الدخولية ، بما أدى الى ازالة القيود على حركة التجارة الاقليمية ، وتخفيض قيمة السلع ، بعد الغاء الرسوم التى تضاف على قيمتها كلما انتقلت من مكان لآخر(٦٥) .

لكن رغم كل هذه الاجراءات التى اتخذت لمحاربة الغلاء أثناء الأزمة الاقتصادية ، الا أن الغلاء ظل قائما ، طالما ظلت الأسـعار فوق مستوى الدخول بدرجة ضج منهـا جمهـور المسـتهلكين بالشكوى(٦٦) . وفشلت هذه الاجراءات فى انزالها الى حد يتماشى مع ما طرأ على الدخول من هبوط ، ويعزى هذا الفشل الى عدم وجـود تشريع يمكن رجال الادارة من الضرب على أيدى التجار الذين يتلاعبون بالاسعار(٦٧) . وافتقاد لجان مكافحة الغلاء الى الصلاحيات التى

---

(٦٤) نفس المصدر ، عدد ١٦٤٩٣ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٠ ، عدد ٦٩٤٢ ، ٥ فبراير ١٩٣٢ .

(٦٥) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٦٩٨ ، ٧ ابريل ١٩٣١ « مذكرة وزارة المالية فى موضوع زيادة الرسوم الجمركية على الدخان والغاء ضريبة الدخولية » ، وعدد ٣٠٤٤ ، ٢٦ أغسطس ١٩٣٢ « الاهتمام الحكومى بتنشيط التجارة » .

(٦٦) الاهرام ، عدد ١٦٨٢٦ ، ١٠ اكتوبر ١٩٣١ .

(٦٧) نفس المصدر ، عدد ١٦٨٢١ ، ٥ اكتوبر ١٩٣١ « ما هـذا الغلاء الظالم واجب الجمهور فى الدفاع عن حقوقه » عبد الله حسين .

تمكنها من تنفيذ قراراتها ورغباتها بشأن الأسعار[٦٨] ، هذا فضلا عن عدم وجود ما يفرض على التجار الالتزام بالتسعيرة ، والتعهدات التى يقطعونها على أنفسهم للحكومة[٦٩] .

وقد أدركت بعض الصحف المصرية استحالة تصدى الحكومة وحدها للغلاء ، لذا راحت تحث المستهلكين على التعاون معها ، فذهب بعض الكتاب على صدر صفحات الاهرام ، الى أن الجمهور فى وسعه « ومعه الحكومة أن يدافع عن حقوقه بطرق شتى ، منها تأليف لجان لمكافحة الغلاء ، وانشاء جمعيات تعاونية لبيع الحاجيات ، ونشر أسماء التجار المبالغين فى الجشع » لمقاطعتهم « واساءة سمعتهم بين عملائهم ، ونشر أسماء التجار الذين يصانعون الجمهور ، والذين تعطيهم هذه المصانعة ميزة على زملائهم ، فتروج متاجرهم وتحسن سمعتهم »[٧٠] .

وفى الوقت الذى حدد فيه البعض ما يجب على المستهلكين عمله للحد من الغلاء الى جانب المساعى الحكومية ، حمل البعض ، على صدر صفحات نفس الجريدة ، المستهلكين مسئولية الغلاء ، الذى لم يكن « حقيقيا فى جميع نواحيه ، وإنما أغلبه — مفتعل مصنوع — شجع أربابه وأصحاب المصلحة فيه على التمادى ، تراضى الجمهور .. وتفككه وتهاونه المدهش فى كثير من حقوقه ... ولو انه وحد كلمته وضم صفوفه .. لأملى ارادته فى السوق ، وجعل الارقام تتبع المنطق والتطورات الطبيعية ، ولا تكون خاضعة كل الخضوع للاهواء والمطامع والمصالح الشخصية »[٧١] ، وذلك بالاقتصاد فى النفقات

---

(٦٨) المقطم ، عدد ١٢٩٧٠ ، ١٨ اكتوبر ١٩٣١ « الى لجنة مكافحة الغـلاء » .

(٦٩) الاهرام ، عدد ١٦٦١٣ ، ٨ مارس ١٩٣١ « مكافحة الغلاء » .

(٧٠) الاهرام ، عدد ١٦٨٢١ ، ٥ اكتوبر ١٩٣١ » ما هذا الغـلاء الظالم واجب الجمهور فى الدفاع عن حقوقه » عبد الله حسين .

(٧١) نفس المصدر ، عدد ١٦٨١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعشة ، الغلاء مصطنع واجب الجمهور » حسنى الشنتناوى .

والتحول عن العادات الاستهلاكية لأيام الرخاء واليسر ، والاقبال على من ارتضى من التجار تخفيض أسعاره[٧٢] .

ورغم عدم جدوى الاجراءات التى اتخذتها الحكومة ابان الازمة الاقتصادية فى تقليل الفجوة بين الاسعار والدخول الا أن الحكومة ، قد أبقت على العمل ببعض هذه الاجراءات ، فى حدود ضيقة حتى بعد أن ذهبت معظم آثار الازمة الاقتصادية عن مصر ، حيث ظل عمل لجان مكافحة الغلاء قائما حتى منتصف الثلاثينات ، رغم انحسار مهامها فى السعى لتخفيض أسعار الخبز ، بما يجعلها تتماشى مع أسعار الغلال الهابطة[٧٣] ، وكذلك تخفيض أسعار اللحوم ، وعندما طولبت اللجان بالتدخل لوضع حد لمغالاة التجار فى الاسعار فى أواخر ١٩٣٥ ، رفضت توسيع نشاطها بدعوى أن الأسعار أصبحت تتقلب عندئذ فى الاسواق ، وفق ظروف ومضاربات لا يتسنى لها الوقوف فى وجهها[٧٤] . ومن ثم تزايدت المطالب بانشاء جمعيات تعاونية فى المدن والقرى ، حتى يتسنى لاصحاب الدخول المحدودة والفقراء ، الحصول على احتياجاتهم الضرورية بأسعار رخيصة[٧٥] .

ولما كان دور لجان تخفيض الاسعار قد أصبح من الضآلة بمكان فى منتصف الثلاثينات ، لذلك لم نعد نسمع عنها بعد ذلك ، حتى بعد أن ارتفعت الأسعار فى أوائل ١٩٣٩ الى الحد الذى تألم منه

---

(٧٢) نفس المصدر ، عدد ١٦٦٨١ ، ١٩ يونيو ١٩٣١ « قسم مكافحة الغلاء وواجب الاجانب » .

(٧٣) المقطم ، عدد ١٣٧٦٧ ، ٣ مايو ١٩٣٤ .

(٧٤) الاهرام ، عدد ١٨٢٧٧ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ « لجنة مكافحة الغلاء » .

(٧٥) نفس المصدر ، عدد ١٨١٩١ ، ٢٤ يولية ١٩٣٥ « الفقراء فى مصر وضرورة اصلاح احوالهم » محمود عبد العزيز شرارة .

المستهلكين . نتيجة حجب التجار للسلع عن الأسواق ، وتحكمهم فى عرضها ، عندما لمسوا نذر حرب عالمية ثانية فى الأفق(٧٦) .

لذلك رفعت الحكومة حالة الاستعداد ، لمواجهة ما قد ينجم عن الحرب الوشيكة الوقوع ، من آثار تضخمية بالمجتمع المصرى ، ستؤثر دون ريب فى مستوى معيشة أصحاب الدخول المحدودة ، لهذا أنشأت مجلسا للتموين — برياسة محمد محمــود باشا رئيس الوزراء ، وعضوية الوزراء وكبار الموظفين — ليتولى بحث أمر التــموين العسكرى والمدنى بشكل أسبوعى ، فى الوقت الذى ساد فيه اتجاه يدعو لانشاء مصلحة للتموين(٧٧) .

وبعد أيام من الدعوة لانشاء مصلحة للتموين . تألفت لجنــة عليا للتموين — برياسة وزير التجارة والصناعة ، وعضوية ٢٥ من وكلاء الوزارات ، وكبار الموظفين — لتتولى وضع سياسة عامة لتمــوين البلاد ابان الحرب ، وقد انبثقت عن هذه اللجنة ، عدة لجان فرعية ، لبحث وسائل النقل ، والمواد الغذائية والوقود والأسمدة وغيرها(٧٨) .

ولما ازداد الاقبال على تخزين السلع الضرورية ، وخاصة المواد الغذائية ، بما أدى الى ارتفاع أسعارها فى منتصف ١٩٣٩ ، رأت الحكومة تطبيق التسعير الجبرى على كل السلع ، وأصدرت قانونا بذلك ألفت على أساسه لجان لمكافحة الغلاء(٧٩) . بيد أن تطبيــق

---

(٧٦) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد الثالث ، مارس ١٩٣٩ ، ص ٣٩٩ .

(٧٧) الاهرام ، عدد ١٩٥٨٤ ، ٢٢ مارس ١٩٣٩ ، وعدد ١٩٥٩٢ ، ٣٠ مارس ١٩٣٩ « تموين البلاد فى الحرب والسلم وجوب انشاء مصلحة للتموين » .

(٧٨) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد الرابع ، ابريل ١٩٣٩ ، ص ص ٤٢٦ ، ٥١٢ .

(٧٩) نفس المصدر ، العدد السابع ، سبتمبر ١٩٣٩ « اقتصادنا القومى فى جو الحرب » أ. عبد المجيد الرمالى .

التسعير الجبرى فى البداية ، لم يكن عاما بمعنى أنه لم يطبق على القطر كله فى وقت واحد ، وبأسلوب محدد ، بل طبق فى البـــداية بأقاليم دون أخرى ، كما انه خول لكل اقليم حرية تحديد الســـلع التى تخضـــع للتســـعير به ، وفقا لظـــروف العـــرض والطلـــب • لكن تطبيق التسعير الجبرى فى البداية بهذا التمـــايز بين الاقاليم وبعضها البعض ، أحدث أزمات سلعية باقاليم دون أخرى ، فالمناطق التى طبقت بها التسعيرة ، عزف المنتجون والتجار ، عن تسويق سلعهم بها ، خاصة اذا ما لمسوا غبنا من التسعيرة هناك ، والتحول بسلعهم الى أسواق الاقاليم ، التى لم يطبق بها نظام التسعير ، وقد وجدوا فى الغاء رسوم الدخولية ، ما شجعهم على ذلك[٨٠] •

وبذلك تكون الحكومة قد عادت لاستخدام أساليب صارمة فى مواجهة ارتفاع الأسعار مع بداية الحرب العالمية الثانية ، وربما كان هذا بايعاز من السلطة العسكرية ، التى توقعت تحول مصر إن أجـــلا وإن عاجـــلا ، الى أحد الميادين الرئيسية للحرب ، ومن ثم ستتحول الى مركز لتمويل قوات الحلفاء التى ستتمركز بها أو على مقربة منها ، بما سيؤدى الى ارتفاع الأسعار بالسوق المصرية ، بشكل قد يزيد من تراكم السخط عند المصريين على بريطانيا ، كما حدث فى الحرب العالمية الأولى •

ومهما يكن من أمر ، فان الاجراءات التى اتخذت فى مصر فيما بين الحربين العالميتين ، للحد من الارتفاع فى الأسعار ، بما يجعلها فى مستوى يتناسب مع الدخول المتدنية للقطاع العريض من المصريين ، قد أثبتت فشلها ، ويتجلى هذا الفشل فى استمرار الفجـــوة شاسعة بين أسعار الجملة وأسعار التجزئة ، وما ترتب عليها من ازدياد نفقات المعيشة بما أدى الى عيش هذا القطاع العريض فى معظمه دون خط الفقـــر •

---

(٨٠) نفس المصدر ، العدد التاسع ، نوفمبر ١٩٣٩ ، ص ص ١١٦١ — ١١٦٢ •

فبعد الحرب مباشرة تجاوزت نفقات المعيشة ضعفى ما كانت عليه قبلها ، حيث بلغت نسبتها الى نسبة ما قبل الحرب « والتى تساوى ١٠٠ » فى سنة ١٩١٩ حوالى ٢٠٢٪ ، ثم وصلت ذروة ارتفاعها فى سنة ١٩٢٠ عندما بلغت ٢٣٧٪[٨١] . واذا كانت الارقام القياسية لنفقات المعيشة قد بدأت فى التراجع عن ارتفاعها فى السنتين السابقتين فلا يعنى هذا انها بدأت فى الاقتراب من مستواها فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى ، بل ظلت تحتفظ بنسبة ارتفاع ملموسة عنها ، حتى بداية الثلاثينات ، والارقام الواردة بالبيان التالى تنطق بهذا الارتفاع فى نفقات المعيشة فى العشرينات .

بيان بالأرقام القياسية لنفقات المعيشة
لشهر مايو على أساس أن أسعار ١٩١٣ = ١٠٠

السنة	نفقات المعيشة	السنة	نفقات المعيشة
١٩١٨	١٩٧	١٩٢٦	١٦١
١٩١٩	١٩٦	١٩٢٧	١٥٢
١٩٢٠	٢٣٢	١٩٢٨	١٤٩
١٩٢١	١٨٨	١٩٢٩	١٥١
١٩٢٢	١٨٧	١٩٣٠	١٤٨
١٩٢٣	١٦٣		

المصدر : مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام ١٩٢١ — ١٩٢٢ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٢٣ ، ص ١٦٨ ، تقارير مصلحة عموم الاحصاء المنشورة بالاهرام ، عدد ١٤٠٧٤ ، ١٤ يونيو ١٩٢٣ « الارقام القياسية للاسعار » ، وعدد ١٥٦٩٢ ، ١٧ يونيو ١٩٢٨ « نفقات المعيشة العامة فى شهر يونيو » ، المقطم : عدد ١٢٥٨٤ ، ١٣ يوليو ١٩٣٠ « الارقام القياسية للاسعار » .

(٨١) رءوف عباس : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٧٩ .

من البيان يتضح أن نفقات المعيشة فى مصر فى العشرينات من القرن الحالى ، قد بدأت فى التراجع عن ارتفاعها الحاد فى السنوات الأربع التالية للحرب ، لكن الملاحظ أن هذا التراجع جاء طفيفا من عام لآخر ، بشكل جعل نفقات المعيشة طوال العشرينات تزيد بأكثر من ٥٠٪ عن مثيلاتها قبل الحرب باستثناء سنتى ١٩٢٨ و ١٩٣٠ •

وبمقارنة الأرقام القياسية لنفقات المعيشة وأسعار التجـزئة فى العشرينات ، يتضح لنا أن الاتجاه العام لنفقات المعيشة ، جاء متماشيا مع اتجاه أسعار التجزئة • وان كان اســتخراج الارقام القياسية لنفقات المعيشة ، قد تم على أساس أسعار التجزئة ، لا أسعار الجملة ، بشــكل قدم صــورة أقرب الى الحقيقة لنفقات المعيشــة الحقيقية ، الا أن الاعتماد على أسعار التجزئة فى حساب نفقات المعيشة أغفل فى نفس الوقت نسبة الارتفاع التى كانت تطرأ عليها نتيجــة الاختلاف الواضح بين أسعار التجزئة وأسعار السوق السوداء •

ورغم هبوط أسعار الجملة والتجزئة فى مصر ، أثناء أزمة الكساد العالمى ، الا أن هبوط أسعار الجملة قد فاق نزولا أسعار ما قبــل الحرب ، فى حين ظلت أسعار التجزئة رغم هبوطها ، تفوق مثيلاتها قبل الحرب بـــ ٢٠٪ فى سنة ١٩٣١ و١٠٪ فى سنة ١٩٣٢ • وهذا ما جعل الأرقام القياسية لنفقات المعيشة ، تأتى مرتفعــة عن مثيلاتها قبل الحرب بـــ ٣٦٪ فى نوفمبر ١٩٣١ و٣١٪ فى نوفمبر ١٩٣٢[٨٢] • ويعزى الفارق الواضح بين الأرقام القياسية لنفقات المعيشة وأسعار التجزئة ، فى ذلك الوقت ، إلى تباين أسعار السلع ، بشكل واضح ، فبينما ارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية الكفافية التى تقيم أود معظم المصريين ، انخفضت أسعار بعض السلع الأخرى ، ولهذا فعند استخراج متوسط أسعار التجزئة ، يبدو عليها الهبوط ، فى حين يتضح العكس عند تحديد الارقام القياسية لنفقات المعيشة ، والتى تقوم على السلع

---

(٨٢) الاهرام ، عدد ١٧٢٨٣ ، ١٨ يناير ١٩٣٣ •

ضرورية الاستهلاك ، كالمواد الغذائية والملبس والمسكن ، هذا فضلا عن بعض النفقات الضرورية الأخرى .

وعلى الرغم من استمرار هبوط أسعار الجملة فى النصف الثانى من الثلاثينات — باستثناء السكر ودقيق القمح فى بعض الاحيان — الا أن نفقات المعيشة لم تنخفض تقريبا عن مستواها ابان أزمة الكساد العالمى ، ومن ثم ظلت تفوق مثيلاتها قبل الحرب العالمية الأولى ، والبيان التالى يوضح هذا .

الأرقام القياسية لنفقات المعيشة فى شهر نوفمبر

على أساس نفقات سنة ١٩١٣ = ١٠٠

السنة	الارقام القياسية لنفقات المعيشة	السنة	الارقام القياسية لنفقات المعيشة
١٩٣٤	١٣٠	١٩٣٧	١٢٩
١٩٣٥	١٣٢	١٩٣٨	١٣٢
١٩٣٦	١٢٩		

المصدر : الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، ص ٤٩٨ .

من البيان نجد أن نفقات المعيشة فى النصف الثانى من الثلاثينات ، لا تختلف عن مثيلاتها أثناء أزمة الكساد العالمى ، حيث ظلت فى كلا الفترتين تزيد عن مثيلاتها قبل الحرب بحوالى ٣٠٪ . وهذا ما يجعلنا نؤكد على أن نفقات المعيشة فى الثلاثينات ، قد غلب عليها الثبات ، رغم هبوط أسعار الجملة . ثم جاءت نهاية سنة ١٩٣٩ لتشهد ارتفاعا فى نفقات المعيشة عنه فى شهور السنة الأولى ، وقد بلغ هذا الارتفاع فى نهاية هذه السنة ٨٪ عنه فى الفترة من يونيو حتى أغسطس ١٩٣٩ .

ويعزى هذا الى ارتفاع أسعار السلع ، بعد أن ارتفعت أسعار الجملة فى ذات الفترة بنسبة ٢٢٪[٨٣] •

وفى الوقت الذى ازدادت فيه الأسعار ، وفشلت كل محاولات تثبيتها ، بما أدى الى زيادة نفقات المعيشة ، كانت دخـول معظم المصريين تتسم بالضآلة والثبات — وهذا ما سنعالجه فيما بعد — ومن ثم العجز عن مجاراة الارتفاع فى الأسعار ونفقات المعيشة •

وقد قامت محاولات عديدة من جانب بعض الباحثين ، لتقدير نفقات المعيشة السنوية للاسرة المصرية المكونة من خمسة أفراد — الزوج والزوجة مع ثلاثة من الأبناء — انتهت كلها الى أن مثل هـذه الاسرة تحتاج لنفقات معيشة سنوية فى الاوقات العادية ، تتراوح بين ثلاثين وأربعين جنيها[٨٤] • ولما كانت هذه التقديرات قد تمت فى الثلاثينات ، فى وقت كانت أسعار التجزئة أقل منها بكثير فى العشرينات ، لذا فان نفقات المعيشة لهذه الاسرة فى العشرينات ، تزيد على ذلك على الأقل بنسبة ٦٠٪ ، هى الفارق بين نفقات المعيشة فى أوائل العشرينات وأوائل الثلاثينات •

---

(٨٣) رءوف عباس حامد : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٨٤) هناك أكثر من تقدير لنفقات الاسرة المكونة من خمسة افراد ، فقدرها مريت غالى بمبلغ يتراوح بين ثلاثين واربعين جنيها فى الاوقات العادية ، ووندل كلايند Wendell Cleland بمبلغ ٣٢٫٢٠ جنيها مصريا ، ثم عبد العزيز مليكه بحوالى ٣٤٫٥٦٠ جنيها . وهذه التقديرات فضلا عن انها جاءت متقاربة ، فقد جرت على الاسر الريفية ، اما وليم ولسن فذهب الى أن الحد الأدنى من نفقات المعيشة المقرر للانسان الراشد من اجل تدبير الطعام المكسب للغذاء فى المدينة تبلغ ١٫٩ قرش يوميا أو ٦٩٣ قرشا فى الشهر . مريت غالى : الاصلاح الزراعى ، دار الفصول ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ص ١٠ — ١١ ، المقطم ، عدد ١٢٩٣٥ ، ٢٩ أغسـطس ١٩٣١ « ملاك الاراضى الزراعية وفلاحوهم » عبد العزيز مليكة ، Cleland Wendell : Apopulation plan for Egypt, L'Egypte Contemporaine 1939, p. 467.

وطالما انتهينا الى رقم تقريبى لنفقات معيشة الاسرة المكونة من خمسة أفراد ، فالسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل تمتع معظم المصريين بدخول كانت تمكنهم من العيش مع نفقات المعيشة هذه ، عند حد الكفاف على الأقـل ؟

اذا ما أخذنا بما درج عليه الباحثون فى تحديد الدخل الفردى من الدخل القومى ، وذلك بقسمة الأخير على جملة عدد السكان — وهذا ما يعد التوزيع العادل والمثالى ، ولكنه لا يتفـق مع ظـروف المجتمع المصرى — لتماشت دخول كل المصريين مع تقديرات نفقات المعيشة الأنفة الذكر • وقد ذهب شارل عيسوى Charles Issawi ، على هذا الأساس ، الى أن نصيب الفرد من الدخل القومى فى مصر فى ١٩١٣ ، بلغ ١٢٫٤ جنيه مصرى ، و١٢٫٣ جنيه مصرى فى الفترة من ١٩٢١ — ١٩٢٨ ، ثم هبط الى ٨٫٢ جنيه مصرى فى الفترة من ١٩٣٠ — ١٩٣٣ والى ٦٫٩ جنيه مصرى فى الفترة من ١٩٣٥ — ١٩٣٩[٨٥] •

ولـما كانت هذه التقديرات قد قامت على توزيع الدخل القومى ، على جملة عدد السكان ، فقد اتضح الهبـوط المتوالى فى الدخـل الفردى ، نتيجة تزايد عدد السكان بنسبة — جاءت بمعدل ١٫٥٪ تقريبا سنويا[٨٦] — فاقت الزيادة فى الدخل القومى •

ورغم هذا الهبوط فى نصيب الفرد من الدخل القومى ، الا أن حاصل دخل الاسرة المكونة من خمسة أفراد بموجبه يغطى نفقات المعيشة ويزيد • لكن الأخذ بهذا الأسلوب فى تحديد دخل الفرد ، لا يقدم لنا صورة ولو تقريبية لمستوى المعيشة فى مصر ، لأسـباب

---

(٨٥) Issawi, Charles : Egypt in Revolution an Economic analysis, London 1963, p. 34.

(٨٦) محمد رشدى : التطور الاقتصادى فى مصر ، ج ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٩٥ .

عديدة منها ، أن الأسرة المكونة من خمسة أفراد ، لا يعمل أفرادها جميعا فى معظم الحالات ، بل غالبا ما يقتصر العمل على عائل الاسرة وحده ، أما لكون الاولاد فى سن لا تسمح لهم بالعمل ، أو لأنهم فى سن تسمح لهم بذلك ، ولا يجدون فرص عمل مناسبة • وحتى اذا عمل كل أفراد الاسرة ، على أحسن الفروض فان الدخول ستختلف من أسرة لأخرى ، تبعا لاختلاف ظروف العمل • لهذا اذا ما لم يقسم الدخل القومى على مجموع الرؤوس البشرية» ، فلابد من اختلاف الدخول الفردية ليس من فرد لأخر ، بل ومن أسرة لأخرى •

وغير ذلك لا يتفق هذا الاسلوب الأمثل فى توزيع الدخل ، مع ظروف المجتمع المصرى ، لأنه مجتمع شهد اختلالا صارخا فى توزيع الثروة ، بين قلة سيطرت على معظم مصادر الثروة ، ومن ثم معظم الدخل ، وغالبية لا تمتلك سوى قوة عملها ، وبالتالى لا تحظى الا بقدر يسير من الدخل لا يصل بمعظم أبنائها الى حد الكفــاف من المعيشة •

لهذا فان الوصول الى صورة تقريبية للدخــول فى مصر على أساس توزيع الثروة العقارية ــ التى تعد المصدر الاساسى للثروة والدخول فى مصر ــ يكون بمثابة تقديم رؤية أقرب الى الصــدق لمستوى المعيشة فى مصر ، فى فترة ما بين الحربين العالميتين • طالما أن المجتمع المصرى افتقد الى احصاءات دقيقة لتوزيع الثروة والدخول ، التى كان من الممكن الوقوف عليها ، لو طبق المجتمع ضريبة الدخل التى عرفتها البلدان الأخرى •

وللوقوف على الاتجاه العام لمستويات الدخول فى مصر ، التى غلب عليها التفاوت ، وفقا للتمايز فى توزيع الملكية ، يقدم لنا البيان التالى احصاءات ونسبا لمن يمتلكون مساحات دون خمسة الافدنة ، فى مقابل من يمتلكون فوق العشرين فدانا •

السنة	جملة الملاك		خمسة افدنة فأقل					عشرون فدانا فأكثر			
	عدد الملاك	المساحة المملوكة	عدد الملاك	٪	المساحة	٪	متوسط ملكية الفرد	عدد الملاك	٪	المساحة	٪
١٩١٨	١ر٧٣٧ر٠٩٤	٥ر٤٨٩ر١٢٤	١ر٥٨٨ر٦٠٦	٦٣ر٦	١ر٥٠٢ر٦١٣	٢٧ر٤	٢ر٥٥	٣٢ر٩٨٣	١ر٩	٢ر٩٣٨ر٢٩٥	٥٣ر٥
١٩٣٠	٢ر٢١٠ر٣٤٠	٥ر٧٩٠ر٠٥٠	٢ر٠٥٣ر١٧٠	٩٢ر٩	٢ر٧١٥ر٢٣٧	٢٩ر٧	٢ر٤٨	٣٤ر٢٦١	١ر٥	٢ر٩٥٧ر٧٦٣	٥١ر٠
١٩٣٥	٢ر٣٦٥ر٦٠٤	٥ر٨٢٦ر٩٥٩		٩٣		٣١ر٠			١ر٥		٥٠ر٠
١٩٣٨	٢ر٤٤٥ر٦٨١	٥ر٨٣١ر٥٥٦	٢ر٢٨٦ر١٥٧	٩٣ر٤	١ر٨٧٠ر٤٢٥	٣٢ر٠	٢ر٤٦	٣٤ر٦٦٢	١ر٤	٢ر٨٦٧ر١٤٠	٤٩ر١

المصدر : الاحصاء السنوى العام لعامى ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، ص ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، الاحصاء السنوى العام لعامى ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، ص ص ٣٢٠ — ٣٢١ ،

Cleland, Wendell, op, cit, p 467.

وقام الباحث باستخراج النسب المئوية ، واعادة هيكلة الاحصاءات بشكل يخدم البحث .

وتشير البيانات السالفة ، الى أنه فى سنة ١٩١٨ كان هناك حوالى ٦٣٫٦ من جملة الملاك المصريين يمتلكون ٢٧٫٤٪ من جملة الأراضى الزراعية ، ورغم زيادة أعداد هذه الطبقة الى جملة عدد الملاك ، الى ٩٢٫٩٪ فى ١٩٣٠ ثم ٩٣٪ فى ١٩٣٥ و٩٣٫٤٪ فى ١٩٣٨ ، الا أن نسبة ما تمتلكه الى جملة الاراضى الزراعية لم ترتفع بنفس الدرجة ، حيث جاءت على التوالى ٢٩٫٧٪ و٣١٪ ثم ٣٢٪ .

وفى مقابل هذه الطبقة كانت هناك طبقة أخرى بلغت نسبتها الى جملة عدد الملاك فى ١٩١٨ حوالى ١٫٩٪ ، امتلكت ٥٣٫٥٪ من جملة الأراضى ، واذا كانت نسبة هذه الطبقة قد هبطت الى ١٫٥٪ من جملة عدد الملاك فى الثلاثينات ، الا أن نسبة ما تمتلكه الى جملة الأراضى الزراعية ظل مرتفعا ، فبينما كانت تمتلك فى ١٩٣٠ حوالى ٥١٪ من جملة الأراضى ، هبطت الى ٥٠٪ فى ١٩٣٥ ثم ٤٩٫١٪ فى ١٩٣٨ ، رغم هبوط نسبة هذه الطبقة فى السنة الأخيرة الى جملة عدد الملاك بنسبة ١٫٠٪ .

وبهذا نجد أن طبقة لم تزد نسبتها الى جملة عدد الملاك ، بأى حال من الأحوال ، عن ٢٪ ، سيطرت على أكثر من ٥٠٪ من الدخل . فى حين أن طبقة ضمت أكثر من ٩٣٪ من عدد الملاك ، لم يزد نصيبها من الدخل القومى عن ٣٢٪ . ناهيك عن التفاوت فى توزيع الثروة والدخل بين أبناء هذه الطبقة ، والتى تأثرت بشكل واضح بالارتفاع الذى طرأ على نفقات المعيشة فى فترة ما بين الحربين .

وقد ذهب مريت غالى فى مؤلفه ، الاصلاح الزراعى ، الى أن الأسرة الريفية المكونة من خمسة أفراد ، تحتاج للعيش فى مستوى مناسب ، فى الظروف العادية ، الى ربع ثلاثة أفدنة تروى ريا صيفيا ، بما يمكن صاحبهامن زراعتها على مدار السنة ، أو ما يتراوح بين أربعة أفدنة وربع أو أربعة ونصف لا تروى ريا دائما . وينتفع

زارعوها بكل ايرادها ، دون تحمل عبء ايجار أو أجور عمالة ، أو حتى مصاريف ادارة[٨٧] .

ومن البيان السالف ، نجد أن متوسط ملكية الفرد ممن يمتلكون دون الخمسة أفدنة ، لم يصل الى المستوى الذى يمكنهم من العيش عند الكفاف ، حيث بلغ متوسط ما يمتلكه الفرد دون الثلاثة أفدنة ، اذا تجاهلنا ، أن معظم من كانوا يمتلكون أقل من خمسة أفدنة ، كانوا ممن يملكون أقل من فدان ، والذين بلغت نسبتهم الى جملة الملاك لأقل من خمسة أفدنة فى الفترة من ١٩١٩ وحتى ١٩٣٨ ما يتراوح بين ٦٣٪ و ٧٠٪[٨٨] .

واذا كانت هذه المساحة الضئيلة هى كل ما تمثله من مصدر للدخل ، لأكثر من ٩٣٪ من الملاك المصريين ، والذين ليس بالضرورة أن يعول الفرد منهم عائلة من خمسة أفراد فقط ، بل غالبا ما زادت على ذلك ، لانتشار ظاهرة تعدد الزوجات ، ولكثرة الانجاب[٨٩] . لاتضح لنا الى أى مدى كان الدخل المحدود يوزع على أضعاف ما يكاد يكفيه ، مما أدى الى زيادة الفقر فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى بنسبة تراوحت بين ٦٠٪ و ١٠٠ عنه قبل الحرب[٩٠] .

وزاد من سوء دخل هذه الطبقة وانتشار الفقر بينها ، التقلب الذى أصاب أسعار الحاصلات الزراعية وفى مقدمتها القطن — الذى ارتبط سعره فى الداخل بظروف السوق العالمية — الذى يمثل المحدد الأساسى لقوة الافراد الزراعيين الشرائية ، فهبوط سعره يعنى تناقص

---

(٨٧) مريت غالى : المرجع السابق ، ص ص ١٨ — ١٩ .

(٨٨) احمد الشربينى السيد : تجارة مصر الخارجية ١٩١٤ — ١٩٣٩ ، رسالة دكتوراه غير منشورة مودعة بمكتبة جامعة القاهرة ، ص ٨١ .

(٨٩) السياسة الاسبوعية ، السنة الثانية ، عدد ٥٥ ، ٢٦ مارس ١٩٢٧ « تحسين حال الفقراء فى مصر » عباس شوقى ، ص ٢٦ .

(٩٠) CRouchley, A. E : op, cit. p. 212.

قوتهم الشرائية ، وعجزهم عن مواجهة الارتفاع فى نفقات المعيشة ، والتوقف عن تسديد ما عليهم من مستحقات ضريبية للحكومة ، وديون للمرابين والبنوك ، وكذلك ديون الرهونات ، مما يجبرهم على التنازل عن ممتلكاتهم بأسعار زهيدة ، وهذا ما حدث فى سنوات ١٩٢٢ و ١٩٢٩ وكذلك ١٩٣٠ على سبيل المثال[٩١] .

وعلى العكس من ذلك ، كان ارتفاع أسعار القطن يعنى تحسن دخول الافراد ، وارتفاع قوتهم الشرائية ، وتمكنهم من تخليص ما عليهم من مستحقات للحكومة والدائنين ، فقد أدى ارتفاع سـعر القطن فى سنة ١٩١٩ الى ارتفاع حصة العملة ، المتداولة فى أيدى الافراد — حتى بلغت ٦٨٫٢٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى — الى حد مكن المدينين من تسديد ديونهم وتحمـل الارتفـاع المفاجىء فى نفقات المعيشة[٩٢] . كذلك أدى الارتفاع التدريجى فى أسعار القطن فى منتصف الثلاثينات (١٩٣٥) الى تحسن أحوال الزراع الاقتصادية ، بدرجة تمكنوا معها من توفير فائض نقدى بعد مواجهة نفقات المعيشة ودفع الايجارات ومصاريف الزراعة ، لتخفيض ديونهم ، وان تفاوت هذا الفائض بين زراع مصر العليا والسفلى الذين أدى تحسـن محصـولهم ببطء ، الى ضعف قدرتهم على تخفيض ديونهم بنفس الدرجة فى مصر العليا[٩٣] .

---

(٩١) المقطم ، عدد ١٣٤٩ ، ٢١ مارس ١٩٢٣ « الحالة المالية فى مصر » ، وعدد ١٢٥٨٤ ، ١٣ يولية ١٩٣٠ « الحالة المالية فى البلاد » ، المجلة الاقتصادية المصرية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، مايو ١٩٣٠ « الحالة الاقتصادية » ، ص ٥ .

(٩٢) المقطم ، عدد ١٣٤٩ ، ٢١ مارس ١٩٢٣ « الحالية المالية فى البـلاد » .

(٩٣) F. O. 407, 219. No. 134. From Lampson to Hoare Ramleh. 2 August 1935, p. 125; Ibid. No. 136, From Lampson to Hoare Cairo, 15 November 1935, p. 167.

ورغم تحسن أوضاع الملاك فى منتصف الثلاثينات عن السنوات السابقة ، بتزايد قدرتهم على تسديد نسبة من ديونهم ، ومتأخراتهم الضريبية للحكومة ، الا أنهم وجدوا صعوبة فى مواجهة الرهونات على أراضيهم ، والتى كانت فى معظمها لحساب بيوت الأقطان والمولون الزراعيون والمرابون ، نتيجة استنزاف نفقات المعيشة المرتفعة معظم ما يتحقق لهم من فوائض زراعية(٩٤) .

وأدى استمرار تحسن أسعار القطن فى أواخر الثلاثينات ، الى ازدهار الحالة الاقتصادية للزراع والملاك على حد سواء وتمكنهم من التغلب على الزيادة فى نفقات المعيشة — التى تراوحت فى أواخر سنة ١٩٣٩ بين ١٥٪ و ٢٠٪ — ومواجهة التزاماتهم الضريبية ، وتحقيق بعض التقدم فى خفض رهوناتهم وديونهم الاخرى(٩٥) ، بشكل ساعد فى خفض نسبة الأراضى المرهونة الى جملة الأراضى الزراعية من ٨٩٪ ابان أزمة الكساد العالمى ، الى ١٨٪ قبل الحرب العالمية الثانية(٩٦) .

ولما لأسعار القطن من تأثير هكذا فى حجم الدخول الزراعية ، تدخلت الحكومة بأكثر من وسيلة لحماية أسعاره من الهبوط ، وتخفيف

---

(٩٤) Ibid, No. 173, From Kelly to Eden. Cairo, 4 June 1396 " Enclosure, The Economic Situation in Egypt, p. 189. : Ibid 407, 218, No. 136, From Lampson to Hoare, Cairo 15 November 1935, Enclosure The Economic Situation in Egypt, p. 167.

(٩٥) Ibid, 407, 219, No. 80. From Lampson to Eden Cairo, 4 December 1936, Enclosure, the Situation in Egypt, p. 154; Ibid, 407 / 224, No. 2 From Lampson to Halifax, Cairo, 5 January, 1940, Anote on avisit to upper Egypt. 23 December 1939 p. 5.

(٩٦) El-Mallakh. Ragai, W. : the effects of the Second World war on the Economic development of Egypt, Ph. D. Thesis sub mitted to the Faculty of the Graduate school of Rutgers university, The State university New Jersey p. 20.

آثار التقلبات الحادة فيها ، على أصحاب الدخول الزراعية ، حيث درجت الحكومة بعد الحرب العالمية الأولى ، وحتى أوائل الثلاثينات ١٩٢١ — ١٩٣٣ — على التدخل فى السياسات الزراعية والتسويقية للقطن بتحديد زراعته ، والتدخل بالشراء فى سوقه فى السنوات التى تعرضت فيها أسعاره للهبوط ، بهدف خلق ندرة صناعية فى الكميات المنتجة ، والمعروضة من القطن المصرى بما يساعد على رفع أسعاره • غير أن هذه السياسات لم يصبها النجاح فى كل السنوات[٩٧] ومن ثم لم تتحقق الأهداف المرجوة من ورائها فى رفع الدخول الزراعية أو حتى تثبيتها فى سنوات انخفاض أسعار القطن •

بالاضافة الى ذلك تدخلت الحكومة ، بتوفير مصـادر تمويل للمزارعين ، حتى لا تتركهم لقمة سائغة للبنوك الأجنبية والمرابين ، الذين أقرضوهم بفوائد فادحة ، طاردوهم فى تحصيلها ، بمجرد جنى المحصول ، حتى أجبروهم على عرض محصولهم للبيع فى وقت واحد بعد الجنى ، بأسعار هابطة •

وحتى تحافظ الحكومة للمزارعين على أسعار معتدلة للاقطان ، تدر عليهم دخلا يتكافىء مع ارتفاع نفقات المعيشة فقد شرعت منذ ١٩٢٣ فى تسليفهم مبالغ بواسطة البنك الاهلى المصرى على أقطانهم ، ثم توسعت فى هذه التجربة فى سنة ١٩٢٦ عندما أقبل عليها الزراع بعد أن هبطت أسعار القطن • كذلك شرعت الحكومة فى اعادة التجربة فى سنة ١٩٢٨ والاستمرار عليها فى سنة ١٩٢٩ رغم ضآلة المبالغ التى أقرضت فى هاتين السنتين عما أقرض فى سنة ١٩٢٦[٩٨] •

وعندما تزايد هبوط أسعار القطن فى أوائل الثلاثينات ، أكثرت

---

(٩٧) احمد الشربينى : تجارة مصر الخارجية ، صص ١٧٠ — ١٧١ •

(٩٨) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الثامنة ، العدد الاول ، يناير ١٩٣٢ ، « القطن فى مصر » حسن صقر ، ص ص ٤٤ —٤٥ .

الحكومة من انشاء شونها على مقربة من حقول الانتاج فى الأقاليم ، ليودع بها المزارعون أقطانهم فى مقابل سلف بلغت ٣٫٥٠٠ جنيه لكل قنطار[٩٩] • وتولى رجال الادارة اقناع الزراع بايداع أقطانهم فى الشون والحصول على السلف ، لتخفيف ضائقتهم المالية ، ولتجنيب أسعار القطن مزيد من الهبوط ، بالتريث فى البيع[١٠٠] •

ولما بلغت الأزمة الاقتصادية ذروتها فى عام ١٩٣١ بمصر ، قررت الحكومة انشاء بنك التسليف الزراعى ، ليتولى اقراض الأموال للجمعيات التعاونية بفائدة ٤٪ ، لتعيد تسليفها للفلاحين بفائدة سنوية ٦٪[١٠١] • وهى فائدة لا تمثل ٤٠٪ من تلك التى كانت تتقاضاها البنوك الاخرى والمرابين ، والتى بلغت أكثر من ١٦٪ سنويا[١٠٢] •

وقد بدأ هذا البنك بداية متواضعة برأس مال لا يمكنه وحده فى وقت وجيز من القيام على إزالة الخلل بسوق القطن التى تزايدت بها عمليات البيع الرخيصة التى تتقدم المحصول • وحتى يتمكن البنك من جذب مزيد من العملاء جرى منذ ١٩٣٣ على تقديم سلف على الأقطان بواقع ٨٠٪ من قيمتها ، قابلة للزيادة بنفس النسبة كلما زادت الاسعار ، فى نفس الوقت الذى تغاضى فيه عن طلب أى تغطية للأقطان اذا نزلت الأسعار[١٠٣] •

---

(٩٩) الاهرام ، عدد ١٦٥٣١ ، ١٣ ديسمبر ١٩٣٠ .

(١٠٠) نفس المصدر ، عدد ١٦٤٩٣ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٠ .

(١٠١) نفس المصدر ، عدد ١٨٢٤١ ، ٢٠ سبتمبر ١٩٣٥ « حركة التسليف على القطن » حديث مع مدير بنك التسليف الزراعى ، باتريك اوبريان : ثورة النظام الاقتصادى فى مصر من المشروعات الخاصة الى الاشتراكية ، ترجمة خيرى حماد ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٧١ .

(١٠٢) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٧٩٧ ، ٨ سبتمبر ١٩٣١ « أسباب الازمة ونتائجها » عبد الحليم الياس نصير .

(١٠٣) الاهرام ، عدد ١٦٥٥٤ ، ٦ يناير ١٩٣١ « نظامنا الاقتصادى واختلاله المصرى يأكل كل حاصلاته قبل زرعها » ، المجلة الزراعية المصرية ، المجلد ١١ ، ج ١١ ، نوفمبر ١٩٣٣ ، ص ١٢٦٣ .

ورغم تسهيلات بنك التسليف الزراعى ، التى استهدفت تثبيت الدخول الزراعية ، بالمحافظة على أسعار القطن وحماية صغار الزراع من تسلط المرابين وفوائدهم المرتفعة التى استنزفت دخولهم ، الا أن البنك لم يفلح فى تحقيق أهدافه ، لأسباب منها ، النظم البيروقراطية الحكومية التى ثبطت همة صغار الزراع وجعلتهم يفضلون على البنك التعامل مع المرابين (١٠٤) ، كذلك استخدام الحكومة ، البنك كأداة سياسية لمحاباة الانصار ، بمنحهم سلفا ضخمة فى الوقت الذى تشددت فى منحها لغيرهم ، ويشهد بذلك حصول احدى عائلات مركز فوة(*) — والتى عرف أبنائها بمشايعة الحكومة — فى سنة ١٩٣٢ على سلف بلغت نسبتها ٥٠٪ الى جملة السلفيات التى عقدها البنك مع أبناء المركز (١٠٥) خاصة بعد أن رفع البنك الحد الأقصى للملكية المتعاملين معه من أربعين فدانا الى تسعين فدانا ثم مائتى فدان فى سنة ١٩٣٧ (١٠٦) .

وغير هذه المحاولات الحكومية التى استهدفت تثبيت الدخـــول الزراعية ، فقد تدخلت الحكومة كذلك لحل المشاكل المترتبة على ضعف هذه الدخول ، نتيجة هبوط أسعار الحاصلات الزراعية ، فى مواجهة ارتفاع نفقات المعيشة ، وجاءت مشكلة الديون وما ترتب عليها من نزع للملكيات ، ابان أزمة الكساد العالمى ، من أهم هذه المشاكل التى تطلبت تدخل الحكومة لحلها .

---

(١٠٤) El-Mallakh, Ragai, W : op. cit, p. 21.

(*) فوه بلدة على شاطىء النيل قرب رشيد ، والآن احد مراكز محافظة كفر الشيخ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، جـ ٢ ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٥٨ ، صص ١١٢ — ١١٥ .

(١٠٥) الاهرام ، عدد ٣٧١٦٢ ، ١٧ سبتمبر ١٩٣٢ « الازمة فى الريف » « ٣ » عبد الله حسين .

(١٠٦) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ — ١٩٥٢ ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٠٠ ، محمد رشدى : المرجع السابق ، ص ص ٦٨ — ٦٩ .

ومشكلة الديون الزراعية من المشاكل التى عرفها ملاك الأراضى منذ اقرار حق الملكية الفردية ، والتوسع فى زراعة الحاصلات النقدية دون توافر المصادر الكافية لتمويل صغار ومتوسطى الملاك على وجه الخصوص . لذلك غالبا ما عقدوا قروضا بفوائد مرتفعة لا يحددها قانون ، فى سنوات الرخاء الاقتصادى المرتبط بارتفاع أسعار الحاصلات الزراعية ، اما بدافع الانفاق الاستهلاكى والزراعى ، واما بدافع شراء مساحات من الأراضى البور لاستصلاحها واستغلالها أو الاتجار فيها . وطالما كان هناك رخاء متمثلا فى احتفاظ أسعار القطن بقدر من الارتفاع المجز ، لم يجد المدينين مشكلة فى تسديد ما عليهم من أقساط وفوائد ديون .

ففى سنوات الرخاء بالعشرينات عقدت قروض عديدة ، كان أهمها فى سنوات ١٩٢٧ — ١٩٢٩ وبينما كان المدينون يسددون ما عليهم من أقساط وفوائد ، اذا بالأزمة الاقتصادية العالمية تمتد الى مصر ، وتهبط أسعار الحاصلات الزراعية ، وبخاصة القطن ، الى حد أعجز المدينين عن تسديد الديون التى أخذت فى التراكم عليهم ، بعد أن تشدد المقرضون فى شروط اقراضهم ، بزيادة سعر الفائدة على القروض الجديدة ، وتلك التى عجز المدينين عن تسديد أقساطها من ٦٪ الى ٩٪ ، مما أدى الى قبض يد المدينين عن دفع أقساط ديونهم عن الفترة من ١٩٢٧ — ١٩٣٢[١٠٧] .

وقد أدى تراكم الديون ، بدرجة رهنت فى مقابلها حوالى ٨٩٪ من جملة الأراضى الزراعية فى أوائل سنوات الأزمة[١٠٨] ، فى الوقت الذى فشلت فيه كل محاولات الحكومة لتثبيت أسعار القطن والدخول الزراعية ، الى انتشار حركة مصادرة الملكيات وبيعها بصورة مروعة ،

---

(١٠٧) الاهرام ، عدد ١٧١٦٤ ، ١٩ سبتمبر ١٩٣٢ « الازمة فى الريف » عبد الله حسين مع فتح الله بركات .

(١٠٨) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

ففى ١٩٣١ نظرت محكمة مصر المختلطة وحدها فى حوالى ١١٠٠ قضية[١٠٩] واستمر بعد ذلك نظر قضايا نزع الملكية فى تزايد ، حتى أن المحكمة فى ١٩٣٣ كانت تنظر فى الجلسة الواحدة ما يتراوح بين ٢٢٢ قضية و ٣٠٤ قضية ، كما حدث أن تم الحجز فى أسبوع واحد على ٢٨٣٣ عقار[١١٠] .

وقد دفع انتشار حركة مصادرة الأراضى وبيعها بأسعار زهيدة المدينون — وكان من بينهم كبار رجال السياسة — الى مطالبة الحكومة بالتدخل لانقاذ ثرواتهم المرهونة والمعروضة للبيع فى مزادات بأسعار زهيدة • وقد استجابت الحكومة لضغوط المدينين ، وتدخلت أكثر مرة منذ سنة ١٩٣٣ لحل أزمة الديون العقارية — ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٧ — الى أن أعلنت فى ١٩٣٩ عدم تدخلها بين الدائنين والمدينين ، عندما أدركت انه لم يعد ثمة محل لاتخاذ اجراء تشريعى بعد تسوية يناير ١٩٣٩[١١١] •

وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه الحكومة محاولات لحل أزمة الديون ، بالتدخل بين الدائنين والمدينين توقع المسئولون البريطانيون فشل هذه المحاولات من البداية ، وذهبوا الى أن الحل يكمن فى اتجاه أسعار القطن[١١٢] ، ولهذا فشلت محاولات الحكومة فى انهاء هذه الأزمة ، لأن تدخلها لم يعد على صغار الملاك بأى فائدة ، كما أن التسويات العقارية التى تمت لم تصب الا جزءا يسيرا من

---

(١٠٩) نفس المرجع ، ص ١٧٤ •

(١١٠) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٣٣٤٨ ، ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ •

(١١١) CRouchley, A. E : op, cit., p. 217.

عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ص ١٦٨ — ١٩١ •

(١١٢) F. O. 407 / 219. No. 134, From Lampson to Hoare Ramleh, 2 August 1935, pp. 151 — 152.

الأفراد ، وجاءت فى النهاية فى صالح الدائنين أكثر منها فى صالح المدينين[113] .

لهذا أجبر صغار الملاك ، بعد أن حرموا من التسويات ، على بيع ممتلكاتهم لتسديد ديونهم بشكل أوصلهم الى درجة من الفقر[114] ، اقتنعوا معهـا بالفتات وما دونه . وربما هـذا ما جعـل شـارل عيسـوى يذهب الى أن مستوى معيشـة المزارع فى مصر عنـدئذ كان أكثر انخفاضا من مستوى معيشة الفلاح الأنجليزى فى القرن التاسع عشر[115] .

وفى الوقت الذى عجزت فيه الدخول الزراعية لصغار الملاك عن الوفاء باحتياجاتهم فى ظل تزايد نفقات المعيشة ، الناجم عن ارتفاع الأسعار ، كانت هناك شريحة من المستأجرين وبخاصـة صغارهم ، عجزت فى ظل الظروف السالفة ، عن تحقيق الدخـول التى تمكن أبنائها من العيش عند حد الكفاف .

وضمت هذه الشريحة من فقدوا أراضيهم من صغار الملاك ، لضيق ذات اليد ، وكذلك أصحاب المساحات الصغيرة ، الذين لجأوا لاستئجار مساحات من الأراضى لزيادة دخولهم ، بعد أن عجزت المساحات التى تحت أيديهم عن توفير الدخول المتوازنة مع ارتفاع نفقات المعيشـة .

بيد أن أحلام هذه الشريحة فى زيادة دخلها من وراء استغلال مساحات من الأراضى بطريق الايجار ، تبددت نتيجة ارتفـاع ايجارات الأراضى ، رغم استمرار انخفاض أسعار الحاصـلات

---

(١١٣) مضبطة الجلسة الحادية عشرة لمجلس النواب ، ١٠ أغسطس ١٩٣٦ ، ص ٥٦٣ .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٥٦٤ .

(١١٥) Issawi, Charles : Egypt at Mid — Century on Economic Survey, London 1954, p. 36.

الزراعية ، حتى أصبح ريع الفدان ، لا يغطى قيمة الايجار ، مضافا اليها المصروفات الزراعية .

ويعزى ارتفاع الايجارات ، الى تركز ملكية معظم الأراضي الزراعية فى يد حفنة من الملاك فرضوا شروطهم الايجارية على المستأجرين ، نتيجة ثبات المساحة الزراعية ، وتزايد الضغط عليها من جانب سكان الريف لغياب فرص العمل غير الزراعية ، مما أدى الى وجود سوق سوداء لايجار الأراضى الزراعية ، مثلها فى ذلك أى سلعة بالسوق[116] .

وهذا يعنى بالضرورة وجود وسطاء عرفوا بكبار المستأجرين ، كانوا يحصلون على الأراضى من كبار الملاك فى مساحات كبيرة ، ثم يعيدون تأجيرها من الباطن فى مساحات صغيرة ، لمن عرفوا بصغار المستأجرين مع الاحتفاظ بقدر من الربح لانفسهم ، ساهم بطبيعة الحال فى رفع القيمة الايجارية على صغار المستأجرين والتى كانت تزداد كلما زاد عدد الوسطاء .

ولما كانت الايجارات تتم لمدة ثلاث سنوات فى الغالب ، فقد تعرض المستأجرين على اختلاف مستوياتهم لكثير من الغبن فى فترة الدراسة ، نتيجة استمرار تقلب أسعار الحاصلات الزراعية ، وبخاصة القطن ، ويزداد هذا الغبن اذا ما تعرضت أسعار القطن للهبوط على التو من التعاقد . وهذا ما حدث فى معظم سنوات الدراسة ، ودفع المستأجرون الى مطالبة الحكومة بالتدخل لرفع الغبن عنهم .

وقد استجابت الحكومة لمطالب هذه الشريحة ، وقامت فى كثير من الأوقات الاستثنائية التى تعرضت فيها أسعار القطن للهبوط ،

---

(١١٦) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

بمحاولات لخفض الايجارات وتثبيت دخول المستأجرين بما يخفف عنهم عبء ارتفاع نفقات المعيشة .

وقد جاء أول تدخل حكومى لحل مشكلة الايجارات ، على أثر الانهيار المفاجىء لأسعار القطن فى أوائل العشرينات باصدار قانون فى سنة ١٩٢١ باعادة النظر فى ايجارات الأراضى للسنة الزراعية ١٩٢٠ — ١٩٢١ ، بواسطة لجان ايجارات الأراضى الزراعية ، التى تألفت على مستوى المديريات من أحد القضاة رئيسا واثنين من الأعيان يمثلون الملاك والمستأجرين[١١٧] وبعد أن حدد العمل بهذا القانون لمدة عام آخر ، فكرت الحكومة فى سنة ١٩٢٧ فى اصدار تشريع مماثل له ، ثم اكتفت بانشاء لجان استشارية للتوفيق بين الملاك والمستأجرين . وعندما أصيبت أسعار القطن بالهبوط ، ابان أزمة الكساد العالمى ، ارتفعت قيمة الايجارات ، وبخاصة ما عقد منها فى أواخر العشرينات ، ولم ينته آجله . ولهذا أصدرت الحكومة فى ٣ ديسمبر ١٩٣٠ قانونا أعطى من يقوم بتسديد ٢/٥ ايجار السنة الزراعية ١٩٢٩ — ١٩٣٠ مهلة عام — حتى أول سبتمبر ١٩٣١ — فى تسديد المتبقى من قيمة الايجار ، فضلا عن اعفائه من المتأخرات المستحقةعن السنتين الزراعيتين السابقتين بمقتضى العقد . كذلك نص القانون على اعفاء من سدد ٨٠٪ من قيمة ايجار السنة الزراعية ١٩٢٩ — ١٩٣٠ من باقى قيمة الايجار ، واعفاء من يسدد ٧٠٪ من ايجار السنة الزراعية ١٩٣٠ — ١٩٣١ من الـ ٣٠٪ الأخرى[١١٨] .

ورغم صدور هذه القوانين الا أن الايجارات لم تهبط بدرجة تجعل ما ينتجه الفدان المستأجر يغطى قيمة الايجار[١١٩] — التى بلغت ٥٤٪ مما ينتجه الفدان قبل الحرب العالمية الثانية[١٢٠] — مع

---

(١١٧) مضبطة الجلسة الحادية والعشرين لمجلس النواب ، ٣١ يولية ١٩٢٦ ، ص ١٢٣٠ .

(١١٨) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(١١٩) نفس المرجع ، ص ص ١٤٥ — ١٤٦ .

توفير قدر من الدخل يمكن المستأجرين من مواجهة الارتفاع المحسوس فى نفقات المعيشة ، وهذا ما جعل هذه الشريحة تعيش فى معظمها دون حد الكفاف الذى حال بينها وبين تجميع مبالغ نقدية تمكنها من شراء مزارع لحسابها ، والتطور الى نظام الاستغلال الفعــال للملكيات الزراعيــة .

وغير فئــة المستأجرين الذين أعجزتهم الايجارات المرتفعــة للاراضى ، عن تحقيق الدخول التى تمكنهم من العيش عند حد الكفاف ، كانت هناك شريحة أخرى عانت الأمرين من جراء الغلاء الذى اجتاح البلاد فى الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى بداية الحرب الثانية . ونقصد بهذه الشريحة ، الأعداد الغفيرة المعدمة من أبناء الريف المصرى ، التى لا تمتلك الا بيع قوة عملها للعيش .

ولمــا كانت فرص العمل اللازراعية غير متوفرة بالريف ، لذا اشتد ضغط المعدمون على العمل الزراعى ، بشكل أدى الى انخفاض أجورهم ، من منطقة لأخرى ، حسب أعدادهم ، وأسعار الحاصلات ، وطبيعتها ، حيث غلب الارتفاع على أجور العمالة الزراعية ، بالمناطق المزدحمة بهم — كالمنوفية والقليوبية على سبيل المثال — فى حين هبطت هذه الأجور بالمناطق المخلخلة بالسكان ، ففى الوقت الذى تراوح فيه أجر العامل الزراعى اليومى بين ٢٥ مليما و٤٠ مليما فى ١٩٣١ بالمناطق الغنية بالعمالة[١٢١] ، تراوح هذا الأجر بالمناطق الفقيرة بالعمالة فى ١٩٣٢ ما بين ٥٠ و ٥٥ مليما بمنطقة سخا و ٥٠ و٦٥ مليما فى المرابعين ثم ٤٥ مليما و٧٠ مليما فى منطقة بشبيش[١٢٢] .

---

(١٢٠) El-Mallakh, Ragai W. op. cit, p. 20.

(١٢١) المقطم ، عدد ١٢٩٣٥ ، ٢٩ أغسطس ١٩٣١ « ملاك الاراضى الزراعية وفلاحوهم » عبد العزيز مليكة .

(١٢٢) صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الثامنة ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٣٢ « القطن فى مصر » حسين على الرفاعى ، ص ١٨٤ ، وكانت سخا من أعمال الغربية ، والآن من أعمال كفر الشيخ ، أما المزابعين =

بالاضافة الى هذا التفاوت فى أجر العمالة الزراعية من منطقة لأخرى ، اختلفت كذلك الأجور من العمال الدائمين « التملية » الى العمال المؤقتين « الخطرية » — فى كل منطقة ، فبينما كان أجر العامل الدائم يتراوح بين ٦٠ قرشا و١٢٠ قرشا فى الشهر ، كان أجر العامل المؤقت يتراوح بين ٧٥ قرشا و١٢٠ قرشا[١٢٣] .

وبمقارنة أجر العامل الزراعى فى فترة ما بين الحربين ، وأجره قبل الحرب الأولى — والذى تراوح بين أربعة قروش وخمسة قروش ونصف[١٢٤] — وجدنا أن أجور العمالة الزراعية فى فتـرة ما بين الحربين ، لم ترتفع بنفس درجة الارتفاع فى الأسعار ونفقـات المعيشة مما جعل هذا الكم الهائل من العمال المعدمين يعيشـون دون خط الفقر بكثير .

وبذلك تأثرت دخول أهل الريف — سواء من اعتمد منهم على ريع أرض امتلكها ، أو ريع أرض استأجرها ، أو من اعتمد منهم على قوة عمله — الذين كانوا يمثلون أكثر من ثلثى سكان مصر ، على اختلاف مستوياتهم ، بالتقلبات التى طرأت من وقت لآخر على أسعار الحاصلات الزراعية ، وخاصة ابان أزمة الكساد العالمى ، التى انخفضت

=

فهى احد توابع ناحية دقميره ، بمحافظة كفر الشيخ ، اما بشبيش فهى احدى قرى الغربية ، والتى تتبع مركز المحلة . محمـد رمزى : المرجع السابق ، ص‌ص ٣٨ — ٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٠ .

(١٢٣) عاصم الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، المقطم ، عدد ١٢٩٣٥ ، ٢٩ اغسطس ١٩٣١ « ملاك الاراضى الزراعية وفلاحوهم » عبد العزيز مليكة ، صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الثامنة ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٣٢ « تقرير السكرتير التجارى لدار المنـدوب السامى البريطانى عن الحالة الاقتصادية فى مصر » ، ص ١٥٤ .

(١٢٤) Issawi, Charles : Egypt at mid-Century, p. 36.

صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، السنة الثامنة ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٣٢ ، « القطن فى مصر » حسين على الرفاعى ، ص ١٨٤ .

فى ظلها الدخول بما جعلها لا تغطى ولو جزء من نفقات المعيشة ، التى ارتفعت بتحول الكماليات الى ضروريات ٠

الأثـــار الاجتماعية للغـــلاء :

وقد أدى هذا الاختلال الواضح بين نفقات المعيشة المتزايدة ، والدخول المتدنية بالريف ، الى سوء حالة أبنائه الاجتماعية ، الذين ساءت حالتهم الصحية ، نتيجة غياب الرعاية ، التى يرجع بعضـــها الى حرمانهم من المياه النقية الصالحة للشرب(١٢٥) ، وسوء التخطيط العمرانى الذى انتاب قراهم ، وأدى الى تلاصق المنازل فى الجوار وتقاربهـــا فى الواجهات ، بعد ترك فقط أزقة وحوار ضيقة جـــدا للمرور(١٢٦) لم تترك مجالا للتهوية الصحية ٠

وقد دفع غياب الرعاية الصحية بالريف ، وغض الحكومة والبرلمان الطرف عنه ، بعض الكتاب الى التنديد بسياستهما نحو الريف على صدر صفحات احدى الصحف الواســـعة الانتشار فى ذلك الوقت ، فذهب أحدهم الى أنه « بالرغم من المنظر المعيب « بالريف » لم نر مصلحا واحدا ٠٠ أو نائبا أو مسئولا يطلب انقاذ أبنائه من شقائهم ، ووضع نظام يكفل اصلاحا قرويا قريبا من النظـــام الراقى الانسانى البديع الذى منحته بريطانيا العظمى لزارعيها ٠٠ « ثم تساءل » لماذا لم يلاحظ ملافاة هذا العيب فى توزيع اعتمادات الميزانية المصرية ، التى أخذت فى أسباب التضخم منذ عشرات السنين بغير أن يراعى فيها اصلاح حال أهم طبقة عاملة فيها »(١٢٧) ٠

---

(١٢٥) مضبطة الجلسة السادسة عشرة لمجلس النـــواب ، ١٠ اغسطس ١٩٣٦ ، ص ٥٦٣ ٠

(١٢٦) الاهرام ، عدد ١٦٧٠٦ ، ١٣ يونيه ١٩٣١ « بلاد الريف وتحسين حالتها » ٠

(١٢٧) الاهرام ، عدد ١٧٥٧٧ ، ٩ ديسمبر ١٩٣٣ « الطبقة العاملة فى مصر هل لها نصيب من الاموال العمومية » عثمان مرتضى ٠

وقد أدى غياب الرعاية الصحية بالريف الى هذا الحد ، فى الوقت الذى عجزت دخول ساكنيه عن تمكينهم من الانتقال الى الحواضر ، لعلاج الأمراض المترتبة على تلك الظروف ، الى انتشار بعض الأمراض بصورة مروعة بين أبناء الريف ، كالملاريا والسل ، والبلاجرا ، هذا فضلا عن الاصابة المزمنة لحوالى ٧٥٪ من أبناء الريف بمرض أو أكثر من الأمراض المستوطنة ، كالبلهارسيا ، والانكلستوما التى أصابت ما لا يقل عن ٣٣٪ من الفلاحين المصريين ، والأخطر من هذا انتشرت بالريف أمراض سوء التغذية ، التى أصبحت شائعة نتيجة عيش عدد كبير من أبنائه عند مستوى يقل عن حد الكفاف(١٢٨) . وقد بلغت خطورة هذه الأمراض حدا ، أنها أودت بحياة ٨٠٪ من سكان بعض النواحى فى كثير من السنوات(١٢٩) .

وقد مثل سوء الوضع بالريف هكذا عامل طرد لابنائه الذين تزايد تدفقهم على المدن ، بحثا عن فرص عمل تدر عليهم الدخل الذى يمكنهم من العيش أصحاء ، وعند حد الكفاف . وتجلت زيادة التدفق من الريف على المدن ، فى الارتفاع المستمر فى عدد سكان عواصم المديريات فى الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٧ ، الى جملة عدد السكان فى مصر(١٣٠) . وقد بلغت الزيادة فى مدن القناة والقاهرة درجة واضحة عنها فى باقى المديريات ، نتيجة تفضيل سكنى هذه المناطق من جانب أبناء الصعيد ، وأبناء المديريات القريبة منها بالوجه البحرى(١٣١) .

---

(١٢٨) El-Mallakh, Ragai, W. : op. cit., pp. 12 — 13;
F. O. 407/219. No. 80 From Lampson to Eden, Cairo, 4 December 1936. p. 154.

(١٢٩) مصر الصناعية ، المجلد الثالث ، العدد الخامس ، مايو ١٩٢٧ « مستقبل مصر الاقتصادى » د. م ليفى ص ٣٦ .

(١٣٠) احمد الشربينى السيد : تجارة مصر الخارجية ، ص ٩٢ .

(١٣١) الاهرام ، عدد ٣٦٣٣٨ ، ٣ يونية ١٩٣٠ ، « الازمة » ، وعدد ١٧١٧٨ ، ٣ أكتوبر ١٩٣٢ « ازمة فى الريف الزراعة بين الملاك والمستأجرين » عبد الله حسين ، التجارة ، عدد ٨٢٣ ، ٦ فبراير ١٩٣٢ .

والذين دفعهم الجوع الى عدم وجود غضاضة فى الارتزاق من وراء جمع أعقاب السجائر ، وبيع الأشياء التافهة[١٣٢] •

وهكذا أدى تردى الدخول الزراعية لغالبية أهل الريف — بسبب ضآلة المساحة التى يتملكونها ، وارتفاع ايجارات الأراضى ، وانخفاض الأجور ، وعدم وجود فرص عمل غير زراعية — الى سوء حالتهم الاجتماعية ، بدرجة أدت الى تفشى الامراض فيهم ، بعد أن عجزت عن علاجها دخولهم الضعيفة التى استنزفتها نفقات المعيشة المرتفعة ، مما دفعهم الى هجر الريف بأعداد كبيرة الى المدن ، بحثا عن فرص عمل وظروف معيشية وصحية أفضل •

أما التجار الوطنيين فلم يكن حالهم أفضل من الفلاحين فى ظل الغلاء الذى اجتاح البلاد فى فترة ما بين الحربين ، خاصة أن معظمهم كانوا من ذوى الخبرة المحدودة فى النشاط التجارى ، كما انهم ركزوا نشاطهم فى تجارات متواضعة ، أهمها تجارة التجزئة ، وان كان منهم قلة تمتعت بوضع مالى مرموق ، مارست التجارة الخارجية الى جانب الاجانب •

ويرجع تأثر التجار بما أصاب البلاد من غلاء ، لارتباط حركة الاسواق ، بالقوة الشرائية الفلاحين ، الذين ارتبطـوا فى معظمهم بعلاقات مالية مع التجار الذين استدانوا منهم اما بالاقتراض المباشر أو الشراء العاجل بالأجل • وخير شاهد على هذه العـلاقات تزايد قضايا الحجز التى أقامها التجار على ممتلكات الفلاحين الذين عجزوا عن تسديد ما عليهم من مستحقات لهم ، بعد أن ضاقت بهم الحال ابان أزمة الكساد العالمى[٣٣] •

ولمـا كان هناك قاسم مصلحى مشترك بين الفلاحين والتجار ،

---

(١٣٢) الاهرام ، عدد ١٧٥٧٧ ، ٩ ديسمبر ١٩٣٣ •

(١٣٢) الاهرام ، عدد ١٧٥٧٧ ، ٩ ديسمبر ١٩٣٣ •

لذا تأثر النشاط التجارى فى الأسواق ، بالحالة الاقتصادية للفلاحين ، الذين كان تحسن حالتهم الاقتصادية ، بارتفاع أسعار الحاصلات الزراعية، ، يعنى انتعاش الاسواق ، واذا ما حدث العكس وساءت حالتهم وهبطت قوتهم الشرائية ، توقفت حركة الاسواق ، لانقطاعهم عنها ، بعد اكتفائهم بما دون الضرورى من الأشياء •

فقد أدى ارتفاع أسعار القطن عقب الحرب العالمية الأولى ، الى تحسن القوة الشرائية للفلاحين بشكل مكنهم من تحمل نفقات المعيشة المرتفعة ، ومكن التجار من تحقيق قدر من الأرباح ، بعد أن راجت تجارتهم ، ومن ثم أصبحنا لا نسمع عن كثير من حالات اشهار الافلاس بينهم • ولما تعرضت أسعار القطن للهبوط فى سنة ١٩٢١ ، فى الوقت الذى كانت ما تزال نفقات المعيشة مرتفعة ، أصيب دولاب العمل فى الاسواق بالارتباك ، نتيجة الشلل الذى انتاب حركة البيع والشراء ، مما أثر فى التجار الذين تزايد عدد من أفلس منهم ، ومن انسحب من السوق ، فى حين قصر من ظل به ، نشاطه على نوعيات من السلع المربحة[١٣٤] •

ثم أدى عدم انتظام حركة البيع والشراء بالأسواق فى النصف الثانى من العشرينات ، الى تزايد عدد من أشهر افلاسهم من التاجر • والنسب الواردة بالبيان التالى تنطق بارتفاع حالات اشهار الافلاس فى النصف الثانى من العشرينات ، وأوائل الثلاثينات ، عن مثيلاتها قبل الحرب العالمية الأولى •

---

(١٣٤) المقطم ، عدد ١٠٣١٩ ، ١٤ نوفمبر ١٩٢٣ « غلاء المعيشة . هل تعود الاسعار الى مستواها قبل الحرب » فضل اله جنحو .

بيـــان بعدد التفاليس التى أشهرت

على أساس أن سنتى ١٩١٣ — ١٩١٤ = ١٠٠

السنة	عدد التفاليس التى أشـهرت	السنة	عدد التفاليس التى أشـهرت	السنة	عدد التفاليس التى أشـهرت
١٩١٩	١٨ر٨	١٩٢٥	١١٥ر٩	١٩٣١	٣٠٠ر٦
١٩٢٠	٢١ر٠	١٩٢٦	١٦٤ر٨	١٩٣٢	٣٠٢ر٨
١٩٢١	١١٥ر٣	١٩٢٧	٢٦٨ر٨	١٩٣٣	١٥٥ر١
١٩٢٢	١٠٢ر٨	١٩٢٨	٢٢٧ر٨	١٩٣٤	١٢٢ر٢
١٩٢٣	٨٣ر٥	١٩٢٩	٢٣٧ر٥	١٩٣٥	١٢١ر٠
١٩٢٤	١٠١ر٧	١٩٣٠	٢٣٠ر٧		

المصدر : مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام لعامى ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٩ ، ص ٢٠٩ .

ومن خلال البيان ، نجد أن حالات اشهار الافلاس بين التجار ، ارتفعت فجأة فى سنة ١٩٢١ عن مستوى ما قبل الحرب • ورغم معاودتها الهبوط فى سنتى ١٩٢٢ و١٩٢٣ ، الا أنها سرعان ما أخذت فى الارتفاع ثانية عن مستوى ما قبل الحرب بكثير ، حتى انها بدأت فى تجاوز ضعف ما كانت عليه قبل الحرب منذ ١٩٢٦ ، ثم جاءت بداية الثلاثينات لتشهد تزايدا فى حالات اشهار الافلاس بين التجار ، لدرجة انها تجاوزت ثلاث أضعاف مستوى ما قبل الحرب فى سنتى ١٩٣١ و ١٩٣٢ • ويعزى ارتفاع حالات اشهار الافلاس بين التجار فى أوائل الثلاثينات ، الى استمرار تسلط الارتباك على حركة البيع والشراء بالأسواق ، بسبب أزمة الكساد العالمى والضائقة المالية التى ألمت بالبلاد ، نتيجة هبوط أسعار القطن[١٣٠] .

---

(١٣٥) والجدير بالذكر ان التجار المصريين شكلوا الغالبية العظمى ممن اشهر افلاسهم من التجار ، فمن بين ٥١ حالة افلاس اشهرت فى ابريل =

وبالاضافة الى تزايد حالات اشهار الافلاس بين التجار ابان أزمة الكساد العالمى تزايدت كذلك قضايا البروتستات — الاعلان عن توقف الدفع تمهيدا لاشهار الافلاس — حتى أن المحاكم المختلطة ، كانت تنظر يوميا فى أكثر من ٥٠٠ قضية منها[١٣٦] .

وقد سعى التجار لتجنب الضائقة المالية ، واشهار الافــلاس بالضــغط على الفلاحين لاســتيفاء ديونهم — التى قــدرت بآلاف الجنيهات — عن طريق التقاضى والحجز على ممتلكاتهم ومواشيهم وما يحتفظون به من غلال لاستهلاكهم الخاص ، وكــذا منقولاتهم المنزلية ، والاعلان عن بيعها فى مزادات بأقرب أسواق الناحيــة التى يقيم بها المدين[١٣٧] .

ولما فشـــل التجار فى استخلاص ديونهم من الفلاحين بما يجنبهم مغبة الافــلاس ، فقــد طالبوا الحــكومة بالتدخــل لحمايتهم من الافلاس أسوة بالفئات الاخرى ، اما باصــدار موروتوريوم بتأجيل دفع الكمبيالات المستحقة عن تواريخها مدة ستة أشهر على الأقل[١٣٨] ،

=

١٩٣١ حوالى ٤٥ تاجرا مصريا ، كما كان من بين ٦٦ حالة فى ابريل ١٩٣٢ حوالى ٥٧ من المصريين ، ومن بين ٢٥ حالة فى مايو ١٩٣٣ حوالى ٢١ من المصريين ، لمزيد من التفاصيل ، المقطم ، عدد ١٢٦٢٩ ، ٤ سبتمبر ١٩٣٠ « التجار بين شقى الرحى » ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٩٧٦ ، ٢٤ مايو ١٩٣٢ ، وعدد ٣٢٧٣ ، ٢٢ يونيو ١٩٣٣ .

(١٣٦) المقطم ، عدد ١٢٩٢٣ ، ١٥ أغسطس ١٩٣١ « اغيثوا التجار والتجارة » زكى سابا .

(١٣٧) التجارة ، عدد ٨١٤ ، ٦ ديسمبر ١٩٣١ ، الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٣٧٩ ، ١١ يناير ١٩٣٠ ، وعدد ٢٣٤٢٢ ، ١٥ يناير ١٩٣٤ ، وعدد ٣٤٦٤، ٢٧ فبراير ١٩٣٤ ، وعدد ٣٥٦٣ ، ٢٧ يوليــة ١٩٣٤ .

(١٣٨) الاهرام ، عدد ١٦٧٣٣ ، ١٠ يولية ١٩٣١ « الازمة التجارية وتفريجها » .

أو بتخفيض أجور المحلات التجارية بنسبة ٥٠٪[١٣٩] . وتوفير مصدر تمويل — بنك تسليف تجارى مثلا — لاسعاف التجار وتحسين حالتهم بعد أن كفت البنوك التجارية عن اقراض معظمهم[١٤٠] .

ولما صمت الحكومة أذانها عن مطالب التجار ، ذهبت الأزمـة الاقتصادية بمن لم يتمتع منهم بمركز مالى ثابت فى السوق كان يمكنه من اجتياز ظروفها الصعبة وتسديد ما عليه من ديون ، بعد أن تكدست السلع بالمخازن ، وأصاب التلف بعضها ، وبخاصة ما كان يستهلكه الفلاحون ، الذين ضغطوا نفقاتهم فى ظل الضائقة المالية .

وبعد أن خفت حدة الأزمة الاقتصادية فى منتصف الثلاثينات ، بدأت حالات اشهار الافلاس بين التجار المصريين تقل من ٥٠ حالة فى ١٩٣٤/١٩٣٥ الى ٣٢ حالة فى ١٩٣٦/١٩٣٧ ، ثم جاءت سنة ١٩٣٧/١٩٣٨ لتشهد زيادة فى حالات اشهار الافلاس « ١٥٢ حالة »[١٤١] مصحوبة بزيادة عدد البروتستات ، التى دفعت التجار الى مناشدة الحكومة بالفصل فيها ، لمساعدتهم وصون مصالحهم[١٤٢] .

وقد ارتبط سوء حالة التجار فى أواخر الثلاثينات ، بالارتفاع المفاجىء فى الأسعار ، ونفقات المعيشة عندما تلبد الجو السـياسى الدولى ، بغيوم الحرب التى دفعت كبار التجار الى تخزين السلع ،

---

(١٣٩) الجريدة التجارية المصرية ، عدد ٢٥٩١ ، ١٤ نوفمبر ١٩٣٠ « رفع عريضة الى جلالة الملك بالتماس تخفيض أجور المساكن من تجار القاهرة » .

(١٤٠) الاهرام ، عدد ١٧٥١٧ ، ١٣ سبتمبر ١٩٣٣ « التسـليف التجارى للتجار » عبد الله حسين .

(١٤١) مصلحة عموم الى الاحصاء : الاحصاء السنوى العـام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، ص ٢٢١ .

(١٤٢) مجلة غرفة القاهرة ، السنة الرابعة ، العدد الاول ، يناير ١٩٣٩ ، ص ١٣١ .

ورفع أسعار المعروض منها بالأسواق ، فى الوقت الذى اتجه فيه جمهور المستهلكين الى الاكتفاء بالضرورى منها ، بعد أن هبطت دخولهم عن مواجهة الارتفاع المفاجىء فى الأسعار ونفقات المعيشة .

وهكذا تأثر التجار كغيرهم من الشرائح الاجتماعية المصرية ، بالغلاء الذى انتاب البلاد فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، والذى جعل غالبية المصريين من أصحاب الدخول المحدودة ، يعيشون دون حد الكفاف الذى عرقل الحركة التجـارية فى الاسواق ، وزاد من حالات اشهار الافلاس بين التجار ، والتى تجلت بوضوح فى سنوات انخفاض أسعار الحاصلات الزراعية ، واتجاه أصحاب الدخـول الزراعية ، الى الاكتفاء بما دون الاشياء الضرورية للحياة .

واذا كان هذا حال الفلاحين والتجار فى ظل الغلاء الذى ساد البلاد فى فترة ما بين الحربين العالمتين فان ظروف العمال ، لم تكن بأفضل منهم ، خاصة بعد أن فقدوا معظم فرص العمل التى توافرت لهم ابان الحرب العالمية الأولى .

فمما لا مرية فيه ، أن الحرب العالمية الأولى ، قد وفرت للعمال المصريين سوق عمل رائجة ، بعد تزايد الطلب الفجائى عليهم من جانب السلطة العسكرية ، وأصحاب الورش الصناعية ، عندما وفرت الحرب للسوق المصرية قدرا من الحماية الطبيعية — بعد أن ركزت الدول المتحاربة اهتمامها على المجهود الحربى — أدى الى تزايد الطلب على المنتج المحلى رغم تواضعه التقنى ، وازدياد الطلب بالتالى على العمالة التى اتسع سوق عملها بدرجة تمكنت معها من التغلب — الى حد ما — على بعض أثار التضخم الذى أصاب البلاد أثناء الحرب .

ومنذ أن وضعت الحرب أوزارها ، بدأ العمال يعيشون حياة بالغة السوء ، لانتشار البطالة بينهم ، بعد أن سرحت القوات العسكرية من كان يعمل فى خدمتها من العمال ، كما سرحت بعض الـورش الصناعية كل أو بعض عمالها ، عندما اضطرت لغلق أبوابها أو مواربتها بعد أن عجزت عن الدخول فى منافسة متكافئة مع المنتجات الاجنبية ،

التى أخذت فى التدفق على السوق المصرية بعد الحرب . أما العمال الذين لم تصبهم البطالة ، فقد قبلوا العمل بأجور ضعيفة ، لا تكاد تفى بما يسد الرمق ، فى ظل ارتفاع نفقات المعيشة[١٤٣] .

وقد دفعت أوضاع العمال المتردية — من بطالة الى مستوى أجور ضعيف ، فى مواجهة أعباء حياة متزايدة نتيجة ارتفاع الأسعار ونفقات المعيشة — بعد الحرب ، العمال الى خوض نضال جماعى مع أصحاب رأس المال ، لتحسين ظروفهم الاجتماعية ، بجعل الأجور تتكافىء مع الارتفاع فى الأسعار ونفقات المعيشة ، فضلا عن تحسين ظروف عملهم ، وقد حركت هذه الأهداف العمال نحو تأسيس النقابات بهمة كبيرة فى أنحاء البلاد ، وكذلك الاتحادات التى تقوم على جمع شملها وتقوية جبهة العمل فى مواجهة أصحاب رأس المال[١٤٤] .

وبينما كان العمال فى سعيهم لتأسيس النقابات والاتحادات ، كانوا كذلك قد بدأوا صراعهم مع رأس المال ، بعد أن أحسوا بتزايد نفقات المعيشة فى النصف الأول من العشرينات ، ولذلك نظموا فى سنتى ١٩٢٣ — ١٩٢٤ سلسلة من الاضرابات فى القاهرة والاسكندرية[١٤٥] ، لم تسفر عن تقدم لمطالبهم التى دارت حول زيادة الأجور ، وتحديد ساعات العمل ، والتى كانت فى مقدمة ما يسعى اليه العمال حتى الثلاثينات .

ثم جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية ، لتزيد أحوال العمال ضغثا على إبالة ، للانخفاض الذى طرأ على أجورهم بنسبة تراوحت بين ١٥٪ و ٢٠٪ عن ذى قبل ، ولارتفاع نسبة البطالة بينهم ، عندما

---

(١٤٣) رءوف عباس حامد : المرجع السابق ، صص ٧٨ — ٧٩ ، المقطم ، عدد ١٠٣٣٧ ، ٧ مارس ١٩٢٣ « الغلاء واجور العمال » فضل الله جنحو .

(١٤٤) رءوف عباس : المرجع السابق ، صص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣

(١٤٥) نفس المرجع ، ص ٨٣

اضطرت الشركات التى كسدت منتجاتها الى خفض أجور عمالها بعد أن تخلصت بالفصل من أعداد كبيرة منهم(١٤٦) .

ونظرا لارتفاع تكاليف المعيشة ، لم يتقبل العمال هذه الظروف بهدوء ، بل عنى اتحادهم بتنظيم الاضرابات المتفرقة ، التى جاء مطلب تحسين الأجور فى مقدمة مطالبها ، ومع ذلك لم يستجب أصحاب رأس المال لهذه المطالب ، بشكل أدى الى استمرار تسلط السوء على حال العمال ، بعد أن أصبح الانخفاض الطابع المميز لاجورهم(١٤٧) .

ثم جاء النصف الثانى من الثلاثينات ليشهد مزيدا من التردى فى أحوال العمال بعد صدور قانون عقد العمل فى ١٩٣٥ ، ونصه على تحديد مكافأة للعامل فى نهاية الخدمة ، بعد مرور سـنوات حددها القانون على العمل ، بيد أن أصحاب رأس المال لم يكتفوا بسـوء استغلالهم للعمال ، وراحوا يتهربون من دفع هذه المكافأة ، عن طريق فصلهم للعمال بين الحين والحين واعادة تعيينهم ثانية ، حتى لا تتحقق لهم مدة الخدمة التى يستحقون عنها مكافأة . وقد جاء التهرب من هذا القانون متزامنا مع انخفاض معدلات الأجور ، وطول ساعات العمل ، واستمرار نفقات المعيشة على ارتفاعها(١٤٨) .

لذلك أدى صدور هذا القانون واستمرار عمليات التهرب منه ، الى تفجير السخط الذى تراكم عند العمال على أوضاعهم المتدنية ، رغم توقف نشاط الاتحاد العام لنقابات عمال القطـر المصرى فى

---

(١٤٦) نفس المرجع ، صص ٩٧ — ٩٨ ، نوال عبد العـزيز ، اضواء جديدة على الحركة العمالية المصرية ١٩٣٠ — ١٩٤٥ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٠ .

(١٤٧) رءوف عباس : المرجع السابق ، صص ٩٨ ، ١٠١ ، نوال عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ص ٤٨ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(١٤٨) رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

سنة ١٩٣٦[١٤٩] ، وربما أن توقفه كان وراء سوء تنظيم الاضرابات العمالية التى اجتاحت النصف الثانى من الثلاثينات ، واتخاذها طابع العنف وتدمير الآلات والمنشآت .

فشهد منتصف ١٩٣٦ اضراب عمال شركة ترام الاسكندرية ، بعد أن تعثرت مفاوضاتهم مع ادارة الشركة ، حول المقترحات التى تقدموا بها لزيادة أجورهم . كذلك أضرب عمال شركات تكرير السكر بالحوامدية فى ١٣ يوليو ١٩٣٦ ، وعمال معامل الزيت بالاسكندرية ، وعمال شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية ، عندما غضت شركاتهم الطرف عن مطالبهم التى دارت حول زيادة الأجور ، وخفض ساعات العمل ، وقد بلغت اضرابات العمال بهذه الشركات حدا من العنف والتدمير للمنشآت والمرافق ، دفع الحكومة الى استخدام قوات البوليس لاجبارهم على التخلى عن المنشآت ، مما أسفر عن وقوع اصابات بين العمال[١٥٠] .

ورغم استمرار اضرابات العمال فى فترة ما بين الحربين ، من أجل تحسين أحوالهم بزيادة أجورهم بشكل يجعلها تتماشى مع الارتفاع فى الاسعار ونفقات المعيشة ، وتحسين ظروف العمل وغيرها ، وكذلك حرص اتحادات العمال التى تأسست فى الفترة ، والتى أعيد تأسيسها ، على جعل قضية زيادة الاجور فى مقدمة القضايا العمالية الملحة[١٥١] . الا أن أجور العمال الصناعيين فى مصر ، عند نهاية الثلاثينات ، كانت ما تزال من أدنى الأجور فى العالم ، الى درجة أثارت دهشة أحد الدارسين الأجانب لتاريخ مصر الاجتماعى[١٥٢] ، لما لمسه من فارق

---

(١٤٩) نفس المرجع ، ص ١٠٥ .

(١٥٠) F. O. 407/219, No. 8, From Lampson to Eden, Cairo, 4 December 1936, pp. 154 — 155; Ibid. No 76 From Kelly to Eden, Ramlah, 25 August 1936, p. 132.

(١٥١) رءوف عباس : المرجع السابق ، صص ٨٨ — ٩٢ ، ٩٦ .

(١٥٢) باتريك أوبريان : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

كبير بين ما يتلقاه العامل من أجر ، وبين نفقات المعيشة المرتفعة فى أواخر الثلاثينات ، والبيان التالى يوضح ما طرأ على نفقات معيشة العمال من ارتفاع فى أواخر الثلاثينات ٠

بيان بنفقات معيشة العائلة بالنسبة للعمال الصناعيين

فى شهر مايو من كل عام على أساس مثيلاتها فى ١٩١٣(*)

المنطقة	١٩٣٦		١٩٣٧		١٩٣٨	
	متوسط النفقات	الرقم القياسى	متوسط النفقات	الرقم القياسى	متوسط النفقات	الرقم القياسى
محافظة مصر	٢٧١	١١٣	٢٦٢	١٠٩	٢٨٩	١٢٠
الوجه القبلى	٢٣٣	١٠٣	٢٢٩	١٠١	٢٥٠	١١٠
الوجه البحرى	٢٣٨	١٠٦	٢٣٤	١٠٤	٢٦٠	١١٥

* مجموع النفقات للاسرة بمحافظة مصر ٧ر٢٣٩ قرشا = ١٠٠ والوجه القبلى ٢٢٦ قرشا = ١٠٠ والوجه البحرى ١ر٢٢٥ قرشا = ١٠٠

المصدر : الاحصاء السنوى العام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، ص ٤٩٧ .

والأرقام الواردة بهذا البيان تنطق بالارتفاع الطفيف فى نفقات المعيشة فى سنتى ١٩٣٦ و١٩٣٧ عنه قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم الارتفاع الواضح فى ١٩٣٨ عنها فى السنتين السابقتين ، وهذا الارتفاع أمر طبيعى ، لأن استخراج النفقات والأرقام القياسية لها ، يجرى على حوالى ٢٣ سلعة ضرورية — بمواد غذائية ووقود ومواد تنظيف — كانت اتجاهات أسعارها العالمية فى ارتفاع ، وتأثرت بها السوق المصرية أيضا ، باعتبارها احدى وحدات السوق العالمية ٠ لكن اللاطبيعى هو أن لا تساير الأجور هذا الارتفاع المستمر فى الأسعار ، وتظل على ثباتها لفترة طويلة ، يترتب عليها حدوث فجوة بين الدخول والنفقات ، مما يعكس الوضع المعيشى المتدنى للعمالة الصناعية المصرية ٠

واذا كان التدنى فى مستوى المعيشة قد أصاب العمال الذين

كانوا يعملون طوال العام بأجر تراوح فى أواخر الثلاثينات بين ٣١٫٦٨ جنيه مصرى و ٤٠٫٣ جنيه مصرى[١٥٣] • فما بالنا بمستوى معيشة الكم الهائل من العمال العاطلين سواء من سادت بينهم البطالة الموسمية — لعملهم فى صناعات موسمية كحلج الأقطان على سبيل المثال — أو من تفشت فيهم البطالة الزائدة والتى لا يجدون فى ظلها فرص عمل اطلاقا •

وقد شكل هؤلاء العمال العاطلين ، مصدر خطورة على الأمن الداخلى ، فى ظل الارتفاع الواضح فى الأسعار ونفقات المعيشة • فقد كانت البطالة وانخفاض الاجور ، وراء تزايد عدد الجرائم التى ارتكبت بدوافع اقتصادية ، والتى انتشرت فى تلك الفترة بصورة مخيفة فى المدن وبالذات فى القاهرة • ويتجلى هذا فيما شهدته فترات الكساد الاقتصادى من تزايد للجرائم وتنوعها ، ففى أوائل العشرينات ترتب على تزايد البطالة وانخفاض الاجور ، فى وقت كانت نفقات المعيشة فى قمة ارتفاعها ، ان تضاعف عدد الجرائم ، رغم التدابير التى اتخذتها مصلحة الأمن العام لوقف الجريمة أو الحد منها ، فبينما كان مجموع الجرائم فى سنة ١٩١٩ لا يتعدى ٤٦٤٤ جريمة ، اذا به يتضاعف فى سنة ١٩٢١ عندما وصل الى ٨٦٧٦ جريمة ، ثم ٨٤٦٤ جريمة فى سنة ١٩٢٢ وان كان هذا العدد من الجرائم قد هبط نسبيا منذ ١٩٢٣ ، فيعزى ذلك للتحسن الذى طرأ على الاحوال الاقتصادية ، وانخفاض الأسعار ونفقات المعيشة عنه فى السنوات السابقة[١٥٤] ، حيث انخفض عدد الجرائم من ٨٫٤٦٤ فى سنة ١٩٢٢ الى ٧٫٨٣١ فى سنة ١٩٢٣ ثم ٦٫٧٨٥ فى سنة ١٩٢٦[١٥٥] •

---

(١٥٣) رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ •

(١٥٤) المقطم ، عدد ١٠١٩٥ ، ١٩ سبتمبر ١٩٢٢ « الامن العام خطوة الى الأمام » ، التجارة ، عدد ٣٩٨ ، ٩ نوفمبر ١٩٢٤ •

(١٥٤) مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، ص ١٥٩ •

ولمـــا تفاقمت مشكلة البطالة ، وهوت الأجور ، ابان أزمة الكساد العالمى ، فى الوقت الذى استمرت فيه نفقات المعيشة على ارتفاعها ، تزايدت نسبة الجريمة الى درجة أرقت الجهات الأمنية والحكومية ، وراحتا تسعيان للحد منها ، بترحيل العمال العاطلين بالمدن الى المناطق التى نزحوا منها[١٥٦] . وايجاد حلول لمشـــكلة البطالة ، التى أصدر مجلس الوزراء قرارا بشأنها ، بموجبه تشكلت لجنة لدراسة المشكلة وتقديم اقتراحات بأفضل الوسائل لمكافحتها ، غير أن اللجنة واجهت صعوبات فى عملها جعلت الفشل فى أداء مهمتها من نصيبها[١٥٧] . لهذا أخذت الجريمة تعاود ارتفاعها من ٧٫٠٦٩ فى سنة ١٩٣٤ الى ٨٫٦١٨ فى سنة ١٩٣٧ ثم ٩٫٢٣٢ فى سنة ١٩٣٨[١٥٨] .

وهكذا أدى انخفاض الاجور ، وانتشار البطالة بين العمال فى الوقت الذى تزايدت فيه ضغوط الحياة الى تزايد عـــدد الجرائم ، بشكل أقلق السلطات الحكومية والجهات الأمنية ، التى قامت بمحاولات غير فعالة للحد منها .

أما شريحة الموظفين فكانت فى مقدمة الشرائح الاجتماعية التى لم تتأثر بالغلاء ، الذى تسلط على البلاد فيما بين الحربين العالميتين ، ويرجع هذا لارتفاع مرتباتهم بعد علاوات غلاء المعيشة التى حصلوا عليها لمواجهة التضـــخم الذى انتاب البلاد ابان الحـــرب العالمية

---

(١٥٦) المقطم ، عدد ١٢٦٣٢ ، ٧ سبتمبر ١٩٣٠ « مشكلة الصعايدة العاطلين فى العاصمة » ، وعدد ١٢٩٠١ ، ٢٣ يوليو ١٩٣١ » مشاهدات فى الريف ، جلال حسين ، الاهرام ، عدد ١٦٨٠١ ، ١٥ سبتمبر ١٩٣١ « اصلاح الريف » هاشم فوزى عبد الرحمن .

(١٥٧) رءوف عباس : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(١٥٨) مصلحة عموم الاحصاء : الاحصاء السنوى العام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ ، ص ٢١٠ .

الأولى[١٥٩] والتى استحال سحبها منهم حتى بعد أن ذهبت أسباب منحها ، وانخفضت الأسعار عن المستوى الذى منحت فى ظله .

وأدى استمرار ارتفاع مرتبات الموظفين ، الى زيادة الاعتمادات الخاصة بهم فى الميزانية العامة للدولة من خمسة ملايين جنيه فى سنة ١٩١٤ لأكثر من ١٣ مليونا من الجنيهات فى ١٩٢٥ ثم حوالى ٣٥٪ من الميزانية فى ١٩٢٦ و ٣٧٪ فى ١٩٢٨[١٦٠] و ٤٥٪ فى ميزانية ١٩٣٧[١٦١] .

وقد هال ما أصبحت تمثله اعتمادات الموظفين من عبء على ميزانية الدولة ، كل من الحكومة والبرلمان ، على حد سواء ، ومن ثم ارتفعت الأصوات المنادية بوجوب تخفيضها ، والعودة بمرتبات الموظفين الى مستوى يحقق تكافؤ فى الدخول بينهم وبين الشرائح الاجتماعية الأخرى ، وخاصة أصحاب الدخول الزراعية ، الذين انخفضت دخولهم ، بهبوط أسعار الحاصلات الزراعية ، حتى تعود الأسعار الى مستواها الطبيعى ، بعد أن يجد التجار صعوبة فى تسويق السلع بالاسعار المصطنعة ، التى يقبلها الموظفين .

وقد فتح مجلس النواب ملف مرتبات الموظفين للمناقشة فى سنة ١٩٢٦ ، وأعاد مناقشته مرة أخرى فى سنة ١٩٢٨ ، ودفعه الى مناقشة هذا الموضوع ، أحد الاقتراحات التى تقدم بها بعض النواب ، لوضع حد للزيادة فى مرتبات الموظفين حتى يتسنى القضاء على التضخم

---

(١٥٩) الاهالى ، عدد ٢٧٤٨ ، ٨ سبتمبر ١٩١٩ ، المقطم ، عدد ١٠٣١٩ ، ١٤ فبداير ١٩٢٣ « غلاء المعيشة هل تعود الاسعار الى مستواها قبل الحرب » فضل الله جنحو .

(١٦٠) مضبطة الجلسة الثامنة والاربعين لمجلس النواب ، ١٨ ابريل ١٩٢٨ ، صص ٧٣٤ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ .

(١٦١) نفس المصدر : مضبطة الجلسة السادسة عشرة ، ١٠ اغسطس ١٩٣٦ ، ص ٥٦٣ .

والتخفيف من وقع الغلاء ، على أصحاب الدخول الزراعية المنهارة . وقد اتخذ ابراهيم الهلباوى ، وعبد السلام عبد الغفار — من الأعضاء الدستوريين بالمجلس — خطا واحدا فى دفاعهم عن الاقتراح ، الذى لم يكونا من بين مقدميه . فذهبا الى ضرورة تخفيض مرتبات الموظفين بعد أن زالت الأسباب التى كانت وراء منحهم علاوات غلاء المعيشة ، وعادت الأسعار الى المستوى الذى يتلائم مع دخولهم بدونها . وحتى لا يتهما بالتحامل على الموظفين ، راحا يعقدا مقارنات بين مستويات دخول كل من الفلاحين والموظفين ، أثناء اشتطاط الأسعار ، وهبوطها . وكيف تغلب أصحاب الدخول الزراعية على ارتفاع نفقات المعيشة ، إبان اشتطاط الأسعار ، بفضل الارتفاع الواضح فى دخولهم ، والمرتبط بالارتفاع فى أسعار القطن . هذا فى الوقت الذى عجزت فيه مرتبات الموظفين عن اعاشتهم عند حد الكفاف ، مما دفع الحكومة الى منحهم علاوات غلاء معيشة ، تحمل أصحاب الدخول الزراعية معظمها من خلال تحصيل ضريبة القطن التى فرضت فى ذلك الوقت . ثم انتقلا لاظهار ما طرأ على الدخول الزراعية من هبوط جعلها لا تتناسب مع نفقات المعيشة رغم الهبوط الطفيف والمستمر فى الأسعار ، فى الوقت الذى ظلت فيه مرتبات الموظفين على ارتفاعها بشكل جعلها تمثل عبء على أصحاب الدخول المحدودة ، لما لها من تأثير فى جعل الاسعار فوق طاقتهم ، هذا فضلا عما كانت تمثله من عبء على خزانة الدولة . وبعد ذلك انتهيا الى ضرورة تخفيض مرتبات الموظفين . ورغم مناقشة هذا الموضوع فى أكثر من جلسة ، وأكثر من دورة ، الا أن المجلس لم ينته الى تشريع بشأنه ، بعد أن رفض كل الاقتراحات التى تقدمت بحلول له[١٦٣] .

---

(١٦٢) نفس المصدر : مضبطة الجلسة التاسعة عشرة ، ٢٦ يولية ١٩٢٦ صص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ومضبطة الجلسة الثامنة والاربعين ١٨ ابريل ١٩٢٨ ، صص ٧٣٧ — ٧٤٠ .

وأثناء الأزمة الاقتصادية ذهب البعض الى ضرورة اتخاذ اجراء لوقف ارتفـاع مرتبات الموظفين لما لها من أثر فى رفع الأسـعار واستمرار موجة الغلاء(١٦٣) . وأكد على ذلك وكيل وزارة المالية — أحمد عبد الوهاب باشا — عندما ذهب الى أن الأسعار ستكون على مستوى دون ما هى عليه ، اذا ما لم تتوافر للموظفين المرتبات التى تمكنهم من دفع الأسعار التى يفرضها التجار(١٦٤) .

ورغم ارتفاع الدعوات بتخفيض مرتبات الموظفين ، الا أن هذه المرتبات ، لم تتحرك نحو الهبوط أو حتى تثبت ، ومن ثم استمر ما كانت تمثله من عبء على ميزانية الدولة فى النصف الثانى من الثلاثينات ، بعد أن أصبحت تستنزف حوالى ٤٥٪ من ميزانية الدولة السنوية ، هذا فضلا عما كانت تمثله من عبء على أصحاب الدخول المحدودة ، وبخاصة أصحاب الدخول الزراعية ، الذين انخفضت دخولهم عن نفقات معيشتهم ، بدرجة دفعت النائب محمد محمد الوكيل الى تقديم استجواب لمجلس النواب ، حول سياسة الحكومة تجاه القرية المصرية ، وتردى مستويات المعيشة بها ، بعد أن انخفضت دخول ذويها ، منتقلا فى استجوابه الى عقد مقارنة بين مستويات معيشة أصحاب الدخول الزراعية ، ومستويات معيشة الموظفين ، التى ارتفعت ، لارتفاع مرتباتهم ، والتى دفعت المستجوب الى التساؤل : هل هذه المرتبات هى مرتبات الموظفين فى بلاد ناطحات السحاب أم فى مصر ، وهى البلد الذى لا يصيب متوسط الفرد فيها نصف فدان من الثـروة

---

(١٦٣) المقطم ، عدد ١٢٩٢٧ ، ٢٠ اغسطس ١٩٣١ « الأزمة والموظفون » أسعد لطفى حسن ، وعدد ١٢٦٤٧ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٣٠ « غلاء المعيشة » .

(١٦٤) الاهرام ، عدد ١٦٥٧٩ ، ٣١ يناير ١٩٣١ « مكافحة غلاء المعيشة وتخفيف وطأة الازمة الاقتصادية » مذكرة أحمد عبد الوهاب باشا .

العقارية فى حين أن بعض موظفى الحكومة يتقاضون مرتبات أعلى من مرتب رئيس الجمهورية الالمانية[١٦٥] .

وهكذا عاشت شريحة الموظفين حياة رغدة فى ظل الغلاء الذى عم البلاد فى الفترة الواقعة بين الحـــربين العالميتين ، لاســـتمرار مرتباتهم عند معدلاتها ، بعد أن حصلوا فى سنوات الحرب على علاوات غلاء المعيشة ، لمواجهة التضخم الذى انتاب البلاد ، ابان الحـــرب العالمية الأولى ، وحتى بداية العشرينات ، والتى جعلت أقلهم منزلة أسعد حالا من الفلاح والعامل الصناعى .

* * *

وهكذا أدى الغلاء الذى انتاب مصر فى فترة ما بين الحـــربين ، الى الاحساس المتزايد بارتفاع نفقات المعيشة بالنسبة للمصريين ، خاصة الغالبية التى لم ترتفع دخولها بشكل متكافىء مع ارتفـــاع النفقـــات .

وقد أدى هذا الى اتجاه الحكومة لاتخاذ عدة اجراءات ، جاءت غير مجدية فى معظمها ، لوضع حد لارتفاع الأسعار ، وبخاصة أسعار التجزئة ، وكذلك تثبيت الدخول وعلى وجه الخصوص الدخول الزراعية ، من خلال التدخل فى السياسات الزراعية والتسويقية للحاصلات ، بما يساعد على رفع أسعارها .

وقد ترتب على فشل الاجراءات التى اتخذت ، لمواجهة ارتفاع الأسعار ، أن زادت الأزمة الاجتماعية حدة ، لاتساع الفوارق بين قلة امتلكت معظم الثروة ، وتمتعت بدخول مرتفعة ، مكنتها من العيش فوق مستوى نفقات المعيشة المرتفعة بكثير ، وغالبية لم تمتلك الا نسبة ضئيلة من الثروة ، ومن ثم لم تحظ بدخول تمكنها من

---

(١٦٥) مضبطة الجلسة السادسة عشرة لمجلس النواب ، ١٠ اغسطس ١٩٣٦ ، ص ٥٦٤ .

العيش عند حد الكفاف ، ولهذا تفشت بينها الامراض الفتاكة الناتجة اما عن غياب الرعاية الصحية أو سوء التغذية ، والتى دفعتها الى هجر مجتمعاتها الريفية الى مجتمع المدينة الذى التمست فيه سبل رزق أفضل ورعاية صحية أوفر •

علاوة على هذا أدى ارتفاع نفقات المعيشة ، وتزايد أعباء الحياة ، الى تبلور الصراع الطبقى بين أصحاب قوة العمل ورأس المال ، والذى بدأ يأخذ طابع العنف فى قطاع الصناعة ، لاجبار أصحاب رأس المـال على التخلى عن بعض مكاسبهم ، لتحسين مستويات معيشة العمال • غير أن هذا الصراع لم يثمر عن مكاسب ، لأن أصحاب رأس المال كانوا هم النخبة السياسية التى أمسكت بتلابيب الامور فى البلاد ، والتى كان من الصعوبة بمكان عليها التنازل عن بعض مكاسبها الشخصية للعمال •

كذلك أثر سوء معيشة أصحاب الدخول الزراعية والعمال ، فى الحالة التجارية العامة بالبلاد ، وفى وضع بعض التجار ، الذين تزايد افلاسهم ، بعد أن أكتفى أصحاب الدخول المحدودة ، بما هو دون الضرورى من متطلبات الحياة فى ظل الغلاء •

واذا كان الموظفون قد امتلكوا الدخول التى لم تجعلهم يتألمون من الغلاء وارتفاع نفقات المعيشة ويشكلون عبئا على الأسعار ، فقد جاء هذا على حساب أصحاب الدخول المحدودة الزراعية بالذات ، الذين تحملوا ما كان يمنح للموظفين من علاوات على مرتباتهم فى شكل ضرائب ــ جاءت ضريبة القطن فى مقدمتها ــ كانوا يدفعونها للحكومة •

وبذلك يكون الغلاء وما نتج عنه من ارتفاع نفقات المعيشة ، فى ظل الاختلال الواضح فى توزيع الثروة ، قد أدى الى تفجير الصراع الطبقى ، كما ساهم فى تعقيد الأزمة الاجتماعية •

قائمــة المصــادر والمراجع

أولا ــ الوثائــق :

١ ــ الوثائق غير المنشــورة :

ــ وثائق الخارجية البريطانية .

F. O. 407/218, 407/219, 407/224.

٢ ــ الوثائق المنشــورة :

ــ محاضر جلسات مجلس النواب سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٦ .

ــ مصلحة عموم الاحصاء والتعداد ، الاحصــاء السنوى العام للقطر المصرى سنوات ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ و ١٩٢٦ ــ ١٩٢٧ و ١٩٣٧ ــ ١٩٣٨ .

ثانيــا ــ الدوريات :

ــ التجارة ١٩٢٤ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ .

ــ الجريدة التجارية المصرية ١٩٢٢ ــ ١٩٢٥ و١٩٣٠ ــ ١٩٣٨ .

ــ السياسة الاسبوعية ١٩٢٧ .

ــ المجلة الاقتصادية المصرية ١٩٣٠ .

ــ المقطم ١٩١٩ ــ ١٩٢٣ و١٩٣٠ ــ ١٩٣٤ .

ــ النشرة الاقتصادية المصرية ١٩٢٢ .

ــ الأهــالى ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ .

ــ الاهرام ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣١ ــ ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ .

ــ صحيفة مصلحة التجارة والصناعة ، ١٩٣٢ .

— مجلة غرفة القاهرة ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ .

— مصر الصناعية ١٩٢٧ ، ١٩٣١ .

ثالثا — البحـــوث :

— أحمد الشربينى السيد : موقف الحكومة من التضخم ابان الحرب العالمية الأولى ، المؤرخ المصرى ، العــدد الأول ، يناير ١٩٨٨ .

رابعا — المراجع العربية :

— باتريك اوبريان : ثورة النظـــام الاقتصادى فى مصر من المشروعات الخاصة الى الاشتراكية ، ترجمة خيرى حمـــاد ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

— رءوف عباس حامد : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشـــر ، القـــاهرة ١٩٦٧ .

— عاصم الدسوقى ، كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى من ١٩١٤ — ١٩٥٢ ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٥ .

— محمد رشـــدى : التطور الاقتصـــادى فى مصر ، ج ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ .

— محمد رمـــزى : القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٥٨ .

— مريت غـــالى : الاصـــــلاح الزراعى ، دار الفصـــول ، القـــاهرة ١٩٤٥ .

— نوال عبد العزيز : أضــواء جديدة على الحــركة العمالية المصرية ١٩٣٠ — ١٩٤٥ ، دار النهضة العربية ، القــاهرة ١٩٧٧ .

خامســا : الرســائل العلمية :

١ — رســائل باللغــة العربية :

— أحمد الشربينى السيد : تجــارة مصر الخارجية ١٩١٤ — ١٩٣٩ ، رسالة دكتوراه غير منشورة بمكتبة جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

٢ — رســائل باللغــة الانجليزية :

— Aziz Sabry : The Changes in the cxports and imports of Egypt Since 1900, Thesis Presented to The Victoria university of Manchester.

— El-Mallakh, Ragai, W : The effects of The Second World war on The Economic devlopment of Egypt, ph., D. Thesis submitted to the Faculty of the Graduate School of Rutgers university The State University, New Jersey.

سادســا : المراجع الأجنبيــة :

— Cleland, Wendell : A Population plan for Egypt, L'Egypte Contemporaine, 1939.

— Crouchley A. E : The Economic development of modern Egypt, London 1938.

— Issawi, Charles : Egypt at Mid-Century an economic Survey London, 1954.

: Egypt in Revolution an economic analysis, London 1963.

« تجارة السودان الغربى قبيل قيام دولة المرابطين »
فى القــرن الخامس الهجرى

د. منى حسن احمــد محمود
مدرس التاريخ الاسلامى
قسم التاريخ ــ كلية الآداب

مدخــــل :

كانت لتجارة الصحراء الكبرى وخاصة فى الجــزء الغربى منها أهمية بالغة ، فقد حاولت دول المغرب على مر العصور السيطرة على هذه التجارة وعلى طرقها ومدنها وحاولت السيطرة على مناجم الذهب التى كانت تنحصر فى هذه المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى ، لذلك كان هناك صراع سياسى على هذه الطرق التجارية بين القوى الاسلامية المغربية المثلة فى الملثمين وبين القوى الافريقية المثلة فى مملكة غانة القوية المسيطرة على تجارة الذهب طوال القرنين الثــالث والرابع الهجريين .

ولقد لعب الطوارق (الملثمون) دورا هاما فى هذا الصراع وخاصة فى الجزء الجنوبى من المغرب الأقصى حيث مضاربهم ومجاوراتها لأراضى غانة ومحاولاتهم أكثر من مرة منازلة غانة والســيطرة على المراكز التجارية الهامة ومناطق الذهب ووصل هذا الصراع السياسى من أجل السيطرة على هذه التجارة الغنية أشده فى مســتهل القرن الخامس الهجرى ، فالاسلام أعطى للطوارق قوة دافقة فى الجهاد فى سبيل نشر الاسلام وقد تزعمت لمتونة هذا الجهاد ووحدت القبائل وخاضت الحرب ضد غانة فانتصرت فى المرة الأولى وهزمت فى المرة الثانية فانتقلت الزعامة الى قبيلة جدالة التى خرج منها عبد الله بن ياسين ويحيى بن ابراهيم وأخوه أبو بكر بن ابراهيم فكان لابد من اعادة الوحدة على أساس دينى أقوى فكان استقدام عبد الله بن ياسين ولجوئه الى رباط

السنغال فأعاد توحيد القبائل ووضع النواة الأولى لدولة المرابطين فاندفع ابن ياسين الى المغرب الأقصى ومن ناحية أخـــرى اتجه الى الجنوب لضرب غانة والسيطرة على تجارة الذهب ، وهذا أعطى الدولة فى مراحل ميلادها الأولى القوة الهائلة للظهــور فى المغرب الأقصى والاندلس فجعمت بين الاندلس والمغرب والصحراء وتأكدت السيادة الاسلامية المغربية على مناجم الذهب والثروة الافريقية الغنية فكان قيام دولة المرابطين نتيجة للصراع الاقتصـــادى وكانوا يستهدون بالاسلام فى فتوحاتهم وساعدهم على انشاء هذه الامبراطورية العظيمة وفتح الطريق أمام ذهب الصحراء ليحمل الى أوربا ويجنون من ورائه الأموال الطائلة ووصل التألق الى القمة فى عهد يوسف بن تاشفين الذى ظهر كبطل عالمى اسلامى يبرق بذهبه ويرعد بسيفه وقوة ايمانه العميقة ، وبهذا حسم الصراع فى القرن الخامس الهجرى بين القوى الاسلامية فى المغرب الأقصى والقوة الافريقية وتأكدت السيادة الاسلامية المغربية على مناجم الذهب وأظهر هذه القوة المجهولة قوة الملثمين أظهرهم فى وضح التاريخ ليصبحوا من القوى البناءة فى تاريخ الاسلام .

وفى هذا البحث سنلقى بعض الضوء على الصراع السياسى على طرق التجارة فى الجزء الغربى من الصحراء الكبرى وعلى طرقها وأهم المراكز التجارية التى نشأت على أطراف الصحراء وقيمتها ووسائل التعامل فى أسواقها .

(أ) الصراع السياسى على طرق التجارة :

كان لاسلام لمتونة المبكر وقيام مملكتهم فى أودغشت فى منتصف القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى ، أثر كبير فى دفع حركة الاسلام جنوبا ، يقول ابن أبى زرع « وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان ، وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهاجى اللمتونى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ودان له بها أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية وكان فى أيام الامام عبد الرحمن القائم بالأندلس ودامت أيامه وطال عمره نحوا من ثمانين سنة الى أن توفى سـنة اثنتين وعشرين ومئتين فكانت أيامه خمسا وستين »[١] . فقد أسلم الملثمون [٢] بعد فتح الأندلس وحسـن

---

(١) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٠ ، ١٢١ ، والبكرى ص ١٥٩ ، والناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ص ١ ، ٤ وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) صنهاجه : احدى قبائل البرانس من البربر وانهم اعظم قبائلها بالمغرب لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل او بسيط وتتبع صنهاجه قبائل كثيرة تنتهى الى السبعين منهم لمتونة وجدالة ومسوفة ومسراته ومداسة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زياد وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون وافخاذ تفوق الحصر وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان أحداهما دولة بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين بافريقية ، ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والاخـرى : دولة الملثمين بالمغرب الأقصى والأوسط والاندلس ومواطن هؤلاء الملثمين ارض الصحراء والرمال الجنوبية فيمن بين بلاد البربر وبلاد السودان ومساحة أرضهم سبعة أشهر طولا فى أربعة عرضا وفيهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا فاكهة وانما اموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم عمره كله لا ياكل خبزا الا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق وانما قيل لهم الملثمون لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم اصلا . الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ١ ص ١ ، وابن خلدون : العبر وديوان المبدأ والخبر جـ ٦ ص ١٨١ ، وابن ابى زرع الفارسى : روض القرطاس ص ١٢٠ .

اسلامهم[٣] وكانت الزعامة للمتونة مما أدى الى قيام تحالف قوى يجمع الملثمين تحت زعامتهم وقاموا بموجة من التوسع صوب الجنوب لنشر الاسلام[٤] بين القبائل الزنجية بغرب افريقية فكان لابد لها أن تواجه مملكة غانة التى وصلت فى ذلك الوقت الى أوج قوتها وتوسعها واستطاعوا منازلتها وانتزاع مدينة أودغشت والتى كانت عاصـمة

---

(٣) كان عقبة بن نافع الفهرى اول من حمل الملثمين على الاسلام واول عربى يرتاد اقاصى المغرب الاقصى وذلك فى ولايته الثانية ٦٢ — ٦٤ هـ / ٦٨١ — ٦٨٣ م على المغرب ففتح الطريق أمام تجار العرب الذين بدأوا ينفذون الى هذه الجهات واتخذوا مدينة أزقى وهى أول مراقى الصحراء قاعدة لهم وبدأوا يخترقون الصحراء الى مدينة أودغشت حاضرة مسوفة فى ذلك الوقت — ثم استكمل موسى بن نصير دور عقبة فى نشر الاسلام والتوسع فى المغرب الأقصى فوصل الى طنجة ثم سبتة وانحدر الى السوس الأدنى حتى وصل الى ساحل المحيط وبلغ وادى درعة وتافللت وانشأ مسجدا بمدينة أغمات مما ساعد على نشر الدين الاسلامى فى هذه الربوع وقد اشترك فريق من الملثمين فى جيش الفتح الذاهب الى الاندلس ويقول ابن أبى زرع « ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببنى وارث وهم قوم صالحون على السنة والجماعة واسلموا على يد عقبة بن نافع الفهرى أيام فتحه للمغرب » ثم تأكد اسلام الملثمون فى عهد دولة الادارسة فى القرن الثالث الهجرى وبسط الادارسة سلطانهم على اقليم الريف ومكناس وفاس حتى منطقة الاطلس الوسطى وكذلك على النواحى الشمالية من ديار الملثمين وتخطى نفوذهم جبـــال درن واقليم الواحات واخضعوا قبيلة لمطة على ساحل المحيط وأغمات والسوس الأقصى وبلاد نفيس وصنهاجة الرمال فاسلام صنهاجة الذى بدأ منذ عهد عقبة تأكد فى عهد الادارسة فى القرن الثالث الهجرى . حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، وابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر جـ ٦ ص ١٨١ ، والسيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٤) ابن أبى زرع الفاسى : روض القرطاس ص ١٢٠ ، يقول ابن أبى زرع : « ملك (اى يتلوتان) بلاد الصحراء بأسرها وكان عمله مسيرة ثلاثة اشهر فى مثلها كلها عامرة وكان يركب فى مئه الف نجيب » ص ١٢١ ، البكرى : المسالك ص ١٥٩ .

لغانة[٥] وقد ظلت لمتونة زعيمة على قبائل الملثمين طوال حكم يتلوتان

(٥) كلمة غانة هى فى الأصل اللقب الذى كان يحمله ملوك هذه البلاد كما يذكر البكرى يقول « غانة سمة لملوكهم واسم البلد اوكار » ص ١٧٤ ويقول حسن ابراهيم حسن « يرجع السبب فى قيام هذه المملكة الى انه حوالى القرن الثانى الميلادى خرجت جماعة من سكان شمال افريقية واستقر بها المقام بين شعوب الماندى Monde الزنجية وخصوصا بين شعوب الســـوننكى Soninke وهؤلاء المغاربة لا يعرف أصلهم على وجه التحقيق ولكن يبدو أنهم تسربوا الى هذه البلاد تسربا سلميا ولم يغزوها غزوا وفى القرن الرابع الميلادى حكم هؤلاء المهاجرون زنوج هذه المنطقة وكونوا أسرة حاكمة ظلت تحكم فى مدينة أوكور Aukur حتى نهاية القرن الثامن الميلادى وقد سقطت هذه الأسرة سنة ٧٧٠ م حين ثار عليهم حكام السوننكى وظلوا يحكمون غانة حتى سقطت دولتهم سنة ١٢٤٠ م سنة ٦٣٨ هـ وقد اختلطت دماء سكان غانة البيض بدماء السوننكى عن طريق التزاوج وقد هاجر هؤلاء البيض بعد سقوط دولتهم الى بلاد التكرور التى تمتد فى شـــمال السنغال الى منطقة فوتا وتقطنها شعوب ثلاثة هم التكولور وكانوا يكونون الطبقة الحاكمة والولوف والسيرير وقد أصهر هؤلاء البيض الى طبقـــة التوكولور واستطاعوا بذلك أن يسيطروا على الأحوال السياسية فى هذه البلاد حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى حين استطاع التوكولور أن يتخلصوا منهم ويبدو أن سلطة ملوك غانة من السوننكى كانت أقوى من سلطة من سبقهم فقد أخذوا يوسعون رقعة بلادهم حتى بلغت أوج عزها فى مستهل القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد جاءت عظمة غانة عن طريق اشتغالها بالتجارة وموقعها عنـــد أطراف الصحراء الكبرى وكان التجار البيض المستقرون يستطيعون التحكم فى التجارة السودانية من الذهب والرقيق وأن يبادلوها بالسلع التى تحملها القوافل من المغرب ، وهـــذه السلع هى ملح الطعام والنحاس والفواكه المجففة » . حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة الافريقية وغربيها ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، وحسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٠٦ ، ٢١١ ، وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

Bovill : The Golden Trade P. 80, 81, 82, 84.

Fage : An Interoduction to the History of the west Africa : : P. 9, 12, 13, 15, 18.

Fage : Ashort History of Africa P. 82, 83, 85, 87.

الذى استمر فى الحكم كما رأينا لمدة خمسا وستين عاما[٦] ، وقد فرضوا الجزية على الشعب المغلوب يقول ابن أبى زرع « وكلهم يؤدون له الجزية »[٧] .

وبعد وفاة زعيم لمتونة يتلوتان فى سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م تولى أمرهم حفيده الأثير بن فطر ابن يتلوتان وظل يلى حكم قبائل صنهاجة الى سنة ٢٨٧ هـ[٨] . يقول ابن خلدون « وقام بأمرهم وتوفى سنة سبع وثمانين ومائتين[٩] وبعد وفاته انتقلت الزعامة الى ابنه تميم بن الاثير ولم يستمر فى الحكم طويلا فقتل فى سنة ٣٠٦ هـ بعد قيام ثورة عليه من قبل أشياخ قبائل صنهاجة[١٠] ، يقول ابن أبى زرع « فقامت عليه أشياخ قبائل صنهاجه فقتلوه وافترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على أحد بعده فاختلفت كلمتهم وتفرقت أهواءهم مدة من مئة وعشرين سنة »[١١] . واستطاعت غانة فى هذه الفترة أن تستغل تفرق الحلف القوى بين الملثمين مرة أخرى وأن تستعيد مدينة أودغشت وألحقت بهم الهزيمة فى سنة ٣٠٦ هـ مستغلة حالة الضعف والفوضى التى أصابت

---

(٦) ابى أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٢١ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٧) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ ، والناصرى : الاستقصا لدول المغرب الأقصى جـ ٢ ص ٥ .

(٨) نفس المراجع السابقة .

(٩) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ ، وابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ .

(١٠) ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ، ص ١٥٢ .

(١١) ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ١٢١ ، الناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٥ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ .

الملثمين فى أعقاب مقتل زعيمهم(١٢) ، فاستمرت غانة طوال هذه الفترة أعظم قوة فى غرب افريقية وسيطرت غانة مرة أخـــرى على تجارة الســـودان .

وقد حاول الملثمون أن يلموا شعثهم مرة أخرى وأن يتحدوا تحت قيادة زعيم جديد ظهر منهم ويدعى الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشنا(١٣) اللمتونى ، يقول الناصرى : « وكان من أهـــل الفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد فى بعض غزواته »(١٤) . وقتل على يد بعض قبائل من السودان يقول ابن أبى زرع : « واستشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غربا منها »(١٥) . مما يدل على استمرار الصراع بين القوى البربرية الممثلة فى الملثمين وبين القوى الافريقية والممثلة فى غانة ولم يستطع الملثمون انتزاع مدينة أودغشت لما لها من أهمية بوقوعها فى الطريق الحيوى للتجارة المارة بين أودغشت فى الجنوب وسجلماسة فى الشمال(١٦) والسيطرة بالتالى على تجارة السودان ، واذا كان الملثمون لم يستطيعوا أن

---

(١٢) البكرى : المسالك ص ٥٩ ، وابن أبى زرع : الناس ص ١٢١ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٥ .

(١٣) ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، وعرف بتاسرت كما يقول الناصرى ، جـ ٥ ، « وناسرت » كما يقول البكرى ص ١٥٩ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ .

(١٤) الناصرى : الاستقصا جـ ٦ ص ١٨٢ .

(١٥) ابن ابى زرع الفـــاسى : روض القرطاس ص ١٢١ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٥ ، يبدو ان تاتكلاتين كانت مقرا للامير ابو عبد الله الامـــير اللمتـــونى فى بلاد الصحراء ولم يرد لها ذكر فى المعاجم والكتب الجغرافية البكرى يذكرها باسم بانكلابين ص ١٦٤ ويذكر بغارة باسم فنغارة .

(١٦) البكرى : المسالك ص ١٥٦ ، وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠ ، ٩١ .

يستأصلوا غانة نهائيا من الوجود الافريقى فان حركتهم أدت الى وصول الاسلام الى ديارهم[١٧] .

ويبدو أن هذا الاخفاق أو الهزيمة المتصلة التى لحقت بالملثمين قد أثرت فى نفسيتهم وفى مصيرهم ، ومن نتائج ذلك أن انتقلت الزعامة من لمتونة الى جدالة[١٨] . يقول ابن أبى زرع « فلما توفى الامير

---

(١٧) البكرى : المسالك ص ١٦٤ ، ١٧٦ ، وابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة الافريقية وغربيها ص ٥٧ ، وهذه الدولة سقطت سنة ٤٦٩ هـ سنة ١٠٧٦ م على يد أبى بكر بن عمر زعيم المرابطين .

(١٨) البكرى : المسالك ص ١٦٤ يقول البكرى « وخلف بنى لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بنى جدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه احد وهذه القبائل هى التى قامت بعد الأربعين واربعماية بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون بمذهب مالك بن انس » ص ١٦٤ .

وجدالة ولمتونة اخوان يجتمعان فى اب واحد ، وكل منهما قبيل كبير يسكنون الصحراء التى تلى بلاد السودان ويليهم من جهة الغرب البحر المحيط . ومضارب قبائل الملثمين كالآتى فجنوب المغرب الأقصى مباشرة تقع موطن لمطة وجزولة ، اما قبيلة لمتونة فمضاربها تقع الى الجنوب وتمتد على المحيط الأطلسى حتى راس بوجادور الحالية وتمتد شرقا حتى المحيط الذى يصل منحنى النيجر بمدينة سجلماسة ولكنها لم تتوغل على ساحل المحيط حتى مصب السنغال ، وقد رحلت بعض بطون لمتونة واستقرت بالقرب من غانة وهى بنى وارث وسكنت مدينة تاتكلانيد أو بانكلايين ويبدو انها تقع ببلاد التكرور ، والادريسى يقول « أن تكرور من بلاد لمتونة » فكانت بذلك تحتل موقعا ممتازا وتسيطر على ذلك الطريق التجارى الهام الذى يسير بجوار البحر ، والى الجنوب من ذلك تقع ديار جدالة وتمتد جنوبا حتى تقترب من حوض السنغال وهذه القبيلة أوفر مالا وأكثر استقرارا فهى تسيطر على النهايات الجنوبية للطرق التجارية الهامة بين الشمال والجنوب فهى من ناحية قريبة من غانة وشعب صنغانه الواقع على الضفة اليسرى

=

أبو عبد الله بن تيفاوت اللمتونى ولى أمر صنهاجة بعده صهره يحيا ابن ابراهيم الجدالى[١٩] ، واستمر الأمير يحيى فى رياسة صنهاجة وحربهم لأعدائهم وخاصة مملكة غانة ، وقد رأى أنه لا تتم الوحدة المنشودة ولا يتحقق الجهاد الا فى ظل أسلام جديد يضم الملثمين فى وحدة تنيلهم أغراضهم وتحقق أهدافهم ورأى أن سر البلاء والاخفاق يرجع الى عدم عمق الشعور بالوحدة وسرعة تفرق الجماعة[٢٠] وأن أحسن وسيلة لتحقيق النجاح أن تلتمس وسيلة أخرى لتحقيق وحدة جديدة أطول عمرا ، وأن يوحد هذا الحلف بدعـوة دينية تنبثق فى صفوفهم فتوجه الناس وتزكى فى نفوسهم الرغبة فى الجهاد[٢١] ، يقول

=

من منحنى النيجر وقريبة من أودغشت وطريق سجلماسة . أما قبيـلة مسوفة فتمتد ديارها فى منطقة قاحلة مجدبة تقع بين سجلماسة فى الشمال وأودغشت فى الجنوب وكانت بعض بطونها تمتد شرقا حتى تصل الى تادمكة وكوكو فى الجنوب وهذه القبيلة فى مضاربها تلك تسيطر على التجارة المارة باودغشت فى الجنوب وسجلماسة فى الشمال . ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، والبكرى : المسالك ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ص ٢٨ ، وابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، مارمول الكرنجال : افريقية ، ترجمة محمد حجى جـ ٣ ص ١٤١ ، حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

Bovill : The Golden Trade P. 71. 72, 73, 85.

Fage : Ashort. Hist. P. 112, 133.

(١٩) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢١ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٥ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ ، وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٧ .

(٢٠) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ص ٢١٠ ، ٢١١ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ، ص ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، وحسن أبراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة ص ٥١ : وانتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص ١٨ ، ١٩ .

ابن عذارى « والموجب لخروجهم عن الصحراء الى أرض وطن المغرب أن أحد بنى جدالة ويعرف بيحيى بن ابراهيم الجدالى كان قد توجه لأداء فريضة الحج وأجتاز فى ايابه على مدينة القيروان وذلك سنة ٤٤٠ هـ فحضر بها مجلس الفقيه أبى عمران الفاسى فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر أنه من الصحراء من قبيلة جدالة احدى قبائل صنهاجة ، فقال له الفقيه : ما مذهبكم ؟ فقال له : ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا فى الصحراء منقطعين لا يصل الينا الا بعض التجار الجهال حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ولا علم عندهم »(٢٢) .

وقد علم الفقيه أبو عمران(٢٣) أن أهل جدالة يرغبون فى التعليم وحريصون على ذلك أشد الحرص فأشار عليهم بأحد تلاميذه ويدعى واجاج بن زلوا اللمطى من أهل السوس الأقصى الذى اختار بدوره أحد تلاميذه(٢٤) وكان من أحذق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع

---

(٢٢) ابن عذارى : البيان المعرب جـ ٤ ص ١٧ ، ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٦ ، وابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٨٢ ، ١٦٣ ، البكرى : المسالك ص ١٦٤ .

(٢٣) يقول ابن أبى زرع « والفقيه الصالح أبا عمران موسى بن الحاج الفاسى كان قد رجل من مدينة فاس فاستوطن القيروان يأخذ عن أبى الحسن القابسى ثم رحل الى بعداد فحضر بها مجلس الفقيه القاضى أبى بكر بن الطيب فأخذ عنه علما كثيرا ثم عاد الى القيروان ، فلم يزل بها الى أن توفى رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين وأربعمائة » . روض القرطاس ، ص ١٢٢ .

(٢٤) ابن ابن زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٣ ، وابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٦ ، والبكرى : المسالك ص ١٦٤ ، والناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى جـ ١ ص ٦ ، يقول الناصرى « كتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه : « أما بعد اذا وصلك حامل كتابى هذا يحيى بن ابراهيم الجدالى فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم فى دين الله ، فسار يحيى بن ابراهيم بكتاب الشيخ أبى عمران حتى وصل الى الفقيه وجاج بمدينة نفيس فسلم عليه ودفع اليه الكتاب وكان ذلك =

وهو الشيخ عبد الله بن ياسين[٢٥] الذى ذهب مع الامير يحيى بن ابراهيم الى الصحراء وأخذ هذا الرجل يبث الدعوة الاسلامية على مذهب المالكية فاجتمع له نحو سبعين رجلا ما بين كبير وصغير من فقهاء جدالة ليعلمهم ويفقههم فى الدين وأطاعوه وأكرموه[٢٦] ، وقد ازداد

=

فى رجب سنة ثلاثين وأربعمائه فنظر الفقيه واجاج فى الكتاب ثم جمع تلامذته فقراه عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ ابو عمران فانتدب لذلك رجل يقال له عبد الله بن ياسين الجزولى فخــرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء » . الناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ٧ ، وابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٨ ، وابن أبى زرع الفاسى : روض القرطاس ص ١٢٣ .

(٢٥) يقول ابن أبى زرع : « هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى المجاهد المرابط الزاهد الصوام ، القوام مهدى المرابطين » روض القرطاس ص ١٢٤ ، ويضيف البكرى فيقول : « واسم أمه تين تيزامان من أهل جزولة من قرية تسمى تماما ناوت فى طرق صحراء مدينة غانة » المسالك ص ١٦٥ . وكان عبد الله بن ياسين قد دخل بلاد الأندلس فى دولة ملوك الطوائف فأقام بها سبعة أعوام وحصل فيها على علوم كثيرة ثم رجع الى المغرب الأقصى بتامسنا ، فمر بتامسنا فوجد فيها أمما لا تحصى أكثرهم تحت امراء البراغوطة وكان عسكر امراء برغواطه أكثر من ثلاثة آلاف وانضاف اليهم من سائر القبائل ما بين فارس وراجل أزيد من عشرين ألفا من جراراة وزغاوة ومطغرة والبرانس وركونه وغيرها ، وكان أهل المغرب يتولون أمر بلادهم وامراؤهم يتولون الامارة بينهم الى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه فمر عبد الله بن ياسين ببلاد المصامدة من منصرفة من الأندلس فوجدهم يغيرون بعضهم على بعض يغتنمون الامــوال ويقتلون الرجال ويسبون الحريم ولا يرجعون الى طاعة امام ، فتركهم ورحل عنهم الى بلاد جزولة ، فكان من امره مع يحيى بن ابراهيموجدالة » ابن عذارى : البيان جـ ٤ ، ص ١٠ ، ١١ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ، ص ٧٢٦ .

(٢٦) « فانقادوا له انقيادا عظيما وولوه فى ابتداء الأمر تكريما واقاموا معه على ذلك مدة كبيرة واجتمع عليه منهم أعداد كثيرة الى ان أمر عبد الله المذكور لقبائل جدالة بغزو قبائل لمتونة وغزوا معهم سائر قبائل الصحراء وحاربوهم فقوى أمر جدالة وظهورهم الى أن مات يحيى بن ابراهيم » ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٨ ، وابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٠ ، والناصرى : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٧ .

أنصار عبد الله بن ياسين وأصبحوا يكونون أعدادا كبيرة ، يقـــول الناصرى « ولما انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده ومعه الفقيه عبد الله ابن ياسين الجزولى تلقاه قبائل جزولة ولمتونة وفرحوا بمقدمهما وبالغوا فى اكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين ويوسسهم بآداب الشرع وجعل يأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر وكبحهم عن كثير من مألوفاتهم الفاسدة وشدد فى ذلك فأطرحوه واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكاليف »[٢٧] . ولما رأى عبد الله بن ياسين أن سياسة الوعظ لا تجدى[٢٨] آوى الى الرباط

---

(٢٧) الناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، ص ٧ ، والبكرى : المسالك ص ١٦٥ .

(٢٨) يقول ابن أبى زرع « انه وجد اكثرهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة ثم جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة ويأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر فلما رأوه قد شدد عليهم فى ترك ما هم عليه من المنكرات تبرأوا منه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم ، فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم وأتباعهم أراد الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا الاسلام اذا كان الاسلام بها قد ظهر ، وخاصة بعد قيام ثورة عليه من قبل فقيه منهم يدعى الجوهر بن سحيم أو بن سكم كما يسميه البكرى عندما رأى تناقض فى أحكامه واشترك معه عدد من الرجال فقاموا بعزله من الرأى والمشورة ورفضوا دفع الزكاة والعشور وانتهبوا داره وهدموها وانتهبوا ما كان فيها ، يقول ابن عذارى « وخرج عبد الله ابن ياسين الى شيخه واجاج الذى دخل يحيى بن ابراهيم الجدالى عليه ، وقيل انه كتب ولم يتوجه بنفسه اليه ، فأعلمه بما جرى فى جدالة وبين له أمره معهم وحاله ، فشق على الشيخ واجاج المذكور ما أعلمه من ذلك فكتب الى بعض أشياخ جداله يعاتبهم على ما صدر لعبد الله بن ياسين منهم وما بلغه من فعل المشغبين عليه وأخذ فى ذلك اخذا كليا عليهم ، وعتابا شافيا اليهم لكونهم كانوا قد انقادوا اليه ، ثم انتقدوا ما شيعه عدوه عليه ، فلما وصل جواب الشيخ واجاج من أشياخ الجداليين المذكورين مستعذرين له على تقصيرهم فى حق عبد الله بن ياسين ، أمره بالرجوع الى تلك القبائل الصحراوية وكتب لأشياخهم يعلمهم أن من خالفه قد خالف الجماعة » . ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٨ ، ٩ ، وابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٤ ، والبكرى : المسالك ص ١٦٥ .

فى جزيرة نائية فى مصب السنغال[٢٩] ، وقد أصطحب معه الامير يحيى

---

(٢٩) هذه الرابطة تقع فى ممتلكات اراضى جدالة لأن ديارها تمتد جنوبا حتى تقترب من حوض السنغال فهى كانت قريبة من غانة وشعب صنغانه الواقع على الضفة اليسرى من منحنى النيجر ، يقول ابن أبى زرع : « أن الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالى قد اشار على الامام عبد الله بن ياسين ان يعتزل اهل جداله بعد أن خالفوه فى منطقة نائية ليبعد عن شغب الثوار فيقول « ولكن يا سيدى هل لك فى راى اشير به عليك ان كنت تريد الآخرة ، قال وما هو ؟ قال : ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر اذا انحسر البحر دخلنا اليها على أقدامنا واذا امتلأ دخلناها فى الزوارق ، فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله تعالى حتى نموت فقال له عبد الله بن ياسين هذا احسن . فلهم بنا ندخلها على اسم الله » ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، البكرى : المسالك ص ١٦٥ ، ويبدو من رواية البكرى أن الثورة التى قامت على عبد الله بن ياسين من الفقيه الجوهر بن سكم أنها قامت بعد انتقاله الى رباط السنغال اذ ذكر « أنه أقام بينهم متورع عن اكل لحمانهم وشرب البانهم لما كانت أموالهم غير طيبة وانما كان عيشه من صيد البرية ثم امرهم ببناء مدينة سموها ارتننى وامرهم أن لا ينشق بناء بعضهم على بناء بعض » وهذا مطابق لرواية ابن أبى زرع فى انتقالهم الى رباط السنغال بعد ان تشدد عليهم فى الأحكام ، والثورة التى قامت عليه بعد وصوله الى هذا الرباط طبقا لرواية البكرى « ان نقموا عليه أشياء يطول ذكرها وكأنهم وجدوا احكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سكم مع رجلين من كبرائهم يقال لأحدهما ايار وللآخر ايتكوا فعزلوه عن الرأى والمشورة وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من أثاث وحرث فخرج مستخفيا من قبائل صنهاجه الى أن اتى واجاج بن زلوى فقيه ملكوسه فعاتبهم وجاج على ما كان منهم الى عبد الله وأعلنهم ان من خالف أمر عبد الله فقد فارق الجماعة وان دمه هدر وأمر عبد الله بالرجوع اليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه وقتل خلقا كثيرا ممن استوجب القتل عنده بجراته أو فسق واستولى على الصحراء تلك واجابه جميع تلك القبائل ودخلوا فى دعوته والتزموا السنة به ثم نهضوا الى لمطة وسألوهم ثلث اموالهم ودخلوا معهم فى دعوتهم وأول ما اخذوا من البلاد المخالفة لهم درعه ، وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم مسعود به وانوديه » . وهكذا يبدو من سياق النص السابق أن جميع هذه الأحداث تتفق بعد خروج عبد الله مع يحيى الى رباط السنغال وبناء مدينة للمرابطين والجماعة الجديدة وبدا فى تنظيمها كما سنرى ، واتخذ بيتا للمال ، ورواية البكرى مطابقة ايضا لرواية ابن عذارى جـ ٤ ، ص ٨ ، ٩ .

ابن ابراهيم وترك ابنه ابراهيم ليتولى أمر الملثمين ، فعاشا عيشة الزهد والتقشف وتسارعت اليه الصفوة فزاد أتباعه من المرابطين وعكفوا على تعاليم الاسلام الصحيح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد ابتنى عبد الله رابطة بهذه الجزيرة ، يقول ابن أبى زرع[٣٠] ، « فدخلاها ودخل معهما سبعة من نفر جدالة ، فابتنيا بها رابطة ، وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر فتسامح الناس بأخبارهم وأنهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الوارد عليهم والتوابون فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم فى ثواب الله تعالى ، فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجه فسماهم المرابطين للزومهم رابطته ، ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجه »[٣١] .

وكان رباط السنغال هو النواة الأولى لقيام دولة المرابطين وقد دخل فى طاعاتهم فى هذه الفترة من قبائل صنهاجه جدالة ولمتونة ومسوفة وتكون حلف جديد قوى مرة أخرى بفضل جهود عبد الله بن ياسين مع الملثمين الذين أسلموا اسلاما جديدا وأصبحوا يؤدون ما عليهم من فروض الله[٣٢] وذلك فى سنة ٤٣٤ هـ ومنذ هذه اللحظة أخذ ينظم أمور هذه الجماعة الجديدة فاتخذ بيتا للمال يجمع فيه ما يدفع[٣٣] اليه من

---

(٣٠) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، البكرى : المسالك ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣١) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ومجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٠ .

(٣٢) البكرى : المسالك ص ١٦٥ ، وابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ص ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ومجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٠ ، ١١ .

(٣٣) البكرى : المسالك ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، وابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٦ ، يقول ابن أبى زرع « وجعل لذلك بيت مال يجمعه =

أموال الزكاة والعشور ، واهتم كذلك بتدريب هـذه الجماعة تدريبا عسكريا شاقا[٣٤] وقام بشراء الأسلحة وأمدهم بها[٣٥] ، يقـــول الناصرى « فاشتهر أمره فى جميع بلاد الصحراء وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبلة وبلاد المصامرة وسائر أقطار المغرب » وجعل الاشراف على الأمور العسكرية والحربية للامير أبو زكريا يحيى بن عمر المتونى وبن ياسين له النظر فى أمور الدين وأحكام الشرع ، يقول صاحب الحلل الموشيه « والشيخ كان فى الحقيقة الامير وهو الذى كان يأمر وينهى وكان يقول لهم انما أنا معلم لكم دينكم »[٣٦] .

وبعد أن حسن اسلام الملثمين ونظمت صفوفهم الداخلية كان من الطبيعى أن يحدد عبد الله بن ياسين سياسة معينة رسمها للمرابطين ليبدأ الجهاد .

=

فيه واخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولا على قبائلها وجمع اسلاب المقتولين فى ذلك الغزو وجعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والاخماس الى طلبه بلاد المصامدة وقضاتها » روض القرطاس ، ص ١٢٦ .

(٣٤) يقول البكرى : « وفى قتالهم شـــدة وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب واكثر قتالهم رجالة صفوفا بأيدى الصف الأول القنى الطوال للمداعسه والطعان وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة ليزرقها فلا يكاد يخطىء ولا يشوى ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية فهم يقفون ما وقفت منتصبة وان أمالها الى الارض جلسوا جميعا فكانوا أثبت من الهضاب » .

البكرى : المسالك ص ١٦٦ ، وابن عذارى : البيان ، ج ٤ ، ص ١١ ومجهول : الحلل الموشيه ، ص ١١ .

(٣٥) الناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، ص ٢ ، ٩ .

(٣٦) مجهول : الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار المراكش ، ص ١١ ، وابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٧ .

أولا فى ميدان غرب افريقية لينازل العدو التقليدى وهى مملكة غانة[٣٧] فسار الى الشرق الى منحنى النيجر ونجح فى دخول مدينة أودغشت وانتزعها من ملوك غانة ثم واصل الملثمون التوغل جنوب أودغشت فى سنة ٤٤٦ هـ / سنة ١٠٥٤ م[٣٨] ، يقول البكرى « وفى سنة ست وأربعين غزا عبد الله بن ياسين أودغشت وهو بلد قايم العمارة وهى كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل أن تدخل العرب غانة »[٣٩] وبذلك استعاد الملثمون السيطرة على طرق التجارة ومنابع الذهب بفضل وحدتهم الجديدة وسيطرتهم على غانة واضعافها فكانوا يستهدون بالاسلام فى فتوحاتهم الاقتصادية[٤٠] .

---

(٣٧) البكرى : المسالك ، ص ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ الى والجيرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٢٥ وياقوت : معجم البلدان جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، وحسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ومجهول : وصف كتاب الاستبصار للمدن المغربية ص ٣٣٦ « وبين أودغشت وغانة اثنا عشرة مرحلة » الادريسى : القارة الافريقية ، ص ٨٩ .

(٣٨) البكرى : المسالك ، ص ١٦٨ .

(٣٩) البكرى : المسالك ، ص ١٦٨ ، وحسن احمد محمود : السلام والثقافة ، ص ٢١١ .

(٤٠) كانت تجارة الذهب تلعب دورا هاما فى اقتصاديات العصور الوسطى فكانت تصدر الى بلاد الغرب والى غرب أوربا ، فقد تمتعت غانة فى ظل ملوكها من السوننكى بحكومة مستقرة وأمن مستتب مدة قرنين من الزمان وازدهرت تجارة الذهب وطبقت شهرة غانة الآفاق وجاءها كثيرون من مسلمى افريقية فاستقروا فيها بمزاولة التجارة وقد بنوا لأنفسهم مدينة من الحجر بعيدة عن المدينة الوطنية المبنية من الطين والقش فالبكرى يقول « مدينة غانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجدا وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها آبار عذبة يشربون منها وعليها يعتملون الخضروات ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى الغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين »

=

وقد رأى المرابطون بعد فتحهم لبلاد غانة أن يستكملوا فتوحاتهم صوب بلاد المغرب الأقصى بغرض السيطرة التامة على الطرق التجارية الصحراوية التى تربط بين الشمال والجنوب ، لأن هذا الطريق الجنوبى الغربى من الصحراء الكبرى أصبح هو الطريق الوحيد أمام التجارة لأن الطريق التجارى الشرقى من هذه الصحراء والذى كان يربط بين مصر ومناطق جنوب الصحراء هجر بسبب العواصف وقطاع الطرق[٤١]

=

مما يدل على دخول الاسلام منذ فترة مبكرة على ايدى التجار المسلمين .
Bovill : The Golden Trade, P. 68, 67, 80, 81, 84, 85.

وكانت مدينة أودغشت محل نزاع بين أيدى البربر وخاصة من قبائل لمتونة وجدالة والذين كانت ديارهم تصاقب غانة من الشمال » وبين مملكة غانة ، وحتى يضمن الملثمون السيطرة التامة على تجارة الصحراء فى هذا الجزء الجنوبى الغربى وجدوا أنفسهم تحت زعامة عبد الله بن ياسين الذى يرجع الفضل اليه فى ارجاعهم الى الطريق القويم واتباع السنة الشريفة فبفضل هذا الايمان القوى استطاعوا أن يكسبوا جـولة هامة فى مجال الصراع السياسى على طرق التجارة فى هذه المنطقة ونجحوا فى ذلك تماما فى بداية القرن الخامس الهجرى منذ سنة ٤٤٦ هـ وسنة ١٠٥٤ م وحتى انطلاقهم الى بلاد المغرب الأقصى والاوسط وبلاد الاندلس والدليل على هذا الكلام أن اول مدينة استولى عليها عبد الله بن ياسين هى مدينة أودغشت « يجلب منها الذهب الخالص خيوطا مفتولة » وذهب اودغشت أجود ذهب الارض واضحة » . .

البكرى : المسالك ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، وابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٦ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة الافريقية وغربيها ص ٥٦ ، ومجهـول : الاستبصار للمدن المغربية ملحق بكتاب المدن المغربية : اسماعيل العربى ، ص ٣٣٦ .

(٤١) يقول ابن حوقل « والطريق من مصر الى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم ، فأهلكت غير قافلة واتت على مفردة وقصدهم ايضا العدو فأهلكهم غير دفعة فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه الى سجلماسة » صورة الارض ص ٦٥ ، الادريسى : القارة الافريقية ص ١٠٣ .

لذلك استكمل عبد الله بن ياسين فتوحات المغرب الأقصى فى سنة ٤٤٧ هـ حتى سنة ١٠٥٥ م واتجه المرابطون الى سجلماسة[٤٢] واستولوا عليها بعد معركة ضارية[٤٣] ، يقول البكرى « وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوى فلم يجيبوهم الى ما أرادوا فغزوهم فى جيش عدته ثلاثون ألف جمل

---

(٤٢) اصبحت سجلماسة مركزا تجاريا هاما فكانت القوافل تجتاز بالمغرب الى سجلماسة « فهى من أعظم مدن المغرب وهى على طرق الصحراء بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين ، وقد سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق فهم وأولادهم وتجارتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم منقطعة الى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابقة قلما يدانيها التجار فى بلاد الاسلام سعة حال » ابن حوقل : صورة الارض ص ٦٥ ، ومجهول : الاستبصار فى المدن المغربية ص ٣٣ ، عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص ٣٠٥ .

(٤٣) يقول ابن أبى زرع « فاستولى الامير يحيا على جميع بلاد الصحراء وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها فلما اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعة وصلحاؤهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الامير يحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هى فيه من المنكرات وشدة العسف والجور وعرفوهم بما هم فيه بها أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار والجور مع اميرهم مسعود ابن وانودين الزناتى المغراوى ، وخرج بهم فى الموفى عشرين لصفر سنه سبع وأربعين وأربعمائة الاخرى ٢١ مايو ١٠٥٥ م فى جيش عظيم من المرابطين فسار حتى وصل درعة فوجد بها عامل امير سجلماسة واخرجه عنه ووجد بها خمسين ألف ناقة كانت بها فى مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوى فعلم الامير مسعود بذلك فجمع جيوشه وخرج نحوهم فالتقا الجمعان فكانت بينهما حروب عظيمة منح الله تعالى المرابطين فيها النصر على مغراوة فقتل مسعود بن وانودين المغراوى واكثر جيوشه وارتحل من فوره حتى دخل مدينة سجلماسة واقام بها حتى هدنها واصلح أحوالها » ولكن أهل سجلماسة غدروا بالمرابطين وقتلوا منهم اعدادا كبيرة ولكنهم سرعان ما ندموا على ذلك وأرسلوا الى عبد الله بن ياسين يطلبون منه الصلح والطاعة له » . روض القرطاس ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، البكرى : المسالك ص ١٦٧ ، ابن عذارى : البيان جـ ٤ ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، الناصرى : الاستقصا جـ ٢ ، ص ١٠ ، ١١ .

سرج فقتلوا مسعود واستولوا على مدينة سجلماسة[٤٤] ، وبالرغم من انشغال المرابطين بفتوحاتهم فى بلاد المغرب الأقصى لم يهملوا بشأن بلاد السودان ، وكان الامير أبو زكريا يحيى بن عمر قد تولى أمر الدفاع عن ممتلكات المرابطين فى الجنوب فذهب للقضاء على الثورة التى اشتعلت هناك وذلك أن أهل سجلماسة قد ندموا على قتلهم المرابطين بعد فتحها فى سنة ٤٤٧ هـ ورفض أهل جدالة الاشتراك معهم فى قتال زناتة مرة ثانية ، يقول البكرى « وندم أهل سجلماسة على ما فعلوا وتواترت رسلهم على عبد الله بن ياسين أن يرجع اليهم بالعساكر ويذكرون أن زناتة زحفوا اليهم فندب عبد الله بن ياسين المرابطين الى غزو زناتة ثانية فأبوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا الى ساحل البحر فأمر عبد الله الامير يحيى أن يتحصن بجبل لمتونة فصار يحيى فى جبل لمتونة وذهب عبد الله بن ياسين الى مدينة سجلماسة فى مائتى رجل من قبائل صنهاجه ، ثم رجعت جيوش بنى جدالة الى يحيى بن عمر فحاصروه فى الجبل وذلك سنة ثمان وأربعين وهم فى نحو ثلاثين ألفا وكان التقائهم هناك بموضع يسمى بتغريلى بين تاليوين وجبل لمتونة فقتل يحيى بن عمرو وقتل معه بشر كثير »[٤٥] . فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر فى سنة ٤٤٨ ق سنة ١٠٥٦ م[٤٦] واستكملت فتوحات المغرب الأقصى فغزو بلاد السوس والمصامدة ففتحوا جبل درن وبلاد درعه ونفيس وسائر بلاد كدميوه ووفدت على عبد الله بن ياسين أثناء الفتح قبائل رجراجه وحاحه وبايعوه ثم انتقل الى مدينة اغمات وحاصرها حصارا شديدا ففر صاحبها لقوط بن يوسف بن على المغراوى

---

(٤٤) البكرى ، المسالك ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، وابن عذارى : البيان جـ ٤ ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٤٥) البكرى : المسالك ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، وابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٤ .

(٤٦) ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ١٢٨ ، ١٢٩ . والناصرى : الاستقصا ص ٢ ، ١٤ ، ١٥ .

وطلب النجدة من ملوك بنى سلا وتادلا ودخل المرابطون مدينة اغمات سنة ٤٤٩ هـ(٤٧) ثم استكمل فتح تادلا وبلاد تامسنا ثم اتجه الى بلاد برغواطة وكان أميرها فى ذلك الوقت أبو حفص عبد الله وفى هذه الغزوة توفى عبد الله بن ياسين سنة ٤٥١ هـ بموضع يسمى كريفلت « كريفله »(٤٨) بعد أن نجح فى الاستيلاء على سجلماسة وأعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء ، واستمر الأمير أبو بكر بن عمر على رياسته وجددت له البيعة واستكمل القتال ضد برغواطه وحقق انتصارا كبيرا عليهم ودخلوا فى طاعته ثم اتجه سنة ٤٥٢ هـ(٤٩) الى جبال فازاز وسائر بلاد زناته وفتح مدائن وكناسة ومدينة لواته وأثناء فتوحاته فى المغرب جاءه خبر قيام نزاع بين جدالة ولمتونة فاضطر(٥٠) أن يرحل لبلاد الصحراء بعد أن استخلف على بلاد المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ، ليقر الأوضاع فى الجنوب وظل الامير أبو بكر يقود المجاهدين لمدة تزيد على خمسة عشرة سنة واستطاع أن يستولى على البقية الباقية من غانة وأصبحت تحت سيطرة المرابطين الى أن مات فى احدى معاركه

---

(٤٧) ابن عذارى : البيان المغرب ص ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، والناصرى : الاستقصا ص ١ ، ١٤ ، ١٥ .

(٤٨) البكرى : المسالك ص ١٦٥ ، وابن عذارى : البيان المغرب ص ٤ ، ١٦ .

(٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٤ ، ١٨ .

(٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٤ ، ١٥ ، يقول ابن عذارى « وفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة كان الامير ابو بكر بن عمرا قاعدا ووقف عليه رجل راكب على فرس اشعث الراس فسلم عليه وقال « أيد الله الامير ان جدالة اغارت على اخوتك فقتلوا الرجال وسلبوا الاموال وهزموهم » فلما استوفى كلامه قال الامير ابو بكر « انا لله وان اليه راجعون وبعث الى اشياخ لمتونة وكبرائهم وعظمائهم وقال لهم « ان اخوانكم قد اغارت جدالة عليهم وقتلوهم وانا مسافر الصحراء ان شاء الله اليهم والأخذ بثأرهم ولما اخذ الامير ابو بكر فى الحركة الى الصحراء ولى يوسف مكانه وقسم الجيش بين يوسف وبينه وذلك فى غرة ربيع الآخرة من سنة ثلاث وستين » ابن عذارى : البيان جـ ٤ ، ص ٢٠ ، ٢١ .

ودفن هناك وانتهت غانة[٥١] من الوجود التاريخى فى غرب افريقيا ، يقول ابن عذارى « وأقام الامير أبو بكر بصحرائه ثلاثة أعوام والامير يعقوب يمده بالتحف والهدايا الى أن قتله السودان المجاورون للمتونة فى الصحراء لأنه كان يحاربهم حتى قضى بوفاته بسهم أصابه كان فيه منيته وذلك فى سنة ثمان وستين وأربعمائة »[٥٢] ثم عبر المرابطون جميعا البحر الى الأندلس وأحرز زعيمهم يوسف بن تاشفين النصر المعروف فى معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ وأصبح يحكم امبراطورية واسعة تضم بلاد المغرب الأقصى والاندلس وبلاد الصحراء وتأكدت لهم السيطرة التامة على طرق التجارة الجنوبية والشمالية بعد اختيارهم موقع حاضرتهم الجديدة فى مدينة مراكش ، مما أتاح لهم السيطرة

---

(٥١) البكرى : المسالك ص ١٦٧ وابن عذارى : البيان جـ ٤ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ يقول ابن عذارى « وفى سنة خمس وستين وأربعمائة كان وصول الامير ابى بكر بن عمر من صحرائه الى مراكش فوجد يوسف قد استبد بالملكة وأعجبته الامرة وطاعت له جميع البلاد الغربية فعلم أنه مغلوب عليه وعزم على تسليم الأمر اليه وقال له « يا يوسف أنت ابن عمى ومحل اخى وانا لا غنى لى عن معاونة اخواننا بالصحراء ، ولم ار من يقوم بأمر المغرب غيرك ولا أحق به منك وقد خلعت نفسى لك ووليتك عليـــه فاستمر على تدبير ملكك وانت حقيق به وخليق له وما وصلت اليك الا لامرتك فى بلادك واسلم لك الامر واعود فى الصحراء مقر اخواننا وموضع استيطاننا ، فدعا له الامير يوسف وشكر ، وعاد الامير بكر الى اغمات موضع نزوله ورجع يوسف الى مراكش دار مملكته وارسل هدية الى الامير بكر وذلك خمسة وعشرون الف دينار من الذهب وسبعون فرسا وسبعون سيفا محلاه وعشرون من الأشابر المذهبة ومائة وخمسون من البغال فطابت نفس الامير ابى بكر وقال « خير كثير هذا من يوسف » ثم انصرف بهديته بعدما أعطى منها بعض اخوانه » . ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٥٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ، ص ٢٦ .

على الممرات الجبلية المكتظة بالسكان والمنافذ الحيوية للتجارة سيطرة[٥٣] تامة بين الشمال والجنوب وأصبحت مراكش[٥٤] من أهم الأسواق التجارية التى تجذب أنظار التجار اليها من كل صــوب وحلت محل سجلماسة كسوق كبير للذهب والفضة والعبيد .

(ب) الطرق التجارية : طرق المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى :

هذا الصراع المحتدم وهذه التغيرت لسياسية الجذرية التى عمت المغرب والأندلس تدعونا الى أن نلقى مزيدا من الضوء على هــذه التجارة الرابحة طرقها ومسالكها مدنها وأسواقها ونظم التعامل فيها .

وكان قد تركز النشاط التجارى فى وقت مبكر بعد الفتح العربى عبر ثلاث طرق رئيسية فى الصحراء الكبرى هى :

أ ــ المنطقة الشرقية .

ب ــ المنطقة الوسطى .

جـ ــ المنطقة الغربية .

وهنا فى مجال بحثنا سنهتم بالطرق الغربية موضوع البحث ..

---

(٥٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٤ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٢ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٤٠ .

(٥٤) يقول الحميرى « مراكش شمال اغمات على اثنى عشر ميلا منها بداخل المغرب بناها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين بعد أن اشترى ارضها من اهل اغمات بجملة أموال واختطها له ولبنى عمه » الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٥٤٠ ، ومجهول : الحلل الموشيه ص ١٢ ، ومجهول : الاستبصار ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

طرق المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى :

عندما وصل العرب بقيادة عقبة بن نافع الفهرى الى السوس الأقصى وحدود مملكة غانة الشمالية ، ومع بداية استقرار أحوال المغرب بدأ الاتصال الطبيعى المنتظم بين الصحراء ، وكلما زاد الاستقرار فى الشمال تعمقت الصلات وازدادت حركة القوافل التجارية .

وقد ذكر البكرى طرقا فى هذه المنطقة أولهما :

يخرج من وادى درعة الى غانة مارا ببئر ترامت[٥٥] من عمل الأول وزعم قوم أن بنى أمية صنعتها فيقول « من وادى درعة خمس مراحل الى وادى تارجا وهو أول الصحراء ثم تمشى فى الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل الى رأس المجابة الى البير المسماة ترامت بير معينة غير عذبة وهى الى الملوحة أقرب قد انبطحت فى حجر صلد من عمل الأول ويزعم قوم أن بنى أمية صنعتها وفى الشرق منها بير تسمى بير الجمالية وعلى مقربة منها أيضا بير تسمى نااللى كلها غير عذب وبين هذه الآبار الثلاثة وبلاد الاسلام مسيرة أربعة أيام ومنها الى جبل يسمى بالبربرية « أوادار وزوال » تفسيره جبل الحديد مثل ذلك ومن هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهى المجابة الكبرى وذلك الماء فى بنى ينتسر من صنهاجة ومن بنى ينتسر الى قرية تسمى مدوكن لصنهاجة أيضا ومنها الى مدينة غانة أربعة أيام[٥٦] .

طريق تامدلت[٥٧] أودغشت : الطريق الثانى :

ومن تامدلت فبئر الجمالين « من أنباط عبد الرحمن بن حبيب

---

(٥٥) البكرى : المسالك ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٥٦) البكرى : المسالك ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٥٧) ان تامدلت أسسها عبد الله بن ادريس تولى ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م . ابن حوقل : صورة الارض ص ١٠٠ . تامدلت تقع فى المغرب شرقى لمطة . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٧ . والحميرى : الروض ١٢٨ .

أثناء ولايته افريقية » (١٢٧ — ١٣٨ هـ / ٧٤٤ — ٧٥٥ م) وهذه البئر عمقها أربع قامات[٥٨] كما يقول البكرى « ومنها الى شـــعب ضيق لا تسير فيه الابل الا متتابعة مرحلة ثم تسير فى جبل يسمى أزور ثلاثة أيام وهذا الجبل طوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة الى جانب البحر المحيط »[٥٩] .

والملاحظ على هذا الطريق كثرة وجود الماء فيه فقد ذكر البكرى ثلاثة عشر موضعا للمياه كلها عذبة[٦٠] ، ويستكمل هذا الطريق بعد أن يخرج من جبل أزور فى طريق كلها مليئة بآبار المياه حتى يصل الى موضع يقال له أوكازنت ويستكمل البكرى حديثه فيقول « ثم يخترق مجابة رمال معترضة لا ماء فيها وهو أصعب موضع بطريق أودغست « أربعة أيام » الى موضع يقال له وانزمين آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان وهو موضـــع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتخذونه مرصدا لهم لعلمهم بافضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه »[٦١] ومن هذا الموضع أى من وانزمين يستكمل الطريق مارا ببلد يسمى وارات لمدة خمس أيام حتى يصل الى أرض لصنهاجة كثيرة الماء « ثم تسير منه الى شرف عال مشرف على أودغشت حتى يصل الى مدينة أودغشت نفسها بعد مرحلة »[٦٢] .

وهناك طريق ثالث من سجلماسة الى أدغشت :

فالقوافل التجارية التى تخرج من سجلماسة عبر ديار البربر

---

(٥٨) البكرى : المسالك ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٥٩) البكرى : المسالك ص ١٥٦ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٦٠) البكرى : المسالك ص ١٥٧ .
(٦١) البكرى : المسالك ص ١٥٧ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ٨٦ .
(٦٢) البكرى : المسالك ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

حتى تصل الى بلاد آتية على مفاوز « مسيرة خمسين مرحلة » فقد ارتبطت سجلماسة عبر الصحراء جنوبا بعدة طرق[٦٣] :

من سجلماسة يمر على تامدلت ثم يواصل على طريقها الى أودغشت[٦٤] والطريق الآخر يتجه رأسا الى غانة مسيرة شهرين[٦٥] ، يقول ابن حوقل « ومن سجلماسة الى أودغشت شهران على سمت المغرب فتقع منحرفة محازاة عن السوس الأقصى كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس الى أودغشت ، ومن أودغشت الى غانة بضعة عشر يوما بالمفردة »[٦٦] .

اذن المرور بين سجلماسة وأودغشت عبر طريقين أحدهما يمر على تامدلت ثم يواصل على طريقها الى أودغشت والطريق الآخر

---

(٦٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩١ ، البكرى : المسالك ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

ويقول البكرى : « ومن مدينة سجلماسة تدخل الى بلاد السودان الى غانة وبينها وبين غانة مسيرة شهرين فى صحراء غير عامرة » . المسالك ص ١٤٩ . والادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٨ .

(٦٤) يذكر الادريسى « أن هناك طريق من سجلماسة الى غانة وهذا الطريق معظمه خالى من الماء وصحارى خالية لا عمارة فيها مثل مجابة ينسر التى فى الطريق من سجلماسة الى غانة وهى ١٤ يوما لا يوجد فيها ماء وان القوافل تتزود بالماء لسلوك هذه المجابات فى الأوعية وتحملها على ظهور الجمال ، ومثل هذه المجابات كثير فى بلاد السودان وأكثر أرضها أيضا رمال تنسفها الرياح وتنقلها من مكان الى مكان فلا يوجد بها شىء من المـــاء » .

الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٢ ، وابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٨١ .

(٦٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٦٠ . وابن حوقل : صورة الارض ص ١٠٠ ، والبكرى : المسالك ص ١٥٨ .

(٦٦) ابن حوقل : صـــورة الارض ص ٩١ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ٨٩ .

يتجه رأسا الى غانة مسيرة شهرين كما ذكر البكرى وابن حوقل ولكنه خالى من آبار المياه طريق صحراوى وعر .

وهناك طريق يخرج من طرقله مدينة السوس الأقصى الى غانة مسيرة ثلاثة أشهر(٦٧) .

طريق تغازا السودان :

يقول القزوينى « تغازة بلدة فى جنوبى المغرب بقرب البحـــر المحيط . وفيها معدن الملح والشب والتجار يجلبونه من تغازة الى سائر بلادهم »(٦٨) .

يقول الادريسى « بين تغيزا وبلد سلى وتكرور طرق مجهــولة الآثار دارسة المسالك قليلة الساكن ماؤها غائر وعلامتها خفية وبين بلاد قمنورية ، سلى وتكرور مسيرة ستة عشر يوما مرحلة وما يلى هذه الأرض المذكورة صحراء نيسر وعليها يدخـــل المســـافرون الى أودغشت وغانة وغيرها من البلاد(٦٩) .

---

(٦٧) ابن الفقيه : مختصر البــلدان ص ٨٤ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ١٣٠ .

ياقوت فى معجم البلدان يرى أن مملكة السوس الأقصى هى طرقله جـ ٣ ص ٢٨١ ، واليعقوبى : البلدان ص ٣٥٩ . احمــــد الياس : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦ م ص ٧٢ ، والادريسى يذكر أن بلاد السوس الأقصى مدينته هى تارودنت ص ١٣٠ .

(٦٨) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٦٩) الادريسى : القارة الافريقية ص ٨٦ ، ٨٧ ، ويصف الادريسى أرض قمنورية فيقول « وارض قمنورية منها فى جهة الشمال متصلة من غربيها بالبحر المظلم وتتصل من جهة شرقيها بصحراء ينسر وعلى هــــذه الصحراء طريق تجار اهل اغمات وسجلماسة ودرعه والنول الأقصى الى بلاد غانة وما اتصل به من أرض ونقارة التبر ، وارض قمنورية كانت بها =

ولم يتعرض البكرى لهذا الطريق مباشرة بل أشار الى أماكن توافر الملح بهذه المنطقة[٧٠] .

(جـ) أهم المدن التجارية التى أنشأت على أطراف الطريق التجارى الغربى والتى غدت أسواقا لهذه التجارة :

بدأ قيام المراكز التجارية على جانبى الصحراء فى أماكن الاستقرار حول الواحات والأودية ، وتم التبادل التجارى بصورة بسيطة فى بداية الأمر بين السكان المستقريين على أطراف الصحراء والبدو المتجولين كل يسعى لسد متطلباته للتباين الكبير بين انتاج المنطقــة الصحراوية والأقاليم المحيطة بها . وارتبطت المراكز التجارية ارتباطات قــوية وتوثقت صلاتها بالأمصار الكبرى شمال الصحراء وجنوبها واتصلت بطرق التجارة العالمية والبحرية فكانت صلات هذه المراكز التجارية

=

مهاون للسودان مشهورة وقواعد مذكورة لكن أهل زغاوة وأهــل لمتونة الصحراء الساكنون من جهتى هذه الارض طلبوا أهل هذه الأرض أعنى قمنورية حتى أفنوا أكثر أهلها وقطعوا دابرهم وكانت فى القديم لأهل قمنورية مدينتان عامرتان واسم احداهما قمنورى واسم الاخــرى تفيزا » القارة الافريقية ص ٨٦ ، ٨٧ . البكرى : المسالك ص ١٧١ ، ابن سعيد : بسط الارض ص ٤٧ . مارمول كربخال : افريقية ص ١٨٤ . والقزوينى : آثار البلاد ص ٢٥ ، ٢٦ ، وابن بطوطة : الرحلة ص ٦٧٤ .

(٧٠) يقول البكرى : « ومن غرايب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الارض كما تحفر عن ساير المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو دونهما من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هــذا المعدن تاتنتال ، وهذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانا وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلة عظيمة » . المسالك ص ١٧١ . والادريسى : القارة الافريقية ص ٨٦ ، ومارمول كربخال : افريقية ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

بموانىء سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندى(٧١) .

وفيما يلى عرض لأهم المراكز التجارية التى قامت فى المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى : وهناك مدن عند أطراف المغرب الأقصى الجنوبية ثم مدن أخرى نشأت على أطراف الصحراء الشمالية .

سجلماسة :

أدى ازدياد حركة التجارة فى أول القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى فى المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى الى ظهور محطة جديدة قدر لها أن تلعب دورا كبيرا فى تاريخ العلاقات التجارية عبر الصحراء ، فقد كان هنالك مركزان على طرف الصحراء الشمالى فى أول العصر الاسلامى فى المنطقة هما ترغة وزيز(٧٢) ، لكن بعد ازدياد حركة القوافل لم يعد المركزان القديمان يستوعبان الحركة التجارية المتزايدة مما أدى بالتجار الى التجمع فى مكان فسيح بين رافدى وادى كثير المياه للتسويق وهو موضع سجلماسة(٧٣) فى حدود مملكة

---

(٧١) أحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦ م ص ٨٦ ، وحسن ابراهيم : انتشار الاسلام ص ٤٩ .

(٧٢) وردتا هكذا بدون ضبط ولم يردا فى المعاجم ذكرهما . البكرى ص ١٤٨ . وأحمد اليأس : الطرق التجارية ص ٨٦ .

(٧٣) البكرى : المسالك ص ٨٢ ، وياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢ .

(٧٤) ابن عذارى : البيان ج ١ ، ص ١٥٦ « قامت مدينة سجلماسة على أنقاض مدينة رومانية تقع على مسيرة ٢٠٠ ميل فى الجنوب الشرقى لمدينة فاس على تخوم الصحراء وعلى الضفة اليسرى لوادى زيز وموقعها على خط طول ٣١.٧ غربا ، وعرض ٨٠.٣٤ شمالا ، وقد كانت عناصر مكناسة هى التى شيدت واستقلت بها فى سنة ١٠٠ هـ / ٧٥٧ — ٧٥٨ م » ومنذ سنة ١٥٥ هـ خضعت سجلماسة لسلطان بنى مدرار الذين بلغوا

=

المغرب الجنوبية الشرقية[٧٥] .

يقول الحميرى « وسجلماسة أعظم مدن المغرب وتقع فى صحراء المغرب بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة وهى على نص يقال له زيز وليس بها عين ولا بئر وزرعهم الدخن والذرة ولهم النخيل الكثير وهى على طرفا الصحراء »[٧٦] .

يقول الادريسى « وأما مدينة سجلماسة فمدينة كبيرة كثيرة العامر وهى مقصد للوارد والصادر ، كثيرة الخيرات والجنات رائقة البقاع والجهات ولا حصن عليها وانما هى قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتى اليها من جهة الشرق من الصحراء يزيد فى الصيف كزيادة النيل سواء ويزرع بمائه »[٧٧] .

=

اوج عزهم فى عهد محمد بن الفتح ابن ميمون الملقب الشاكر لله وبعدها استولى جوهر الصقلى على سجلماسة (٣٤٧ هـ / ٩٥٨ — ٩٥٩ م) ، واخضعها للعبيديين استرد بنو مدرار المدينة فى زمن لاحق وظلت تحت حكمهم حتى سقطت فى يد فلفل بن خزون المغراوى فى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٦٧ م وقد ظلت سجلماسة عاصمة من العواصم الاسلامية الجليلة عدة قرون حتى استولى عليها المرابطون فى عهد عبد الله بن ياسين فى سنة ٤٤٧ هـ ، الناصرى : الاستقصا جـ ١ ص ١١ . الادريسى : القارة الأفريقية ص ١٢٨ .

(٧٥) احمد الياس : الطرق الصحراوية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر الميلادى ص ٩٣ .

(٧٦) عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق احسان عباس ص ٣٠٥ ، وياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٩٢ .

(٧٧) الادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٨ وابن حوقل يقــول : « وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد فى الصيف ، ولها نخيل وبساتين حسنة وأجنة لها رطب أخضر من السلق فى غاية الحلاوة واهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب فى المنظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة وابنيتها كابنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية » . صورة الارض ص ٩٠ ، ومحمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٣٠٥ .

ومن مراكز جنوب المغرب الأقصى أيضا :

درعـــــة :

تقع درعة شرقى سجلماسة[٧٨] بنحو سبع مراحل أو ثلاث مراحل كبار ، ويمتد واديها على مسافة كبيرة جنوب المغرب الأقصى تقوم عليه أنواع مختلفة من المزروعات[٧٩] ، يقول البكرى « مدينة درعة يقال لها يتومتين وهى قاعدة وادى درعه وان مبعثه من جبل وهذه المدينة آهلة عامرة بها جوامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة »[٨٠] كما تتوفر بمدينة درعة المعادن والى جانب هذه الموارد الطبيعية كانت درعة مركزا تجاريا هاما ومحطة على أول الصحراء كثير الأسواق والمتاجر .

واستقرت بدرعة[٨١] مجموعات كبيرة من البربر والعرب الذين اشتغلوا بالتجارة وخدمة القوافل .

---

(٧٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٥١ .

(٧٩) البكرى : المسالك ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ص ١٢٩ ، وابن سعيد : بسط الارض ص ٥٨ .

يقول ياقوت « اكثر ثمرتها القصب اليابس جدا » ، جـ ٢ ، ص ٤٥١ .

(٨٠) البكرى : المسالك ص ١٥٥ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٢٣٥ ، والحسن ابن الوزات : وصف افريقيا ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٨١) يقول الادريسى : « ومن مدينة سجلماسة الى مدينة درعة ثلاث مراحل كبار . ودرعة ليست بمدينة يحوطها سور ولا خفير وانما هى قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جمل واخلاط من البربر » وتنطق درعة اليوم وتكتب على الخرائط Dara وهى مقاطعة كبيرة وخصبة وراء جبال الاطلس فى شرق اقليم الســـوس وتمتد من شرقه الى الجنوب حتى تتصل بالمحيط الأطلسى وتفصل بينه وبين اقليم الســـوس سلسلة جبال الاطلس الخارجية Anti - Atlas وسكان هذه المنطقة خليط من العرب وبربر صنهاجه وهـــذا الاقليم هـــو الموطن لدولة السعديين . الادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٩ ، ومجهول : الاستبصار ص ٣٣٧ .

تارودنـــت :

تقع تارودنت جنوب مراكش بالقرب من ساحل المحيط الاطلنطى شرق أغادير الحالية ، وقد كانت حاضرة السوس . يقول الادريسى « وبلاد السوس ومدينته هى تارودنت »[٨٢] .

أدى موقع تارودنت[٨٣] على طرف الصحراء وبالقرب من الساحل الى تنافس الدول التى قامت فى المنطقة على السيطرة عليها فدخلت تحت سيادة المداريين ثم دخلت فى حوزة المرابطين بعد دخولهم بلاد المغرب الأقصى ٤٤٨ هـ / ١٠٦٠ م[٨٤] .

---

(٨٢) الادريسى : القارة الافريقية ص ١٣٠ ، والحسن بن الوزان : وصف افريقيا ص ١٢٩ ، والناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى جـ ٢ ص ١٣ .

(٨٣) يقول الادريسى : « ومن أرض درعه الى بلاد السوس الأقصى أربعة أيام ومدينة هى تارودنت وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارات متصلة بعضها ببعض وبها الفواكه الجليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة ، وهى بلاد حنطة وشعير وأرز يمكن بأيسر قيمة ، وأهلها أخلاط من البربر المصامدة ، وأهل السوس فرقتان فأهل مدينة تارودنت يتمذهبون بمذهب المالكية من المسلمين وأهل تيويوين يقولون بمذهب موسى بن أبى جعفر » القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٨٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٤٢ ، والناصرى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ص ١٣ ، يقول الناصرى « لما توفى الامير يحيى ابن عمر اللمتونى ولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه ابا بكر بن عمر وذلك فى محرم سنة ٤٤٨ هـ وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين الى غزو بلاد السوس والمصامدة ثم زحف اليها فى جيش عظيم فى ربيع الثانى من السنة المذكورة وجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ثم سار حتى انتهى الى بلاد السوس فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة ، وترودنت قاعدة بلاد السوس ، فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا تارودنت عنوة » الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى جـ ٢ ص ١٣ .

وابن أبى زرع الفاسى : روض القرطاس ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٣ ، ١٥ .

تامدلـــت :

تقع مدينة تامدلت غرب مدينة درعة مسيرة ستة أيام . يقــول الحميرى « تامدلت مدينة سهلية كثيرة العمارة حافلة بالأسواق على نهر عنصره من جبل على نحو عشرة أميال منها »[٨٥] أسسها الادارسة على طرف الصحراء لتكون نقطة انطلاق لقوافل الصحراء ونافست سجلماسة ، اذ خرجت منها الطــرق الى أودغشـــت وحوض نهر السنغال[٨٦] ، يقول ابن حوقل « وتامدلت ففى خفض من العيش وطيبة المأكل وكانت فى ضمن عبد الله ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن ادريس ، وفى غاية من الخصب ولرخص الاسعار واللذيذ من الأغذية الحسنة »[٨٧] .

أغمـــات :

تقع مدينة أغمات قرب سجلماسة بمسافة عشرة أيام وبينها وبين المحيــط الأطلسى ثــلاثة فراســـــخ[٨٨] ، وهى مدينتـــان أغمات

---

(٨٥) عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار معجم جغرافى حققه احسان عباس ص ١٢٨ وياقوت : المعجم جـ ٢ ص ٧ .

(٨٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ وابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٠٠ والبكرى : المسالك ، ص ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٨٧) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٠٠ ، يقول ياقوت : « تامدلت من بلاد المغرب شرق لمطة ولها مزارع واسعة وحنطة موصوفة » ، المعجم ، جـ ٢ ص ٧ .

(٨٨) الفرسخ يساوى ثلاثة أميال . يقول ياقوت : « ومن سجلماسة ثمانى مراحل نحو المغرب » ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، والحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٤٦ . وأحمد الياس : الطرق التجارية ص ٧٦ .

ايلان[٨٩] واغمات وريكة[٩٠] . استفادت اغمات من موقعها القريب من الساحل .

فربطت بين طرق الصحراء البرية والطرق التجارية وتقع اغمات فى جنوب المغرب الأقصى ويسقيها نهر ينحدر من جبال الاطلس ، وكانت اغمات ومدينة نفيس من أهم المدن فى هذه المنطقة قبل تأسيس المرابطين

---

(٨٩) « واغمات ايلان مدينة صغيرة فى اسفل جبل درن وهى فى الشرق من اغمات وريكة وبينهما ستة أميال وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد وهى مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم » . الادريسى : القارة الافريقية ص ١٣٨ .

البكرى : المسالك ، ص ١٣٤ ، والحسن الوزان : وصف افريقيا ص ١٤٨ وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٢٥ .

(٩٠) اغمات وريكة تقع اسفل جبل درن من جهة الشمال فى فحص افيح طيب التراب كثير النبات والاعشاب والمياه تخترقه يمينا وشمالا وحولها جنات محدقة وبساتين واشجار ملتفة ومكانها احسن مكان من الارض عذبة الماء صحيحة الصحراء وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبها فيمر الى أن يخرج من شمالها وعليها ارحاؤهم التى يطحنون بها الحنطة فاذا كان زمن الشتاء تحللت الثلوج النازلة له بجبل درن فيسيل ذوبانها الى نهر اغمات ومدينة اغمات أهلها من هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة وهم تجار مياسير يدخلون الى بـــلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر ، وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من الافاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم رجل يسخر عبيده ورجاله الا وله فى قوافلهم المائة جمل السبعون والثمانون جملا كلها موقرة » .

الادريسى : القارة الافريقية ص ١٣٤ ، ص ١٣٥ والبكرى : المالك ص ١٣٤ .

الحسن بن محمد الوزان : وصف افريقيا ص ١٤٨ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٢٥ .

لمراكش[٩١] ، وبعد تشييد مراكش فقدت أغمات[٩٢] شيئا من مكانتها وأهميتها .

يقول الادريسى « ولم يكن فى دولة الملثم أحد أكثر من أهل أغمات أموالا ولا أوسع منهم أحوالا ، وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم ، وذلك أن الرجل منهم اذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه ، وأربعة آلاف يصرفها فى تجارته »[٩٣] .

أزكى .. « أزقى » :

كانت أزكى موطنا للمتونة فى الصحراء قبل دخول الاسلام ويبدو أنها استفادت من اتصالاتها القديمة عبر أراضى غانة فنمت منذ بداية العصر الاسلامى وصارت مركزا تجاريا هاما لعبور الصحراء الى السودان[٩٤] ، استقر بها التجار العرب منذ حملة عقبة بن نافع الى السوس[٩٥] ، يقول الحميرى « مدينة بالمغرب وهى أول مراقى

---

(٩١) « دخل المرابطون مدينة اغمات سنة ٤٤٩ هـ فبقام بها عبد الله ابن ياسين نحو الشهرين ثم خرج منها الى تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوى وقتله ، وظلت مدينة اغمات عاصمة للمرابطين الى أن ضاقت بهم وباعدادهم الكثيرة ففكروا فى اتخاذ عاصمة جديدة فوقع اختيارهم على موقع مدينة مراكش » .

ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٠ ، والناصرى : الاستقصا جـ ٢ ص ١٤ .

مجهول : الحلل الموشية ص ١١ ، ١٢ ، وابن أبى زرع الفاسى : روض القرطاس ، ص ١٢٩ .

(٩٢) ابن عذارى : البيان جـ ٤ ص ٢٠ ، ومجهول : الحلل الموشية ص ١٢ ، ١٣ .

(٩٢) ابن عذارى : البيان جـ ٤ ص ٢٠ ، ومجهول : الحلل الموشية ص ١٣٤ .

(٩٤) الادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٧ ، وصفة المغرب ص ٦٠ ، والحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، ص ٢٨ .

(٩٥) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٦٠ .

الصحراء ومنها الى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ومنها الى نول لمطة سبع مراحل وليست بالكبيرة ولكنها متحضرة »[٩٦] .

نـــــول :

تقع مدينة نول فى أول الصحراء[٩٧] ، على واد يعرف باسمها على بعد ثلاثة أيام من ساحل المحيط الأطلسى واستفادت نول من هذا الموقع الممتاز يقول ياقوت « آخره ، لام ، وأوله مضموم وثانيه ساكن ، مدينة فى جنوبى بلاد المغرب هى حاضرة لمطة فيها قبائل من البربر »[٩٨] فصارت من أهم المراكز التجارية لعبور الصحراء وارتبطت مع مراكز الطرف الجنوبى الصحراء وحوض نهر السنغال كما ارتبطت بالطرق البحرية على ساحل المحيط الأطلسى[٩٩] . يقول الادريسى : « فأما بلاد نول الأقصى وتازكانت فهى بلاد لمتونة الصحراء ولمتونة قبيل من

---

(٩٦) عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٢٨ . والادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٨ .

(٩٧) يقول الادريسى « ومدينة نول مدينة كبيرة عامرة على نهـر يأتى اليها من جهة المشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة وبهذه المدينــة تصنع الدرق اللمطية التى لا شىء أبدع منها ولا أصلب منها ظهرا وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها . وبهذه المدينة قوم يصـــنعون السروج واللجم والاقتاب المعدة لخدمة الابل ، والى هذه المدينة يلجأ أهل تلك الجهات فيما يعد لهم من مهم حوائجهم وفنون مطالبهم » .

القارة الافريقية ص ١٢٧ ، وصفة المغرب ص ٥٩ ، وابن سعيد : بسط الأرض ص ١٤٧ ، والبكرى : المسالك ص ١٧١ ، ١٧٢ ، وعبد المنعم الحميرى : روض المعطار ص ٥٨٤ .

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣١٢ ، « ولمطة بالفتح ثم السكون وطاء مهملة أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البـــر الاعظم يقال للارض والقبيلة معا لمطة » جـ ٥ ص ٢٣ ، ٣١٢ .

(٩٩) البكرى : المسالك ص ١٧١ ، ١٧٢ ، والادريسى : القـــارة الافريقية ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الإقطـــار ص ٥٨٤ .

صنهاجة ، وصنهاجة ولمطة اخوان لأب واحد وأم واحدة ، وهم أصحاب ابل ونجب وعتاق ، رحالة لا يقيمون بمكان واحد ، وليس لديهم مدينة يأوون اليها الا مدينة نول لمطة ومدينة أزقى للمطة أيضا ، فأما مدينة نول العربية فمنها الى البحر ثلاثة أيام ومنها الى سجلماسة ثلاثة عشرة مرحلة »(١٠٠) .

أودغســـــت :

يقول الحميرى « مدينة بين صحراء لمتونة والسودان وهى مدينة عظيمة آهلة ولها أسواق حافلة عامرة الدهر كله وأهلها أخلاط من جميع الأمصار قد استوطنها لكثرة خيرها ونفاق أسواقها وتجارتها »(١٠١) ، وكانت أودغست عاصمة امبراطورية غانة لبعض الوقت(١٠٢) فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وتمتعت هذه المدينة بمميزات أهلتها لتكون عاصمة لدولة غانة التى قامت على طرف الصحراء الجنوبى فهى مركز التقاء لسكان الصحراء والسودان وأرضها خصبة(١٠٣) كثيرة المياه ،

---

(١٠٠) الادريسى : القاهرة الافريقية ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، ص ٥٨٤ ، وابن ابى زرع الفاسى : روض القرطاس ص ١٢٢ ، والناصرى : الاستقصا جـ ١ ، ص ٨ ، ٩ ، وياقوت : المعجم جـ ٥ ص ٣١٢ .

(١٠١) عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطـــار ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(١٠٢) البكرى : المسالك : ص ١٦٨ ، وياقوت : المعجـــم جـ ١ ص ٢٧٧ .

(١٠٣) « اودغست » « وهى بين جبلين فى قلب البر جنوبى مدينة سجلماسة بينهما نيف واربعون مرحلة فى مرحلة ومفارز على مياه معروفة وفى بعضها بيوت البربر وامطارهم فى الصيف يزرعون عليها القـــمح والدخن والذرة واللوبيا والنخل ببلدهم كثير وبها اسواق جبلية وهى مصر من الامصار والسفر اليها متصل من كل بلد وفى شرقيهم بلاد السودان وفى غربيهم البحر المحيط وفى شماليهم منفتلا الى الغرب بلاد سجلماسة وفى جنوبهم بلاد السودان » .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

يقول البكرى « أودغست وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق ونخل كثير وأشجار الحناء »[١٠٤] وكانت غانة دائما تريد السيطرة على أودغست من أجل الملح وكان يجلب اليها من بلد الاسلام ، يقول ابن حوقل « وحاجتهم (أى ملك غانة) الى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام ، فانه لا قوام لهم الا به وربما بلغ الحمل من الملح الخارج فى دواخل بلاد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار »[١٠٥] .

غانة :

يقول الحميرى « غانة من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة شهرين وهى أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا »[١٠٦] .

---

(١٠٤) يقول البكرى : وحولها بساتين ونخل ويزرع فيها القمح وبها آبار عذبة والغنم والبقر أكثر شىء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة اكباش واكثر ، وعسلها ايضا كثيرا يأتيها من بلاد السودان وهم أرباب نعم جزلة واموال جليلة وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة ، ويتجهز الى اودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقاء ويجلب منها العنبر المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم والذهب الابريز الخالص خيوطا مفتولة وذهب اودغست أجود من ذهب أهل الارض واضحة » .

البكرى : المسالك ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص ٦٣ ، ٦٤ ، وياقوت : المعجم جـ ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(١٠٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٨ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ٣٤ .

(١٠٦) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٢٢٥ ، يقول ياقوت : « غانة : بعد الالف نون كلمة عجمية لا اعرف لها مشاركا من العربية وهى مدينة كبيرة فى جنوبى بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع اليها التجار ومنها يدخل فى المفازات الى بلاد التبر ولولاها لتعذر
=

ومدينة غانة هى أول عاصمة لامبراطورية سودانية على طرف الصحراء الجنوبى وهذه الامبراطورية استمرت من القرن الرابع الميلادى حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى(١٠٧) .

يقول الادريسى : « وأرض غانة تتصل من غربيها ببلاد مقزازة ومن شرقيها بلاد ونقارة ، وبشمال الصحراء المتصلة التى بين أرض السودان وأرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها ، ومن مدينة غانة الى أول بلاد ونقارة ثمانية أيام »(١٠٨) .

ونمت علاقات غانة التجارية وارتبطت عبر الصحراء بمدن العالم الاسلامى الكبرى ووصلتها الأعداد الكبيرة من القوافل سعيا وراء الذهب الذى اشتهرت به فى العصور الوسطى والى جانب الذهب كانت العاصمة مستودعا للرقيق وباقى سلع السودان(١٠٩) التى تجمعت فيها من حدود الامبراطورية الواسعة التى ضمت أراضى التبر فى الجنوب وأطراف الصحراء فى الجزء الجنــوبى الغربى من الصحراء وكانت

= الدخول اليهم لانها فى موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزودون اليها » . المعجم جـ ٤ ، ص ١٨٤ ، والقزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٧ .

(١٠٧) الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٤ ، ٣٥ ، والبكرى : المسالك ص ١٦٨ ، وحسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(١٠٨) الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٤ وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٨ .

عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص ٢٢٥ .

(١٠٩) الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٨ ، ٣٩ وبلاد ونقارة هذه هى بلاد التبر المشهور بالطيب والكثرة وهى جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا والنيل يحيط بها من كل جهة فى سائر السنة واهلها اغنياء والتبر عندهم وبأيديهم كثير ، وهذا يوضح السبب المباشر لمنازلة غانة من قبل الملثمين ومحاولة القضاء عليها من أجل السيطرة على مراكز انتاج الذهب فى الجزء الغربى من بلاد السودان ص ٣٨ ، ٣٩ ، والبكرى : المسالك ص ١٧٦ ، ١٧٧ وياقوت المعجم جـ ٤ ص ١٨٤ .

اتصالات غانة الداخلية متيسرة بالمراكز الواقعة على نهر السنغال[١١٠] ، ويقول الحميرى « وغانة مدينتان على ضفتى البحر الحلو واليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها مسلمون »[١١١] .

(د) السلع المتبادلة ونظم التعامل :

عبرت الصحراء الكبرى أنواع متعددة من السلع التى انحصرت بصورة رئيسية فى المواد التعدينية والزراعية فى المنطقتين المحيطتين بالصحراء الكبرى فى الشمال والجنوب . كما كانت الصحراء نفسها تنتج بعض هذه السلع التى احتلت مكانا بارزا فى الحركة التجارية[١١٢] .

ويمكن تناول هذه السلع تحت مجموعتين رئيسيتين سلع صادرة من السودان الغربى وأخرى واردة اليه .

أ ـ السلع الصادرة من السودان الغربى :

لعبت السلع التى كان يصدرها السودان الغربى دورا رئيسيا فى تجارة الصحراء الكبرى ، ويأتى على رأس قائمة هذه السلع الذهب والرقيق .

---

(١١٠) البكرى : المسالك ص ١٦٨ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ٣٨ ، ٣٩ ، وابن حوقل : صورة الارض ، ص ٩٨ ، واحمد الياس : الطرق التجارية ، ص ١٠٥ .

(١١١) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٢٥ وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٨ ، وياقوت : المعجم جـ ٤ ص ١٨٤ ، والادريسى : القارة الافريقية ، ص ٣٩ .

(١١٢) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٢٥ ، وأحمد الياس : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى ص ١٤٤ .

الذهـــــب :

كان الذهب السلعة الأولى التى جذبت اليها التجار منذ تاريخ قديم لدخول العرب فى المغرب ومنذ ذلك الوقت أصبح الذهب محور تجارة السودان عبر الصحراء ، لكن لم يصبح السودان مصدرا هاما من مصادر امداد الذهب لحوض البحر المتوســط حتى ســـقوط الامبراطورية الرومانية(١١٣) ثم أصبح ذهب السودان الغربى بعد ذلك التاريخ يمثل عنصرا أساسيا فى اقتصاد العصور الوسطى لدول المغرب وغرب أوربا(١١٤) .

وقد فطن العرب للدور الهام الذى يلعبه ذهب الســـودان فى الاقتصاد العالمى فى ذلك الوقت فما أن ثبتت أقدامهم فى المغرب حتى بدأوا يتجهون الى التجارة واستصلاح طرقها ثم أرسلت حملة الى السودان فى أول القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى والتى أرسلها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (١٢٧ — ١٣٢ هـ) وعمل على حفـــر سلسلة من الآبار تصل بين واحات افريقية وبين مدينة اودغشت ،

---

(١١٣) كان الرومان يحصلون على الذهب من أوربا فى المنـــاطق الواقعة بين اسبانيا واورال والمناطق الواقعة بين البحر المتوسط حتى البلطيـــق كما كانوا يتحصـــلون على بعض الذهب فى منطقـــة فـــزان Bovill : The Goldon Trades p. 29, واحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦ م ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، وابراهيم طرخان : امبراطورية غانة ص ٧٤ .

(١١٤) Fage : Introduction to the African History p. 21,

Bovill : The Goldon. p. 66 — 67, 80,

واحمد الياس : الطرق التجارية ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة الافريقية وغربيها ص ٥٦ ، وانتشار الاسلام فى افريقيا ص ٩٨ ، ٩٩ .

فوصلت الى غانة أرض الذهب[115] . واستطاع جنوده عبـــور الصحراء ونشر الاسلام فى أقاصى أوطان الملثمين واستطاع تجار العرب أن ينتقلوا بديار الملثمين وبلاد السودان ، وأصبحت القوافل أوفر جرأة على ارتياد هذا الطريق[116] .

وقد أثارت تجارة الذهب انتباه الجغرافين والرحالة العرب منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، وجمعوا عنها معلومات غزيرة والظاهرة البارزة على ما جاء فى المصـــادر العربية[117] وهو حصر مصادر الدهب فى منطقة السودان الغربى والتركيز على روافد نهرى السنغال والنيجر[118] .

واشتهرت بعض المناطق فى السودان الغربى بتواجد كميات كبيرة من الذهب فيها مثل جزيرة ونقارة التى تبعد عن مالى ثمانية أيام وغيارو[119] .

---

(١١٥) يقول الادريسى : « والذى يعلمه اهل المغرب الاقصى علما يقينا لا اختلاف فيه انه الملك غانة فى قصره لبنه من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله خلقة تامة » ، ص ٣٨ .

البكرى : المسالك ص ١٧٦ ، وحسن احمد محمود : الاســـلام والثقافة العربية فى افريقية ص ٢١٠ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية وغربيها ص ٤٩ .

Bovill : The Goldon Trades, p. 80, 81.

(١١٦) حسن احمد محمود : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص ٨١ ، ٩٢ .
Bovill : p. 67, 68, 80, 81.

(١١٧) البكرى : المسالك ص ١٥٨ ، ١٦٨ ، وابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٥ ، ٩٨ ، والمسالك ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(١١٨) كانت روافد انهار السنغال والنيجر وغابيا غير واضـــحة للجغرافيين العرب الذين اعتبروها روافد لنهر واحد ، احمـــد الياس : الطرق التجارية ص ١٤٦ .

(١١٩) الادريسى : صفة المغرب ص ٨ ، والقارة الافريقية وجزيرة
=

واشتهرت غانة عند الجغرافيين العرب بالذهب حتى وصفوا أرضها بانها كلها ذهب ، بالرغم من أن مواطن الذهب كانت خارج حدودها ومنها يدخل التجار بلاد التبر ولولاها لتعذر عليهم ذلك(١٢٠) .

=

الاندلس تحقيق اسماعيل العربى ص ٣٣ ، ٣٩ ، البكرى : المسالك ص ١٧٦ .

يقول الادريسى : « ومن مدينة غانة الى أول بلاد ونقارة ثمانية أيام وبلاد ونقارة هذه هى بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهى جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا والنيل يحيط بها من كل جهة فى سائر السنة فاذا كان فى شهر اغشت وحمى القيظ وخرج النيل وفاض وغطى هذه الجزيرة أو اكثرها وأقام عليها مدته التى من عادته أن يقيم عليها ثم يأخذ فى الرجوع فاذا أخذ النيل فى الرجوع والجزر رجع كل من فى بلاد السودان المتحشرين الى تلك الجزيرة بحاثا يبحثون طوال أيام رجوع النيل ، فيجد كل انسان منهم فى بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه كثيرا أو قليلا من التبر ، وما يخيب منهم أحد فاذا عاد النيل الى حده باع الناس ما حصل بايديهم من التبر وتاجر بعضهم بعضا واشترى منهم اهل ورقلان واهل المغرب الاقصى وأخرجوه الى دور السكك فى بلادهم فيضربونه دنانير ويتصرفون بها فى التجارات والبضائع ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٢٠) يقول البكرى : « وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم وهى سنة ستين واربع ماية انكامين ، الذى يتحلى بحلى النساء فى العنق والزراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة عليها عمايهم القطن الرفيعة وهو يجلس للناس والمظالم فى قبة ويكون حوالى القبة عشرة افراس بثياب مذهبة وراء الملك عشرة من الغلمان يحملون السيوف المحلاة بالذهب عن يمينه أولاد ملوك بلدة قد ضفروا رءوسهم على الذهب وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة بين يدى الملك جالس فى الارض وحواليه وزرائه جاوسا على الارض وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق وضع الملك تحرسه فى أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون فى الساجور عدد رمانات ذهب وفضة وللكهم على حمار الملح دينار ذهب فى ادخاله البلاد وديناران فى اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل وأفضل الذهب فى بلاده ما كان بمدينة غياروا وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما فى بلاد معمورة

=

الرقيـــق :

احتلت تجارة الرقيق مكانا بارزا فى تاريخ تجارة الصحراء خاصة بعد دخول العرب فى المغرب • وقد ظهر الرقيق كسـلعة مرغوب فيها منذ بداية العصر الاسلامى حيث وضع عقبة بن نافع الجزية رقيقا على المناطق التى أخضعها جنوب فزان(١٢١) •

وتعتبر منطقة لملم(١٢٢) الواقعة الى الجنوب من غانة والتى

=

بقابيل السودان مساكن متصلة واذا وجد فى جميع معادن بلاده الندرة من الذهب استعفاها الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الرقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بأيدى الناس » .

البكرى : المسالك ، ص ١٧٦ ، ١٧ والادريسى : القارة الافريقية ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، وابن حوقل : المسالك : ص ٩٠ ، والقزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٧ .

(١٢١) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٧٢ ، ٧٣ ، وأحمد الياس : الطرق ص ١٤٥ .
Bovill : The Golde. 67, 83, 84.

(١٢٢) وبلاد لملم تتصل من جهة الغرب بأرض مقزارة ومن جهة المشرق بأرض ونقارة ومن جهة الشمال بأرض غانة ومن جهة الجنوب بالارض الخالية وبلادهم وجملة عماراهم على واد يمد النيل وليس بعد أرض لملم فى جهة الجنوب عمارة تعرف ، والادريسى : القارة ص ٣٧ .
يقول الادريسى : « فأما مدينة ملل التى هى من بلاد لملم ، وهى مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها وهى على تراب آخر منيـع جانبه ، واهل ملل متحصنون به عمن يطرقهم من سائر السودان وأهل ملل اكثر نسلا ولهم ابل ومعز يعيشون من البانها ويأكلون الحيتان المصـيدة ولحوم الابل المقددة . واهل تلك البلاد المجاورة لهم يسبونهم فى كل الاحايين بضروب من الحيل ويخرجونهم الى بلادهم فيبعونهم من التجار قطارا ويخرج منهم فى كل علم الى المغرب الاقصى أعدادا كثيرة ومن مدينة ملل الى مدينة غانة الكبرى نحو من اثنى عشرة مرحلة من رمال ردهاس لا ماء بها . وليس فى جميع أرض لملم الا مدينتان صغيرتان كالقرى احداهما ملل واسم الثانية دو ، وبين هاتين المدينتين مقدار اربعة ايام » .
الادريسى : القارة الافريقية ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ والبكرى : المسالك ص ١٧٨ .

وصف سكانها بأنهم أكثر الناس نسلا ومصدر امداد دائم للرقيق « اذ يغير على هذه المنطقة ملك التكرور »[١٣٣] .

وأهل سلى[١٣٤] والمناطق المجاورة لهم فيأسرون منهم الأعداد الكبيرة ويبيعونهم للتجار عابرى الصحراء يقول الادريسى : « وأهل سلى وتكرور وغانة يغيرون على بلاد لملم ويسلبون أهلها ويجلبونهم الى بلادهم فيبيعونهم من التجار الداخلين اليهم فيخرجهم التجار الى سائر الأقطار »[١٣٥] .

---

(١٣٣) ابن سعيد : بسط الارض ص ٢٤ . وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص ١٢٤ .

Bovill : The Golden Trade. p. 84, 85.

ويقول الادريسى عن صاحب بلاد التكرور « هو سلطان موءمر وله عبيد واجناد وله حزم وجلاده وعدل مشهور ، وبلاد آمنة وادعة وموضع مستقرة والبلد الذى هو فيه مدينة التكرور وهى فى جنوب النيل وبينهـا وبين سلى مقدار يومين فى النيل وفى البر ، ومدينة تكرور اكبر من مدينة سلى واكثره تجارة واليها يسافر أهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها التبر والخدم وطعام اهل سلى واهل التكرور الذرة والسمك والالبان ومن مدينة سلى وتكرور الى مدينة سجلماسة اربعون يوم بسير القوافل وأقرب البلاد اليها من بلاد لمتونة الصحراء ازقى » الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٢ ، ٣٣ ، والبكرى : المسالك ص ١٧٢ .

(١٣٤) وهناك اسم « سلى » اسم ماء لبنى ضبة باليمامة . ويذكر ياقوت عن سلا انها « مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور الا مدينة صغيرة يقال لها غرينطوف ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط فيما يزعمون وعلى ساحل جنوبية وما سامته بلاد السودان . وسلا : مدينة متوسطة من الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الارض قد حاذاها البحر والنهر ، فالبحر شماليها والنهر غربها جار من الجنوب وفيه نهر كبير تجرى فيه السفن اقرب منه الى البحر ومنها الى مراكش عشر مراحل وهى من مراكش غربية جنوبية » . ياقوت : المعجم ج ٣ ، ص ٢٣١ .

(١٣٥) الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ص ٣٣ وصفة المغرب ص ٦ .

وقد آثارت قضية بيع الرقيق والهجوم على المواطنين انتباه رجال الدين وبعض المسئولين خاصة بعد انتشار الاســلام داخل السودان فصدرت الفتاوى بعدم جــواز ذلك ، وكانت زويلة(١٢٦)

= وابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر جـ ١ ص ٤٤٦ وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠ ، ص ٩١ .

Bovill : The Golden Trade. p. 83.

(١٢٦) ظهرت زويلة كمركز تجارى منذ القرن الرابع الميلادى وازدهرت مع بداية الفتح العربى فصارت مقر الولاة قبل تأسيس القيروان يقول البكرى : « ثم صارت قاعدة بلاد فزان » الزويلة مدينة غير مسورة فى وسط الصحراء وهى اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ، ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيــل وبساط للزرع يسقى بالابل ولما فتح عمرو بن العاص برقة بعث عقبــة ابن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزيلة للمسلمين » ويقــول اليعقوبى « وزويلة مما يلى القبلة وهو قوم مسلمون اباضية كلهم يخرجون الى بيت الله الحرام ويخرجون الرقيق من السودان من الميرين والزغاويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم ويسبونهم وبلغنى أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شىء ولا حرب » . ويقول الادريسى « ومدينة زويلة بفتح أوله وكسر ثانيه ، بلدان : احدهما زويلة السودان مقابل اجدابية فى البر بين بلاد السودان وافريقية . وابن سعيد يذكر ان قاعدة فزان زويلة . واليعقوبى أول من اشار لطريق زويلة وانه يرتبط بساحل البحر المتوسط اذ خرج من سرت الى ودان فزويلة وورائها على بعد خمسة عشر مرحلة مدينة كوار ومن المراكز الهامة التى قامت فى طرق المنطقة الشرقية من الصحراء الكبرى وقد بنيت هذه المدينة فى سنة ٣٠٦ هـ . البكرى : المسالك ص ١٠ ، ١١ ، واليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ ، والادريسى : صــفة المغرب ص ٨ ، ٩ والقارة الافريقية ص ٩٧ ، وياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ويذكر ياقوت ان هناك مدينة اخرى تحتل اسم زويلة وهى التى بناها المهدى بن عبد الله جانب مدينة المهدية « زويلة المهدية » ، وياقوت : المعجم جـ ٣ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، والبكرى : المسالك ٢٩ ، ٣٠ ، وابن سعيد :بسط الارض ص ٦١ ، واسماعيل العربى : المدن المغربية ص ٢٩٧ ، واحمد الياس : الطرق التجارية ، ص ٩٠ .

وورجلان[١٢٧] وسجلماسة[١٢٨] من أكبر المراكز التى يأتى عبرها الرقيق ثم يوزع على المغرب ومصر وكانت أسعاره فى أسواق السودان زهيدة تمكن التجار من شراء الاعداد الكبيرة .

وكانت القوافل أيضا تحمل الرقيق الأبيض الى داخل السودان ولم يكن لهؤلاء سوق فى السودان نسبة لارتفاع أسعارهم بل كانوا يحضرون بناء على رغبات الملوك[١٢٩] .

والى جانب تصدير الذهب والرقيق ساهم السودان أيضا بتصدير بعض السلع الأخرى التى اعتمدت عليها تجارة الصحراء مثل الجلود والعاج والعنبر وغيرها[١٣٠] .

---

(١٢٧) تقع ورجلان على حدود الجزائر الشرقية وتعتبر ورجلان البداية الشرقية لواحات الجزائر الممتدة على سفوح الاطلس حتى الحدود المراكشية . وتميزت ورجلان بوفرة المياه الباطنيـــة التى توجد فى أعماق بعيدة الا انها تتدفق عند حفرها بكميات وفيرة ويصعد الماء كالسهم الى أمد طويل ويسيل فى المزارع ، اكتسبت ورجلان شهرتها الكبيرة لارتباطاتها التجارية الواسعة فقد كانت المركز الاول لتجارة الرستميين وتخصص اهلها فى قيادة قوافل السودان وكانت سهلة الارتباط جنوبا عبر مرتفعات الحجاز فنهر النيجر وعبر غات فمرتفعات السودان ، كما ارتبطت كذلك بمدن الغرب الكبرى مثل القيروان وتلمسان وقطيلية ، وابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٧ ، ٩٢ ، وياقوت : جـ ٥ ، ص ٣٧٧ ، والحميرى : ص ٦٠٠ ، والبكرى : المسالك ص ٧٧ ، ١٨٢ ، وأحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦ م ص ٩٠ ، ٩١.

(١٢٨) البكرى : المسالك ص ١٤٨ والادريسى : القارة الافريقية ص ١٢٨ ، وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠ ، والحسن بن الوزان : وصف افريقيا ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ومجهول : وصف كتاب الاستبصار للمـــدن المغربية ملحق بكتاب اسماعيل العربى : المدن المغربية ص ٣٣٥ .
Bovill : The Golden. p. 67.

(١٢٩) البكرى : المسالك ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، العمرى : مســـالك الابصار قسم ٢ مجلد ٢ ص ٥٠١ .

(١٣٠) البكرى : المسالك ص ١٧١ والادريسى : القارة الافريقية ص
=

فالعاج كان متوفرا بكميات كبيرة ويصنعون منه أوانى للشرب ويزينون به الخيل كما كان السودان يصدر الابنوس(١٣١) والعسل وريش النعام وحبوب الكولا(١٣٢) ، وقد شاركت الصحراء فى تزويد القوافل العامرة الى السودان والخارجة منه ببعض السلع وكانت أهم السلع الصحراوية التى تحملها القوافل الخارجية من السودان هى الشب والمنطقة التى اشتهرت بانتاج الشب أكثر من غيرها هى كوار وكان الشب عصب تجارة أهل كوار « يتجهز منه فى كل سنة الى سائر البلاد بما لا يحصى كثرة ولا يقاوم وزنا وهو بالغ فى نهاية الجودة »(١٣٣) .

=

٣٤ ، ٣٩ ، ٤٠ . يقول الادريسى : « وفى سواحل هذا البحر « المحيط الاطلسى » الصادر عن هذه الجزائر وغيرها يوجد العنبر الجيد » القارة الافريقية ص ٨٥ وفى جزيرة ايونى .

(١٣١) كان الابنوس يزرع فى مدينة بريسى وهى شرق غانة وبينهما اثنا عشر يوما وهى فى وسط الطريق الى مدينة سلى وتكرور وكذلك من مدينة بريسى الى اودغشت « اثنتا عشرة مرحلة واودغشت من بريسى شمالا والنيل يجرى فى هذه الارض من المشرق الى المغرب وبنيت على ضفتيه القصب الشركى وشجر الابانوس والشمشار واسلحة هذه البلاد القسى والنشابات وعليها عمدتهم والدبابيسى ايضا من أسلحتهم يتخذونها من شجر الابانوس لهم فيها حكمة وصناعة متقنة » . الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٤ .

(١٣٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ٥٧٧ .

Bovill : The Golden Trade. p. 29, 30, 82, 83, 95, 98.

وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٧٤ .

(١٣٣) الادريسى : القارة الافريقية ص ٩٨ . يقول الادريسى : « وبلاد كوار يحويها بطن وادى يأتى من جهة الجنوب مارا الى الشمال لا ماء به الا أن الماء اذا حفر عليه وجد به معينا كثيرا وكوار ارض مشهورة وبلادها مقصودة ومنها يخرج الشب المعروف بالشب الكوارى ، ولا يعد له شىء فى الطيب » ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

السلع الواردة الى السودان الغربى :

دخلت السودان أنواع متعددة من السلع أتى بعضها من حوض البحر المتوسط وأتى بعضها من داخل الصحراء وعلى رأس السلع الصحراوية التى دخلت السودان الملح وهو سلعة رئيسية فى تجارة الصحراء منذ وقت طويل قبل فتح العرب للمغرب وذلك لعدم توفره بكميات تكفى احتياج السكان داخل السودان فالملح يكاد ينعدم جنوب الصحراء الا من بعض مناطق شرقى نهر النيجر ، حيث يستخرجه السكان من المستنقعات وقت الجفاف[١٣٤] .

وكانت جزيرة اوليل على المحيط الاطلسى المصدر الأكبر لامداد السودان الغربى بالملح يقول ياقوت « وأوليل معـــدن الملح وهى على نحر البحر »[١٣٥] وبسبب وقوعها فى أقصى غرب الســـودان فقد تعذر وصول ملحها الى أطراف السودان النائية جنوبا وشرقا[١٣٦] يقول الادريسى : « فاما جزيرة أوليل فهى من البحر وعلى مقـــربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم فى بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان وذلك أن المركب تأتى الى هذه الجزيرة فتسوق بها الملح وتسير منها الى موقع النيل وبينهما مقدار مجرى فتجرى فى النيل الى ســـلى وتكرون وبريسى وغانة وسائر ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان »[١٣٧] . وأيضا

---

(١٣٤) البكرى : المسالك ص ١٧١ ، وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٨ . وابراهيم طرخان : مملكة غانة ، ص ٧٤ . والادريسى : القارة الافريقية ص ٣١ ، ٣٢ . واحمد الياس حسين : الطرق التجارية ، ص ١٤٤ .

(١٣٥) ياقوت : المعجم جـ ١ ص ٢٨٣ .

(١٣٦) البكرى : المسالك ص ١٧١ ، والادريسى : القارة الافريقية ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ص ٦٤ .

(١٣٧) الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ص ٣١ ، ٣٢ . وابن حوقل : صورة الارض ص ٩١ . يقول البكرى : « يتجهز بالملح =

كانت مدينة اودغشت لها دور الوسيط فى نقل تجارة الملح الى سائر بلاد السودان اعتمادا على ما يجلب اليها من بلاد الاسلام[١٣٨] . يقول ابن حوقل : « وملك اودغشت هذا يخالط ملك غانة وغانة أيسر من على وجه الارض من ملوكها بما لديه من الاموال والمدخرة من التبر المثار على قديم الأيام وحاجتهم الى ملوك اودغشت ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام ، فانه لا قوام لهم الا به وربما بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار »[١٣٩] .

ولذلك فان ندرة الملح وتعذر وصول الموجود منه الى الداخل جعل منه سلعة عزيزة وتزايد عليه طلب السودانيين فارتفع ثمنه حتى أصبح السلعة التى يحرص عليها التجار لضمان أكبر قدر من الذهب فقد كانت قيمته الشرائية مرتفعة بصورة كبيرة لا تخلو من بعض المبالغة اذ ذكر البكرى : « انه يباع وزنا بوزن الذهب وربما باعوه بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم »[١٤٠] .

والى جانب الملح كان التمر يصدر الى السودان ويجلب من ورجلان وسجلماسة[١٤١] كما كانت القوافل تحمل بعض أدوات الحرب الحديدية والجلدية من مراكز الصحراء جنوب المغرب وأهم هـذه

=

الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجارة اليه متسايرون وله غلة عظيمة وهذا يأتى فى صحراء المجابة الكبرى والمسافة بين هذه الصحراء وسلجماسة مسيرة عشرين يوما وكان يقطع كما يقطع الحجارة الحجر ، وكانت جزيرة اوليل تقع فى أرض جدالة » . البكرى : المسالك ص ١٧١ .

(١٣٨) ابن حوقل : المسالك ص ٩٨ .

(١٣٩) ابن حوقل : المسالك ص ٩٨ .

(١٤٠) البكرى : المسالك ص ١٧٦ ، وابن حوقل : المسالك ص ٩٨ .

(١٤١) الادريسى : صفة المغرب ص ٤ ، وابن سعيد : بسط الارض ، ص ٦٠ .

الأدوات الدرق اللمطية والتى اشتهرت نول لمطة بصناعتها[١٤٢] وكان يصنع من جلد حيوان يسمى االمط ، وكذلك النحاس والمصنوعات التى كانت تصنع من هذا المعدن فكانت القوافل تنقله الى غانة وتكرور واودغشت من المغرب الاقصى يقول الادريسى والى تكرور يسافر أهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس والخرز[١٤٣] وكذلك يصدر من المغرب الاقصى الاحجار الكريمة[١٤٤] • والمنسوجات الصوفية فكان المغرب الأقصى يصدر هذه المنسوجات الى منطقة التكرور ومن اغمات أيضا كان يصدر الى السودان الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمأذر »[١٤٥] وكانت الملابس الحريرية تصدر الى السودان إذ كان يستوردها البربر من الاندلس[١٤٦] •

---

(١٤٢) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ص ٦٦ ، والقارة الافريقية ص ١٢٧ « وبهذه المدينة تصنع الدرق اللمطية التى لا شيء ابدع منها ولا اصلب منها ظهرا ولا احسن منها صنعا وبها يقاتل اهل المغرب لحصانتها وخفة محملها » ص ١٢٧ .

وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس معجم جغرافى ص ٣٠٥ ، ياقوت : المعجم جـ ٥ ص ٢٣ .

(١٤٣) الادريسى : القارة الافريقية ص ٣٣ وصفة المغرب ص ٥٩ ، ٦٠ .

(١٤٤) يقول الادريسى : « ويوجد أيضا فى ساحله — اى البحر المحيط — حجر البهت وهو مشهور عند أهل المغرب الاقصى ويباع الحجر منه بقيمة جيدة لا سيما فى بلدة لمتونة وهم يحكون عن هذا الحجر ان من امسكه وسار فى حاجة قضيت له أو فى عناية وشفع فيها .. » .

الادريسى : القارة الافريقية ص ٨٥ ، ٨٦ ، والبكرى : المسالك ص ١٥٣ .

(١٤٥) الادريسى : صفة المغرب ص ٦٣ ، ٦٦ . والقارة الافريقية : ص ٣٢ ، ٣٣ .

الادريسى : القارة ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١٤٦) الزهرى : الجغرافيا : ص ١٢٧ . وأحمد الياس حسين : الطرق التجارية ص ١٥٠ .

نظم التعامل فى المراكز التجارية :

سيطر المرابطون فى مستهل القرن الخامس الهجرى على طرق الاتصال عبر الصحراء وخاصة طرق المنطقة الغربية وبعد نجاحهم فى السيطرة على المغرب الاقصى والأوسط خلال هذا القرن استطاعوا السيطرة أيضا على طرق المنطقة الوسطى من هذه الصحراء مما ساعد على انتعاش الأسواق الداخلية سواء فى المغرب الأقصى أو بلاد السودان[(١٤٧)] وارتفاع مستوى الدخل بين الأفراد ووفرة الثراء وتكدس الأموال[(١٤٨)] .

وكما رأينا فالصلات التجارية بين الملثمين وبلاد السودان لم تنقطع ، واستتبع ذلك وجود وسيلة للتعامل بين التجار والمسلمين وأهل السودان وكان هناك أنواع عديدة استخدمت فى هذا المجال .

---

(١٤٧) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٦٣ ، ٦٤ والقارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، ص ٣٣ ، ٣٦ ، ومجهول : الاستبصار ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وعبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥ وياقوت : معجم البلدان ، ص ١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، والمراكشى : المعجب فى أخبار المغرب ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، وارشيبالويس : القوى البحرية ص ٢٨٨ ، ومحمد بن شقرون : مظاهر الثقافة المغربية ، ص ١٩ ، والحسن بن الوزان : وصف افريقيا ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(١٤٨) يقول د. حسن محمود : فقد روى المقرى صاحب ازهار الرياض ان ابا بكر بن باجة غنى فى حضرة الامير ابو عبد الله محمد بن تيفاوت او تيفلويت أحد أمراء الملثمين ، فلما سمعه « صاح واطرباه ، وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدات وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة الا يمشى ابن باجة الى داره الا على الذهب » فكيف يستطيع مثل هذا الامير البدوى الصحراوى أن يفعل ذلك الا بسبب وفرة الثراء وتكدس الاموال » فقد تجمعت الثروات الضخمة على الخصوص كما رأينا فىأيدى اللمتونيين خاصة فقد كانت لهم الزعامة والملثمين عامة .

د. حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٤٠٧ ، والمقرى : ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض جـ ٢ ص ٣٠٩ .

فقد استخدم التجار فى هذه المنطقة أسلوب المقايضة[١٤٩] وهى تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من سلع ، وكان الذهب من أهم هذه السلع على الاطلاق فقد استخدم كسلعة رئيسية[١٥٠] الى جانب بعض السلع الاخرى مثل الملح والنحاس ، يقول الادريسى : « أن أهل أغمات تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس »[١٥١] ، الى جانب سلع أخرى تم التبادل بها مثل الفواكه المجففة والتمر[١٥٢] . ويحملها اليهم تجار المغرب الأقصى .

فمثلا شعوب الماندنجو ثم شعب السوننكى كانوا يستخرجون من بلاد السودان الذهب من بلاد ونقارة وغياروا ويبادلونه بالملح مقابل البضائع الآتية عبر هذا الطريق الحيوى مثل الملح والفواكه المجففة والتمر والنحاس والخرز[١٥٣] .

---

(١٤٩) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، شرقى القارة الافريقية وغربيها ص ٥٦ .

(١٥٠) الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ص ٦٦ ، والمراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(١٥١) الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ص ٦٧ .

(١٥٢) الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، تحقيق اسماعيل العربى ، ص ٣٣ ، ٣٦ ، وياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، وابن حوقل : صورة الارض ص ٩٩ .

(١٥٣) الادريسى : القارة الافريقية وجزيرة الاندلس تحقيق اسماعيل العربى ، ص ٣٣ ، ٣٦ ونزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ص ٦٧ ، والبكرى : المسالك ص ١٧١ . يقول البكرى : « وللكهم — اى لملك غانة — على حمار الملح دينار ذهب فى ادخاله البلد وديناران فى اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وانفضل الذهب فى بلاده ما كان بمدينة غياروا وسبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية أيام » . البكرى : المسالك ص ١٧٦ .

واســـتخدم التجار التبادل بطريقة تسمى بالتبادل الصـــامت Dumb — Barter (١٥٤) .

فيقول د. حسن ابراهيم : « ذلك أن تجار غانة يضـــعون متاجرهم على شـــاطىء أحد الأنهار ثم يختفون عن الانظار فيتقدم أصحاب التبر الى هذا المكان ويضعون بجوار هذه البضائع قيمتها تبرا ثم ينسحبون فيظهر أهل غانة من مخابئهم . فاذا رضوا عن كمية الذهب أخذوها وان لم يرضوا ، اختفوا مرة أخرى حتى تزاد الكمية . وكانت هذه الطريقة فى المبادلة شائعة فى افريقية فى العصـــور الوسطى »(١٥٥) .

وكن هذا النوع من التعامل منتشرا فى داخل بلاد السودان حيث مواطن الذهب اما فى المراكز التجارية على طرق الصحراء فقد استخدمت النقود الذهبية فأهل غانة كانوا يضربون الدنانير الذهبية ويستخدمونها فى التبادل(١٥٦) التجارى واستخدم أيضا الدراهم الفضية ، فالتداول بالنقود الذهبية كان معمولا به فى الســـودان يقول ابن حوقـــل : « وربما بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار »(١٥٧) .

---

(١٥٤) د. حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى افريقية ص ٩٨ .

Bovill : The Golden Trade. p. 83.

وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٥٥) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، ص ٥٦ ، وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٧١ و ٧٢ . Bovill : The Golden Trade. p. 83.

(١٥٦) البكرى : المسالك ص ١٧٦ .

(١٥٧) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، والبكرى : المسالك ص ١٧٦ .

وكذلك ذكر القزوينى أن الملح يباع فى سائر السودان « كل وقر بمائة دينار » . القزوينى : آثار البلاد ص ٢٦ .

وقد اتخذ الملثمون الدينار الذهبى كوسيلة للتعامل منذ وقت مبكر أيضا — فى حياة الامير يحيى بن ابراهيم الجدالى سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٠ م والامام عبد الله بن ياسين[١٥٨] يقول ابن أبى زرع : « وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والاعشار والاخماس الى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها ، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب »[١٥٩] .

واستمر ضرب الدنانير الذهبية فى عهد الامير أبى بكر بن عمر اللمتوني منذ سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م فكتب السكة تظهر أسماؤهم على السكة منذ سنة ٤٥٠ هـ[١٦٠] .

وذكر اسم الخليفة العباسى أيضا مقرونا باسم أبى بكر بن عمر منذ ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م حتى توفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م واستخدم أيضا اسلوب الصكوك فى التبادل التجارى فى هذه المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى يقول ابن حوقل : « ولقد رأيت صكا كتب بدين على بن أبى سعدون بأودغشت وشهد عليه العدل باثنين وأربعين ألف دينـــار »[١٦١] .

---

(١٥٨) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٢ .

(١٥٩) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٢٦ .

(١٦٠) M. H. Lavoix : Catalogue de Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale, p. 198, 255, 256.

عبد الرحمن فهمى : دراسة لبعض التحف الاسلامية مستخرج من حوليات كلية الاداب — القاهرة ، المجلد الثانى والعشرون ، العدد الاول سنة ١٩٦٠ م ، ص ٢٠٧ .

د. حسن أحمد محمود قيام دولة المرابطين ص ٣٣٤ ، ٢٣٥ .

Lane Poole : Catalague of oriental coins P/22. London 1879.

(١٦١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٦٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

ولقد رأيت باودغشت صكا فيه ذكر حق بعضهم على رجل من تجار اودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين واربعين الف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت » ص ٩٦ ، وابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ، ص ٢٢ .

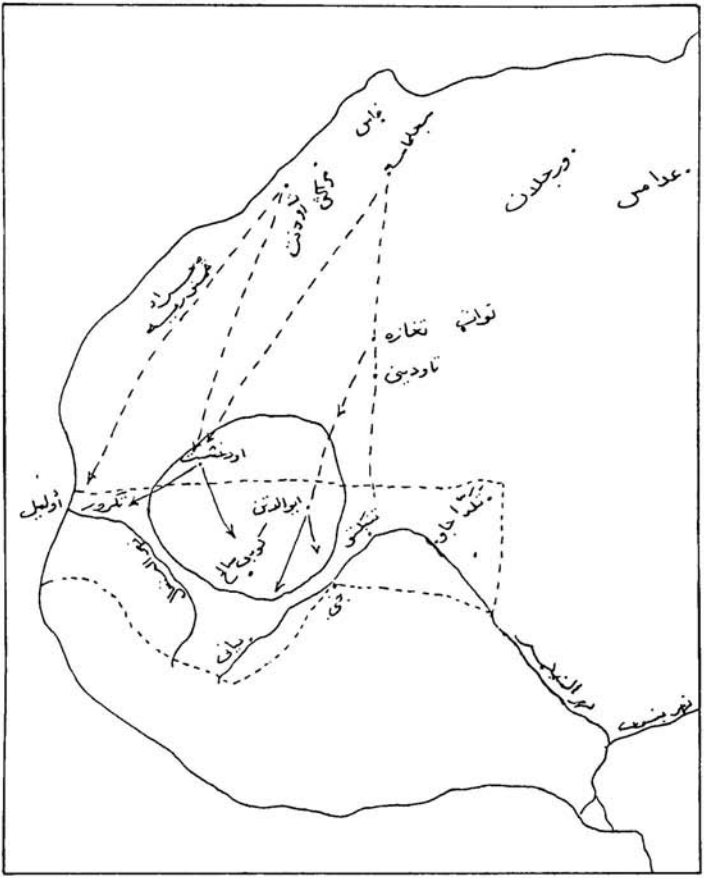
كذلك استخدم الودع فى مراكز السودان التجارية مثل غانة وكان له قيمة شرائية عالية فقد كان التجار يجلبونه من الاندلس بكميات كبيرة لقوته الشرائية الجيدة[١٦٢] .

يتضح مما سبق أن الذهب هو العملة السائدة فى مراكز التجارة فى المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى الى جانب المقايضة بالملح والنحاس والخرز والودع الى جانب الصكوك .

هذه الطرق التجارية الدافقة بكل هذه الأموال والمدن الثرية المشتغلة بالتجارة والأسواق الزاخرة بمختلف السلع ، حسم المرابطون مشكلتها واستولوا عليها وأحكموا السيطرة عليها قبل انطلاقهم الى الاندلس ليحكموا السيطرة هناك على ملوك الطوائف ولعل هذا يزيد من تقديرنا لدور المرابطين فى الحياة الاقتصادية فى المغرب والاندلس .

---

(١٦٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٩٦ وابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة ص ٧٠ ، وحسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى افريقيا ص ١٠٢ .



المسالك الرئيسية عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبري

- - - - - - المسالك

———— حدود دولة غانه

.... حدود دولة مالي

المصدر : حدود الدولتين من : Fage & Oliver : Short History of Africa

مصـــادر عربيـــة

ـ ـ الادريسى : محمد بن محمد الشريف (ت ٥٦٠ هـ)

ـ صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مستخرج من كتاب نزهة المشتاق فى اختـــراق الآفاق • مطبعة بريل ليدن ـ هولندا ١٨٦٤ م •

ـ القارة الافريقية وجزيرة الاندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق اسماعيل العربى • ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ١٩٨٣ م •

ـ ـ ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩ هـ)

رحلة ابن بطوطة دار صادر ، بيروت ١٩٦٤ م •

ـ ـ البــكرى : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) المغرب فى ذكر أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، الطبعـــة الثانية ، دى سلان ، باريس ١٢٩١ هـ •

ـ ـ الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (جمعه ٨٦٦ هـ) الروض المعطار فى خبر الأقطار ـ معجم جغرافى ـ تحقيق احسان عبـــاس ـ مكتبـــة لبنان ـ بيروت ١٩٧٥ م •

ـ ـ الحسن بن الوزان : وصف افريقية ـ ترجمة د• عبد الرحمن حميدة راجعه د• على عبد الواحد ـ الرياض ١٩٧٠ م •

ـ ـ ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦ هـ)

ـ الاحاطة فى أخبار غرناطة ـ تحقيق محمد عبد الله

عنان ط ١ — الشركة المصرية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٧٧ م •

— أعمال الاعلام — تحقيق د• أمحد مختار العبادى — محمد ابراهيم الكنانى — الدار البيضاء ١٩٦٤ م •

— ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)

— كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر — ٦ أجزاء — بيروت ١٩٦٧ م •

— مقدمة ابن خلدون — تحقيق عبد الحميد مهدى محمد — مطبعة دار الشعب — مصر •

— ابن أبى زرع : على بن محمد (كان حيا قبل ٧٢٦ هـ)

الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبـــار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس — نشر دار المنصور — الرباط ١٩٧٣ م •

— الزهـــرى : أبو عبيد محمد بن أبى بكر (ت أواخر القرن السادس الهجرى)

كتاب الجغرافيا • غير مذكور تاريخ الطبع ولا المكان •

— ابن سعيد الاندلسى : على بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ/١٢٧٤ م)

— بسط الأرض فى الطـــول والعرض — تحقيـــق د• خوان قرنيط خينيى د• ط كريماوس تطوان ١٩٥٨ م •

— كتاب الجغرافيـــا ط ٢ — ديـــوان المطبـــوعات الجامعية ١٩٨٢ م ، الجزائر ، حقق وعلق عليه اسماعيل العربى •

ــ ــ ابن عذارى المراكشى : أبو العباس أحمد (كان حيا ٧١٢ هـ/١٣١٢م)
ــ البيان المغرب فى أخبار المغرب ــ تطوان ١٩٥٦ م .

ــ قطعة من تاريخ المرابطين ــ الجــزء الرابع ــ
تحقيق احسان عباس ــ بيروت ١٩٦٧ م .

ــ ــ ابن الفقيــه : أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمزانى (ت أواخر
القرن الثالث الهجرى)

مختصر كتاب البلدان ــ ط. ليدن ١٣٠٢ هـ .

ــ ــ القــزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد ــ بيروت ١٩٦٩ م .

ــ ــ مجهــول : الاستبصار فى عجائب الامصار ــ نشر وتعليق د.
سعد زغلول عبد الحميد ــ د. ط ــ مطبعة جامعة
الاسكندرية ١٩٥٨ م .

ــ الاستبصار فى المدن الغربية ــ ملحق بكتاب المدن
الغربية ــ اسماعيل العربى ــ المؤسسة الوطنية
للكتاب ــ الجزائر ١٩٨٤ م .

ــ الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ــ تحقيق
د. سهيل زكار ــ د. عبد القادر زمامة ــ ط ١ ــ
دار الرشاد الحديثة ــ الدار البيضاء ١٩٧٩ م .

ــ ــ المراكشى : عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٤٧ هـ)
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ــ تحقيق محمد سعيد
العريان ــ ط ١ ــ مطبعة الاستقامة ــ القــاهرة
١٩٤٩ م .

ــ ــ المقــرى التلمســانى : أحمــد بن محمــد المقــرى التلمســانى
(ت ١٠٤١ هـ ــ ١٦٣٣ م)

ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب .

ـ أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض .

ـ مارمــول : مارمول كربخال (ت القرن السادس عشر الميلادى)
أفريقيا ـ ٣ أجزاء ـ ترجمه عن الفرنسية محمد حجى ، محمد زينبرو محمد الاخضر ـ مكتبـــة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرباط ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

ـ الناصرى : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى

الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ـ الدولتان المرابطية والموحدية ـ الجزء الثانى تحقيق وتعليق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى ـ الاستاذ محمد الناصرى ـ دار الكتاب البيضاء ١٩٥٤ م .

ـ ياقوت الحموى : شهاب الدين (ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان . دار الشرق صادر بيروت ١٩٥٧ م .

ـ اليعقــوبى : أحمد أبى يعقوب بن جعفر بن دهب بن واضـــح (ت ٢٨٤ هـ)

البلدان ـ ملحق بكتاب ابن رسته ـ الاعـــلام النفيسة ـ ليدن ١٨٩١ م .

مراجع عربية حديثة وأجنبية

ــ ــ ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ــ د. ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

ــ ــ أحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب سنة ١٩٧٧ م ــ رسالة غير مطبوعة .

ــ ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير د. ط ــ مطبعة م . ك الاسكندرية ١٩٦٦ م .

ــ ــ أريشبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحــــر المتوسط ــ ترجمة أحمد محمد عيسى ــ مراجعة محمد شفيق غربال ــ مكتبة النهضة المصرية .

ــ ــ اسماعيل العربى : المدن المغربية ــ الجزائر ١٩٨٤ م ــ المطبعة الوطنية بالجزائر .

ــ ــ حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ــ . ط النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٥٨ م .

ــ قيام دولة المرابطين د. ط النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٥٧ م .

ــ ــ حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى :
الصحراء الكبرى ــ شرقى القارة الافريقية وغربيها ــ معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ م .

ــ ــ عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود الاسلامية وعلم النبات ــ جزء واحد ــ فجر السكة العربية ــ القاهرة ١٩٦٥ م .

ـــ النقود العربية ماضيها وحاضرها ـــ القـــاهرة ١٩٦٤ م •

ـــ دراسة لبعض التحف الاسلامية مســتخرج من حوليات كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة ـــ المجلد الثانى والعشرون ، العدد الأول ســنة ١٩٦٠ ميــلادية •

ـــ محمد بن أحمد بن شقرون : مظاهر الثقافة المغربية د• ط مطبعة الرسالة ـــ الرباط ١٩٦٢ م •

— Bovill, E. W. : Niger and Songhay Jas. Camb. Vol.,XXV — 1925 — 26.

The Golden Trade of the Moors. Oxford — 1952.

Caravans of the old Sahara an Introduction to the the History of Westera Sudan — London — 1933.

— Fage, J. D. : An Atlas of African History — London 1958.

— An Introluction to the African History- Cambridge 1955.

— Fage and Roland : Ashort History of Africe 1962.

— Lane — Poole (S) : Catalogue of the collection of Arabic coins in the Mediviai, Libary at Cairo. London 1897.

— Lavoix (H) : Catalogue de Monnaies Musulmanes — de la bibliotheque Naitional de Paris.

ثلاث آلات حرب دفاعيـــة
من العصـــــر الصــفوى
بالمتحف القبــطى بالقـــاهرة

د. ســـعاد محمد حسن
كلية الآثار ـــ جامعة القاهرة

عرفت البشرية أهمية آلات الحرب الدفاعية فى الحفـــاظ على سلامة المحاربين ، وامكانية انتصار الجيوش فى الغزوات المختلفــة على مر العصور ، وتزخر المتاحف المصرية والعالمية باعداد وفيرة[1] من تلك المعدات والآلات الدفاعية الحربية ، والتى بقيت لنا من مختلف العصور الاسلامية والبلدان المختلفة . ويحتفظ المتحف القبطى بالقاهرة بثلاث تحف فريدة ونادرة اسلامية الطراز عبارة عن « خـــوذة » و « ترس » و « واقية ذراع » .

---

(١) تناولت كتب الفنون الحربية الأسلحة التى يجب ان يتسلح بها المحارب وقسمتها الى قسمين احدهما ما يبقى مع المحارب ، والآخـــر ما يذهب من يده . فالأول مثل السيوف والعمد والخناجر والرماح أما الثانية كالسهام والنبال والمزاريق والحجارة وسائر ما يرمى بها .

الاقصرائى : محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفى .

نهاية السؤال والامنية فى تعلم أعمال الفروسية مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة ـــ ص ١ .

ابن منكلى : محمد بن منكلى الناصرى : الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ـــ ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم (١) فروســـية .

عبد العزيز محمود عبد الدايم : الحيل فى حروب دول المماليــك سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

أولا ـ الخـــــوذة[٢] :

وهى من النحاس ، وقوام زخارفها أربعة صلبان بارزة مكفتة بالذهب يتماثل على جانبيها عناصر أدمية متواجهة ومحصورة داخل مناطق مكونة من فروع نباتية وأوراق ومراوح نخيلية وزهور متفتحة قريبة من الواقع ، وأوراق ثلاثية[٣] ، وثمار بعض الفاكهة مثل الرمان والتفاح كما تحوى بعض الجامات مناظر طيور مثل الأوز مصورة فى حركة رائعة ، وان كانت فى وضع معكوس بحيث جاء جسمها لأعلى ، ورقبتها تلتوى الى أسفل ، ويلتف حول حافة الخوذة من أســـفل شريط زخرفى عريض مكون من خراطيش مســـتطيلة تجاورها دوائر صغيرة بالتبادل • وتزخرف الخراطيش مناظر صيد وقنص وفرســـان يطاردون حيوانات مختلفة ، أما الدوائر فيها زخارف كتابية يقرأ منها لفظ الجلالة « الله » ويتدلى من الخوذة « زرد » حول دائرها السفلى

---

(٢) رقم التحفة بالمتحف القبطى ١٥٨٣٠ ويبلغ ارتفاعها ٤ر٢٧ سم ، والخوذة فى اللغة كل ما يقى الرأس من غطاء مصنوع من المعدن . والجمع خوذ ، القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٥٣ . وقد سميت بالبيضة لأنها على شكل بيضة النعام ، والجمع « بيض » .. ويقال ابتاض الرجل اى لبس البيضة او الخوذة ، لسان العرب جـ ٨ ص ٣٩٣ ، ويشير القلقشندى الى نوعين من تلك الخوذة ، الأول يعرف بالبيض ، ويستخدم فى وقاية الراس فيما عدا الرقبة والاذنين .. اما النوع الثانى فيعرف بالمغفر وله نفس استخدام النوع الأول ، ولكنه يتميز بتزوده بشمله من الزرد تغطى الرقبة والاذنين .

القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الأنشا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(٣) اعتبر بعض العلماء هذا الشكل المكون من الورقة الثلاثية او زهرة الزنبق اهم الملامح المميزة للخوذات المملوكية فى القرن ١٥ م ، وكذلك الايرانية .

حسين عبد الرحيم عليوه : سلاح المحارب المصرى فى عصر المماليك رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ ، ص ٣٥٣ .

وهى عبارة عن شبكة معدنية مكونة من حلقات متصل بعضها ببعض • ويطلق على مقدمة الخوذة « القونس »[٤] •

وينسدل الزرد المتصل بها من الخلف فى أطوال متباينة ، يطرح على الظهر لحماية المقاتل ، ويعلو الخوذة قائم مدبب الشكل يطلق عليه السنبك[٥] ، وهو أشبه بريشة طويلة ، وقد زخرف بأوراق نباتية محورة وفروع نباتية بالتذهيب ، وهذا القائم مخصص لابعاد السيوف عن الرأس اذا ما صادفتها ، وليمكن نزعها ولبسها منها[٦] •

وتتميز الخـــوذة بوجـــود واق للأنف[٧] ، أنفيه Nasal فى مقدمة الخوذة وهو مثبت على بدنها بواسطة محبس نحاس مستطيل ، مثبت من الامام بمسمار نحاس متحرك ، ويستخدم فى احكام تثبيت الواقية ، وفى تيسير حركتها الى أعلى وأسفل حسب حاجة المحارب •

والأنفية عبارة عن ساق معدنية مبططة تنتهى بقمة على هيئـــة صليب مكفت بالذهب • وقد زودت الخوذة بجراب معـــدنى يتقدم الخوذة ، يتخذ شكلا أنبوبيا رفيعا مفرغا من الداخل ، ويوضع الى يمين الواقية والى يسارها ، ويثبت بواسطة صفيحة مفصصة تستعمل كقاعدة للجراب بواسطة مسامير برشام معدنية • وهذا الجـــراب

---

(٤) القونس فى اللغة مقدمة الرأس . وقونس البيضة من السلاح مقدمتها لسان العرب جـ ٨ ص ٦٦ ، ل. أ. ماير الملابس المملوكية — ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة د. عبد الرحمن فهمى ، ص ٧٦ .

(٥) يطلق على الحديدة الطويلة التى كانت تعلو جمجمة البيضة . لسان العرب جـ ٨ ، ص ٦٧ .

(٦) عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدر الاسلام — دار المعارف سنة ١٩٦١ ، ص ١٥٤ .

(٧) د. عبد الرحمن زكى : الحرب عند العرب ، دار المعارف ، سلسلة كتاب ، العدد ٨٨ ، ص ٣٢ — ٣٣ .

مخصص لوضع ريشة أو شعر ملون أو لوضع شارة معينة خاصة بالسلطان ، أو صاحب الخوذة أو الفرقة التى ينتمى اليها صاحب الخوذة .

ويلاحظ أن هذه الخوذة مستديرة تبعا لاستدارة الرأس ، وصغيرة الحجم مما يرجح أنها تلبس مباشرة على الرأس[٨] .

ثانيا — الترس :[٩]

الترس مصنوع من النحاس الأحمر (لوحة ٢) مستدير الشكل[١٠] . تتكون زخارفه من دائرة مركزية بوسط الترس ، تحوى

---

(٨) عادة تبطن الخوذة من الداخل ببعض المواد اللينة كالقطن او الألياف الاسفنجية ذات المسام ، ل. أ. ماير : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٩) رقم التحفة بالمتحف القبطى ١٥٨٣ ، والترس فى اللغة العربية بتشديد التاء وضمها وسكون الراء تعنى ما كان يتوقى به فى الحرب ، والجمع « تراس » ويطلق « التراس » على صاحب الترس وصانعه .

المعجم الوسيط جـ ١ ص ٨٤ مجمع اللغة العربية — دار المعارف ١٩٨٠ . والترس من الآلات الدفاعية الهامة ، حيث يقى بها المقاتل نفسه من رميات الأعداء وضرباتهم سواء كانت السهام أو الرماح أو السيوف ، ويمسك الترس بيسار المحارب .

عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ص ١٨٦ واطلقت أسماء مختلفة عليه منها الحجفة ، والمجن ، والدرقة . ويصنع عادة من الفولاذ أو الخشب المغطى بالجلد . ل. أ. ماير : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(١٠) يعتبر الترس المستدير أكثر استعمالا وشيوعا فى العصور الوسطى فى ايران ومصر فى العصر المملوكى . وان كان هناك ايضا الترس المستطيل والمحدب أو المقبب .

عبد الرؤوف عون : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

والتروس اقسام منه المسطح الذى تقى به الرمح ، ومنه المستطيل
=

منظرا يمثل فارسا يمتطى صهوة جواده المنطلق ويقبض بيده اليمنى على رقبة تنين (لوحة ٣) وبيده اليسرى سيف مشهر « مقوس » .

ويحيط بهذه الدائرة المركزية أربع جامات مكونة من فروع وأوراق نباتية ثلاثية ، ومراوح نخيلية ، ويمنتصف هذه الجامات صلبان من النوع المتعدد الرؤوس المتساوى الأضلاع بارزة ومكفتة بالذهب .

وقد وزعت على جانبى الصلبان عناصر أدمية متواجهة مكونة من صفين الأول وهو الداخلى بالقرب من مركز الترس ، أصغر حجما من الأشخاص الذين اصطفوا فى الصف الثانى وهو الخارجى بحافة الترس ، وهذه الأشخاص تبدو فى مناظر تصويرية مختلفة منها مجالس شراب وأيضا مجالس طرب فى حين تجاور تلك المناظر مناطق صغيرة مفصصة مكونة من فروع نباتية وتحوى مناظر انقضاض[11] تمثل نسرا قويا [12] ينقض على أوزة صغيرة .

=

المخصر الوسط وبه تقى النشاب ومنه المقبب المنحنى الأطراف الى الخارج ، وهذا لا يتقى به الرمح لأنه قد يثبت فيه فيصرع حامله وانما يتقى به النشاب والسيف . انظر :

ابن هذيل : على بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسى ت ١٣٨٠ هـ حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ص ٢٣١ .

الحسن بن عبد الله بن محمد — آثار الأول فى تدبير الدول ، ص ١٦١ .

(١١) ظهرت مناظر العراك بين الحيوانات ومناظر الانقاض منذ القدم خاصة فى منتجات فنانى السيث بشمال الهضبة الايرانية وفى بلاد التركستان قبل الميلاد ببضعة قرون ، والى الاول الميلادى ، وكانت المناظر تتميز بالعنف والقسوة . د. زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٥٥ .

كما ظهرت منحوتات حجرية ترجع الى العصر الاكمينى خاصة فى منحوتات قصر برسبوليس ، حيث يشاهد اسد مجنح ينقض على ثور ، وهو صورة رمزية للاله مترا احد أعوان اهورا مزدا وهو ينقض على أعدائه ، والمنظر كله يشير الى انتصار الخير على الشر ، وقد انتقـل

=

وقد زخرفت الطيور بحزوز دقيقة وتفاصيل كثيرة توضح الريش والرأس ، وتضم تلك الزخارف جميعها عدة أشرطة متتابعة ، تشكل حافة الترس من الخارج وهى أشرطة مكونة من خراطيش مستطيلة ، وأخرى دائرية بالتناوب ، وتنفرد الخراطيش المستطيلة بمناظر صيد وقنص وفرسان تطارد حيوانات مفترسة كالنمر وأرانب جبلية وغزلان (لوحة ٦) •

بينما تزين الدوائر الصغيرة زخارف كتابية بها لفظ الجلالة « الله » كما يزين حافة الترس اطاران يزخرفهما فروع نباتية وأوراق ثلاثية وثمار الرمان والتفاح •

ومن الملاحظ أن الفنان جنح إلى زخرفة الأوراق النباتية المتلاحمة بحافة الترس بأسلوب تهشيرى مما أخرج هذه الاوراق النباتية فى هيئة أسماك[١٣] صغيرة تلتف حول زخارف الترس •

=

هذا الاسلوب الى الفن المسيحى ، ورمز اليه بالقديس سان جورج يقتل التنين كرمز لانتصار الخير على الشر ، نعمت اسماعيل : فنون الشرق الاوسط والعالم القديم — دار المعارف ١٩٨٤ ، ص ٢٥٠ .

Pope (A. U.) : A Survey of Persian Art. V. 4, Pl. 95.

(١٢) يرمز النسر الى القيامة وكذلك الى السيد المسيح وكذلك الى هؤلاء الذين يتصفون بالعدل والشجاعة والايمان . جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها ، ص ١٠٩ .

(١٣) يرمز السمك الى السيد المسيح . لأن الخمسة حروف الأولى من اسم المسيح باليونانية تكون كلمة (سمك) : جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها ، ترجمة د. يعقوب جرجس نجيب ، ص ٥٩ .

ثالثا ــ واقيــة ذراع :[١٤]

واقية الذراع من النحاس ، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل ، مقوسة بقدر يتناسب مع شكل ظهر الساعد نفسه ، فيضيق جهة الرسغ ، ويتسع جهة الكوع ، ويرتبط بهذه القطعة الكبيرة قطعتان صغيرتان مستطيلتان تحيطان بالرسغ نفسه ، وتتصل القطع الثلاث بعضها ببعض عن طريق حلقات معدنية ، وزخارف الواقية مقسمة الى ثلاث مناطق زخرفية كبيرة ، وجامة محددة بفروع نباتية ملتفة ، وأوراق نباتية ومراوح نخيلية ، وتحوى المناطق فى مركزها صــلبانا بارزة ومذهبة من نفس الصلبان السابق الاشارة اليها على الخوذة والترس ، وعلى جانبيها تتواجد عناصر آدمية فى أوضاع متماثلة ، سواء من حيث الجلسة ، أو الوجه الثلاثية الأرباع ، وحتى فى شكل الزى .

بينما الجامة زخرفت بمنظر صيد ، ويلتف حول الواقية اطار زخرفى مقسم الى جامات ودوائر مزخرفة فى داخلها بعناصر نباتية

---

(١٤) رقم التحفة بالمتحف القبطى ١٥٨١ . وتعتبر الواقية جزءا من اجزاء الدرع ، والدرع فى اللغة ثوب من الحديد ، والجمع دروع ويقال للدرع ايضا زرد او زردية ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٤٣٥ . ويعتبر الدرع من اهم وسائل الدفاع واسلحته ، وهو رداء حربى من الحديد ، وقد يكون طويلا على هيئة معطف ويغطى معظم جسم المحارب ، أو قصيرا على هيئة قميص يغطى الجزء العلوى . والواقيات من أهم مكونات الدرع ، حيث يرتديها المحارب لوقاية رأسه وساعديه ورجله ، وقد تكون هذه الواقيات متصلة بالدرع او منفصلة عنه ، ولكنها تعتبر على اى حال جزءا مكملا للدرع ، ولها اهميتها فى وقاية ايدى المحارب وساقيه .

حسين عبد الرحيم عليوة : سلاح المحارب ، ص ٣٧ ، ٣٣١ . محمود نديم احمد فهمى : الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى ، دار المعارف ١٩٨٣ ، ص ٥١ . وقد عرف المسلمون هذه الواقيات فى بلاد فارس بعد فتح المدائن . عبد الرؤوف عون : الفن الحربى ، ص ١٨٥ .

وثمار التفاح[١٥] .

وتثبت فى طرف الواقية الكبيرة ابزيمات لربطها بساعد المحارب . ويلاحظ أن الواقية مزودة ببطانة داخلية لتفادى احتكاك صفائحها بجسم المحارب[١٦] .

اسـلوب الصـناعة :

ولقد نفذت الزخارف على هذه التحف الثلاث بطريقة الزخرفة بالحز والحفر واستعمال مادة النيلو السوداء[١٧] لاظهار التفاصـيل الدقيقة للزخارف .

كما استعملت طريقة الزخرفة بالتكفيت بالذهب[١٨] ، ويلاحظ أنه

---

(١٥) يرمز التفاح أيضا الى السيد المسيح وهو آدم الجديد الذى دفن بنفسه خطية آدم وخلصه منها ولذلك فهى ترمز كذلك الى الخلاص .

جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها ، ص ٢٧ .

(١٦) حسين عبد الرحيم عليوة : سلاح المحارب المصرى ، ص ٣٣١ .

(١٧) اسلوب زخرفى قريب الشبه بالتطعيم ، وقوامه حفر الرسوم على جسم الاناء ثم ملء هذه الأجزاء المحفورة بمركب مرتفع الحرارة مكونا من نحاس ورصاص وورق وكبريت وملح ونوشادر ، وبعد أن يبرد المركب يلمع فنجد تكفيتا أسود اللون على أرضية فاتحه .

د. جمال محمد محرز : المعادن الايرانية فى متحف الفن الاسلامى ، ص ٤١ .

(١٨) التكفيت طريقة زخرفية يقال انها ازدهرت فى شرق ايران فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، وانتشر منها الى بلاد الجزيرة وخاصة فى بلاد الموصل ، ثم انتقل منها الى الشام ومصر .

د. عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الاسلامى ، ص ١٨٤ .

وتتلخص عملية التكفيت (التنزيل) فى نقش الزخارف المراد تنفيذها على سطح القطعة المراد زخرفتها ثم تحدد خطوط الزخارف بالحز ، ثم تحفر

=

فى كل من الترس والخوذة استعملت طريقة اللحام[١٩] والبرشمة[٢٠] فى اضافة بعض الأجزاء الى كل منهما ، كما يلاحظ أن هذه الأجزاء المضافة من نفس مادة النحاس التى صنع منها كل من الترس والخوذة والواقية[٢١] .

=

بآلة حادة كالأزميل أو قلم الحفر ، وتملأ الشقوق بواسطة الضغط أو الطرق الخفيف بمطرقة خاصة .

د. حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٢ ، ص ٩٧٤ .

Lane Pool (S) : The Art of the Saracens in Egypt London 1886, p. 157.

(١٩) طريقة اللحام هى طريقة تستخدم فى تثبيت بعض أجزاء الأسلحة المعدنية وهى احدى الطرق المعروفة منذ القدم ، وتتم بواسطة تسخين الأجزاء المراد تثبيتها ، وعند وصولها الى درجة حرارة مناسبة يتم الجمع بينهما ، ويطرق مكان الجمع حتى يتم اللحام .

حسين عبد الرحيم عليوة : سلاح المحارب ص ، ١٢٥ .

(٢٠) البرشمة من العمليات الصناعية التى تمر بها معظم أنواع الاسلحة المعدنية ، وذلك لتثبيت الأجزاء المكونة لبعض أنواع الاسلحة كما هو الحال فى تثبيت الواقيات التى تلحق ببعض الخوذ ، وتمر الاسلحة بعدة عمليات ، وهى عمليات الحدادة ، والبرشمة ، واللحام ، والطلاء لمنع الصدأ .

حسين عليوة : المرجع السابق ، ص ١٢١ ، ١٣٢ .

(٢١) كانت صناعة التروس من الحديد فى اغلب الأحيان ، سواء فى مصر المملوكية أو الفترة المعاصرة فى كل من الشام وايران وتركيا والهند . غير أن بعض التروس التركية كانت تصنع من النحاس ، ويوجد ترس من نفس المادة يحتفظ به المتحف العسكرى باسطنبول يرجع الى القرن ١٦ — ١٧ م . المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ . اما فى ايران فقد استعملت مادة النحاس الاحمر والاصفر بكثرة فى العصر الصفوى لصنع الاسلحة . د. زكى محمد حسن : الفنون الايرانية، ص ٢٥١ .

التحليـــل :

وبتحليل هذه العناصر الزخرفية التى اشتملت عليها هذه الآلات الثلاث يتضح انها تحتوى على :

١ ـ عناصر آدمية .

٢ ـ عناصر حيوانية وطيــور .

٣ ـ عناصر نباتيـــة .

٤ ـ عناصر كتابيـــة .

٥ ـ عناصر رمزية مســيحية .

أولا ـ العناصر الآدميـــة :

عند تحليل العناصر الآدمية على التحف نجد أن أحجامها اختلفت باختلاف المساحات الموضحة عليها . كما تباينت الأعمار فنجد أشخاصا يبدو عليهم الفتوة والشباب (لوحـــة ٣) وآخرين فى ســـن الكهولة (لوحة ٤) ، ومن الملاحظ وجود سيدة صغيرة فى مقتبل العمـــر جالسة بين الرجال الموضحين على الترس .

كما تنوعت حركات الأيدى ، فمنهم من ترك ذراعيه فى انسيابية وليونة تستقر على ركبته أو فخديه (لوحة ٤) فى حين يمســـك الآخر بقيثارة يعزف عليها (لوحة ٤) وآخر يرفع يده بكأس أو ثمـــرة (لوحة ٢) ومنهـــم من يقبض بيـــده على صـــولجان أو دبوس(٢٢) (لوحة ٥) .

ويراعى أن الملابس على الأشخاص تنوعت ما بين القبــــاء

---

(٢٢) الدبوس : احد الاسلحة الهجومية المعدنية . وقد جاء فى تعريف الدبوس فى المعاجم اللغوية انه عمود على شكل هراوة . والجمع دبابيس . المعجم الوسيط : جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

المقفول على الصدر ، والحزام الذى يتمنطق به الأشخاص ، فى حين أن بعض الجالسين يرتدون ثيابا ذات أكمام فضفاضة وذات طيات متعددة . الا أن بعض الأشخاص يرتدون ثيابا ذات طابع أوربى كما هو موضح (لوحة ٤) . أما السيدة فيغطى رأسها غطاء رأس التف حول جسدها ورأسها معا.

أما العناصر الآدمية التى وجدت بداخل الخراطيش المستطيلة بكل من أطراف الترس والخوذة والواقية فتتميز بالحركة الشـديدة والحيوية البالغة ، حيث توجد مناظر صيد وقنص ، فتحوى أشخاصا يمثلون فرسانا يمتطون صهوة جيادهم ، ويحملون اما سـهاما وأقواسا(٢٣) يصـوبونها نحو الحيوان المطـارد ، أو سـيوفا مقوسة(٢٤) . وقد تنوعت الحركات فى خفة ومهارة وحيوية فنجد منهم من ترجل على قدميه استعدادا للتصويب نحو الحيوان ، ومنهم من انتهى بالفعل من اطلاق سهامه ، وينظر فى اهتمام ليرى نتيجـة تصويبه ويلاحظ أن الأشخاص بالتحف السابقة يجلسون على الساق بعد ثنيها الى الخلف .

وهذه الجلسة نشاهدها بكثرة فى تصاوير المدرسة الصـفوية

---

(٢٣) يعتبر استخدام القوس والسهم فى الادوات الحربية من العناصر الهامة فهو يعتبر من الاسلحة ذات المدى البعيد عند الرمى فضلا عن اعتبارات اخرى عديدة . وللقوس اجزاء ذات مسميات مختلفة أطلقها العرب عليها ، كما للسهم أسماء مختلفة تختلف بحسب أشكاله واهميته .

صلاح العبيدى : القوس والسهم على الآثار العربية الاسلامية فى العصر العباسى ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، طبعة ١٩٨٠ ، ص ١ — ٢ .

(٢٤) شاع استخدام صور الحيوانات وخاصة الاسد على نصال السيوف الايرانية فى العصر الصفوى وكان يرسم واقفا وذيله مرفوع الى اعلى داخل اطار دائرى او مستطيل .

حسين عليوة : سلاح المحارب ، ص ٣٢٦ .

الايرانية • كما ارتد الرجال أغطية رؤوس متنوعة منها القلنسوة أو التيجان التى تحمل بعض الريش أو الشارات •

ثانيا — العناصر الحيوانية :

أما العناصر الحيوانية فقد برزت متنوعة ورشيقة ، وكان أكثرها ظهورا « الخيول » فهى اما متدابرة أو متلاحقة أو متقابلة وتتميز بتناسق أعضاء الجسم وتجانسها • كما ظهرت الحيوانات المفترسة وخاصة الأســـد أوالنمر أو الفهد الذى ظهر بداخل الخراطيش المحيطة بالترس ، وهو يلتفت الى الخلف ويرفـــع ذيله فى حـــركة وحيوية ، كما وجدت الغزلان والأرانب الجبلية ، والنسر[٢٥] الذى ينقض على أوزة صغيرة استسلمت فى ضعف •

ويلاحظ أن كثرة التفاصيل الزخرفية أفقدت المنظر طابع القسوة ، وأبعدته عن روح العنف الذى يسود عادة مناظر الانقضاض •

كما صور التنين[٢٦] فى مركز الترس بداخل دائرة ، وقد شهدت

---

(٢٥) من المرجح وجود استعارة تصويرية يقصد منها اشاعة الحماس فى روح المحاربين الذين يرتدون هذه القطع أثناء الحرب ، حيث انه يشبه النسر الذى ينقض على أعدائه أثناء حروبه معهم للنيل منهم والفتـــك بهم ، وقد كان صناع السلاح يطبعون بعض الآيات والاشعار التى تحمل البشرى بالنصر لهم على التروس والخوذات والسيوف ، أو تبشرهم بالجنة وما يلقونه من نعيم •

د. عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الاسلامى ، ص ١٩٠ .

(٢٦) التنين : حيوان خرافى استعاره الصينيون القدماء كشارة من شارات الملك ، ومع ورود تأثيرات من الشرق خاصة من الصين ، مع قدوم المغول ، وردت تلك التأثيرات الفنية واستعار المسلمون تلك العناصر دون التمسك بمعانيها واعتبارها عناصر زخرفية زينو بها معظم منتجاتهم الفنية فى العصر السلجوقى أو المغولى .

د. زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٥٣ .

Stocklein : Arms and Armour (Pope : Survey of Persian Art.), Vol. 3, pp. 2464 — 2565 Vol. 6, PI 1411 — 1412.

ايران بصفة خاصة ، وبلاد الجزيرة بصفة عامة استخدام العناصر أو الكائنات الحية فى زخارف الاسلحة والمنتجات الأخرى ، وتمثل أهم عناصر الزخرفة بها .

ثالثا — العناصر النبـــاتية :

وقد تمثلت العناصر النباتية بكثرة على التحف السابقة موضوع البحث ، ويلاحظ أن العناصر النباتية قد صيغت بشكل هندسى قوامه فروع منحنية ملتفة ، يتصل بعضها ببعض ، مع مراعاة مبدأ التقابل والتوازن ، وتكون ما يشبه عنصر شجرة الحياة المتمثلة فى وجـــود فازات تخرج منها فروع وأزهار وثمار رمان[٢٧] وتفاح وقد نثرت بكثرة على أرضيات القطع وجعلت كخلفية للعناصر التصويرية ولملء الفراغ بين العناصر .

رابعا — عناصر كتابيـــة :

وجد لفـــظ « الجلالة » بشكل زخرفى وبالخط الكوفى بداخـــل دائرة صغيرة تنحصر بين الخراطيش التى تحيط بحافة الترس .

---

(٢٧) اعتاد الأتراك السلاجقة فى آسيا الصغرى على رسم ثمـــار الفاكهة كموضوعات زخرفية ثانوية تحيط بالعناصر الزخرفية الاساسية لتحفهم ، وثمار الرمان تعبر عند الاتراك عن معانى رمزية ، حيث يعتبرونها فاكهة من فواكه الجنة .

د. سعاد ماهر : الخزف التركى ، ص ٧٧ — وتعتبر ايضا رمزا للحياة الأبدية عند سلاجقة آسيا الصغرى .

Akurgal (Ekrem) : L'Arten Turgule 1981, p. 180 — 181.

ويرمز الرمان فى الفن المسيحى الى الكنيسة بسبب اتحاد حبوب الرمانة داخل غلافها كما اتخذتها المسيحية رمزا للقيامة بعد الموت .

جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها ، ترجمة د. يعقوب جرجس نجيب ، ص ٥٢ .

خامسا – عناصر رمزية مسيحية :

ظهرت عناصر رمزية مسيحية هامة وكثيرة على التحف موضوع البحث أولها وأهمها وجود صلبان متساوية الساقين ومتعددة الرؤوس على كل من الترس والخوذة والواقية ، من المعروف أن الصليب[٢٨] هو الشارة الخاصة بالدين المسيحى بصفة عامة . وقد اهتم الفنان بابراز هذه الشارة وتوضيحها على التحف بتضخيم حجم الصليب وتوزيعه على مسافات متساوية وبتكفيته بمادة الذهب مما جعـله متميزا عن كافة العناصر الزخرفية على التحف .

ولعل من أهم المناظر المسيحية على التحف منظر الفارس على مركز الترس وهو يقبض على رقبة التنين ، ويشهر سـيفه . وفى اعتقادى أن هذا الفارس يمثل أسطورة القديس الفارس . وقد أحاط هذا المنظر المسيحى بالصلبان الاربعة مما يؤكد أهمية الطابع الدينى المسيحى على هذه التحف . ومن المعروف أن قصة القديس الفارس كان لها دورها الهام على التحف المختلفة فى مصر بالذات منذ القرن الرابع الميلادى حيث وجدت على مواد مختلفة كالحجر والمنسوجات وغيرها فى فترات متعاقبة .

ومن الرموز المسيحية التى ظهرت أيضا على التحف « الأسماك » والتى ترمز الى السيد المسيح ، وكذلك « النسر » الذى ينقض على الطائر والذى يرمز أيضا الى القيامة والى السيد المسيح رمز العدل والشجاعة والايمان ، وكذلك « التفاح » الذى نثر على أرضـية

---

(٢٨) الصليب من أقدم الرموز استعمالا منذ القرن الثالث حين اصبح الرمز الكامل للمسيح لانه ضحى بنفسه من أجل البشر وللصلبان أنواع منها الصليب اليونانى ذو الأربعة اضلاع متساوية ويستعمل للدلالة على تضحية المسـيح .

جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ، ص ٧١ .

التحف والذى يرمز الى الخلاص ، و « الزمان » الذى يرمز الى القيــامة .

ولعل هذه العناصر الزخرفية والرموز المسيحية تشير الى احتمال صنع هذه التحف خصيصا من أجل شخصية عسكرية مسيحية أو قبطية بارزة .

ولكن للأسف لم ترد على تلك التحف أى اشارة تدل على تاريخ « الصــنع » ولا « المكان » الذى تمت به الصناعة ، مع ملاحظــة أن المتحف القبطى قد احتفظ بها دون الاشارة الى مصدر الحصول عليها أو تحديد المكان الذى وردت منه ، مما يشكل صعوبة حقيقية فى تأريخها ونسبتها الى بلد معينة ولذلك فاننى أحاول جاهدة فى هــذا المقال تأريخ هذه التحف ونسبتها الى بلد صناعتها معتمدة فى ذلك على التحليل العلمى للزخارف المختلفة ، ومقارنة القطع المراد تأريخها بقطع أخرى مماثلة ومشابهة لها فى الشكل العام والاسلوب التطبيقى والزخرفى ، والمؤرخة والمحفوظة فى بعض المتاحف أو المنشورة ببعض المراجــع .

أولا ــ بالنسبة للشــكل العــام :

الخوذة المزودة بجراب معدنى يتقدمها ويتخذ شــكلا أنبوبيا رفيعا مفرغا من الداخل ، ويوضع الى يمين الأنفية والى يسارها والذى يثبت بواسطة صفيحة مفصصة تستعمل كقاعدة للجراب بواسطة مسامير برشام معدنية . هذا الجراب المخصص لوضع ريشة أو شعر ملون أو شارة معينة خاصة بالسلطان أو صاحب الخوذة أو الفرقة العسكرية شاع هذا الاسلوب فى الخوذ الايرانية والتركية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادى[٢٩] ، وخاصة ايران حيث

---

(٢٩) Robinson : Oriental Armour, pp. 30 — 65.

شـــاع اســـتخدام الخوذات المزودة بجرابين صـــغيرين يتقدمان الخوذة[٣٠] .

١ ــ وتوجد خوذة مشابهة ومماثلة للخوذة المراد تأريخها من حيث الشكل العام والزخارف محفوظة بمتحف بورث دى هـــال ببروكسل[٣١] . وهى خودة نصف كروية مزخرفة بالتكفيت بالذهب بحافتها السفلى منظر صيد الى جانب كتابة تشير الى أنها من عمل صانع اسمه « حاجى » ومؤرخة بعـــام ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م ، ومن كتابتها ما يفيد انها صنعت للسلطان القاجارى فتح على شاه[٣٢] لوحة (٩) .

٢ ــ خوذة أخرى مماثلة ومشابهة للخوذة المراد تأريخها من حيث الشكل العام والزخارف أيضا .. وهى محفوظة بالمتحـــف البريطانى بلندن[٣٣] ، ومؤرخة سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م عليها كتابة باسم الشاه عباس الصفوى وهى من الصلب المكفت بالذهب (لوحة ١٠) .

٣ ــ خوذة مماثلة ايرانية يحتفظ بها متحف طوبقابوسراى باسطنبول وترجع الى القرن السادس عشر الميلادى ، بها مناظر صـــيد

---

(٣٠) Wilkinson : Let Iook at Arms and Armour, p. 9.

(٣١) Pope : A Survey of Persian Art, Vol. VI, pp. 145 — 9.

(٣٢) احمد محمد توفيق الزيات : الازياء الايرانية فى مدرسة التصوير الصفوية وعلى التحف التطبيقية ــ رسالة ماجستير ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١٨٠ .

(٣٣) د. زكى محمد حسن : اطلس الفنون الزخرفة والتصـــاوير الاسلامية ، شكل ٥٥٠ .

وقنص وانقضاض وتضم رسوم عدة أسلحة مما كان يستخدم في الصيد كالسيوف والخناجر والدروع[٣٤] .

٤ — اما الواقية ، فقد انتشرت مثيلاتها فى معظم البلدان ، وخاصة فى مصر فى العصر المملوكى ، وايران فى العصر الصفوى ، وكذلك فى تركيا فى العصر العثمانى . ويحتفظ المتحف البريطانى بواقية ساعد من هذا النوع ، وتشبه تماما الواقية المراد تأريخها وهى مؤرخة بعام ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٦ م وتحمل اسم الشاه عباس الصفوى[٣٥] .

٥ — الترس بزخارفه وشكله العام ، يماثله تماما ترس آخر من الحديد ، محفوظ بالمتحف الوطنى بصنعاء ، ويرجع الى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وبه زخارف أدمية وحيوانية ونباتية وأهله ومناظر صيد[٣٦] .

٦ — يستدل من السيف المقوس الذى يشهره الفرسان بزخارف الترس المراد تأريخه ، بأنه السيف المعروف باسم « الشمشير »[٣٧] والذى عرف فى ايران فى العصر الصفوى .. وقد استخدم فى هذا العصر عوضا عن السيوف العريضة التى كثرت فى العصر التيمورى[٣٨] .

---

(٣٤) حسين عبد الرحيم عليوة : سلاح المحارب ص ٣٧٦ لوحة ٣١ سجل رقم ١/٣٤٨ بمتحف طوبقابوسراى باسطنبول .

(٣٥) Pope : Asurvey of Persian Art, Vol. VI, Pl. 1429.

(٣٦) د. مصطفى عبد الله شيحة : مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية فى الجمهورية اليمنية سنة ١٩٨٧ م ، لوحة ٦٦ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ رقم السجل بالمتحف الوطنى ٧٨٥ .

(٣٧) د. سعاد ماهر : مشهد الامام على بالنجف — دار المعارف ، ص ٢٨٦ .

(٣٨) د. سهيلة الجبورى : السيف الاسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦٩ ، ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .

ثانيا ـ بالنسـبة للزخارف :

يلاحظ أن هناك عدة عناصر زخرفية على التحف السابقة نستطيع من خلال دراستها أن نستدل منها على التاريخ ومكان الصنع .. من هذه العناصر :

١ ـ جلوس الأشـخاص :

فى وضع جانبى مع ثنى الساقين الى الخلف ، وبتتبع هـذه الجلسة فى تصاوير المخطوطات بالعصور المختلفة ، فنلاحظ انها ظهرت خلال تصاوير الاشخاص بالمدرسة التيمورية بايران منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادى وخاصـة فى تصـاوير مخطـوط من منظومات « خواجو كرمانى » المـؤرخ سـنة ٧٩٩ هـ ومحفـوظ بالمتحف البريطانى(٣٩) .

كما استمرت تلك الجلسة فى تصاوير مخطوطات القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادى ، فظهرت بشكل أوضح وتفاصيل أدق بتصاوير مخطوط بستان سعدى المؤرخ سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨ م والمحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة للمصور بهزاد خاصة فى صورة فقهـاء يتجادلون(٤٠) .

ويتضح بشكل جلى ذلك الوضع فى تصاوير المدرسة الصـفوية الأولى على سبيل المثال بمخطوط المنظومات الخمس لنظامى المؤرخ سنة ٩٤٦ هـ / ٩٥٠ هـ بالمتحف البريطانى وخاصة فى صورة تمثـل الطبيبان المتناظران(٤١) .

---

(٣٩) د. حسن الباشا : التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٣ — ٢٨٨ .

(٤٠) د. زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية ، شكل ٨٣٨ .

(٤١) المرجع نفسه ، شكل ٨٥٢ .

وتصويره للمصور شيخ زاده من القرن السادس عشر الميلادى المحفوظ فى مجموعة كارتييه[٤٢] .

وقد وصلت هذه الأوضاع بجلسات الأشخاص فى تصاوير المدرسة الصفوية الثانية الى قمة النضج ودقة الوضوح خاصة فى صورة :

— رجل جالس وترجع الى عام ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م بمجموعة رابنو[٤٣] .

— ضرب « بالفلقة » وهى للمصور محمد قاسم سنة ١١١٤ هـ / ١٧٠٣ م ، بالمتروبوليتان[٤٤] .

٢ — الأرضية المزهرة :

تناثرت حول العناصر الزخرفية الآدمية بالتحف السابقة ، مجموعات لحزم نباتيه محوره ، وبعض الفاكهة مثل التفاح والرمان وزعت بتوازن وتناسق وتنغيم ، زاد من وحدة العناصر وجمالها ، وشغل فى نفس الوقت الفراغ الموجود بين تلك العناصر .

وبالرجوع الى أهم المدارس التصويرية التى عنيت برسم العناصر الزخرفية المختلفة فى تناسب وتوازن وزخرفة ، مع الاهتمام بكسوة أرضية ، التصويره بوحدات زخرفية من أزهار وفروع نباتية محوره موزعة توزيعا منغما وجدنا أن المدرسة التيمورية التى انتشرت فى أنحاء ايران فى القرن الخامس عشر الميلادى وخاصة فى كل من مدينة بغداد

---

(٤٢) المرجع نفسه ، شكل ٨٥٨ .

(٤٣) المرجع نفسه ، شكل ٨٨٩ .

(٤٤) المرجع نفسه ، شكل ٨٩٣ .

وتبريز وشيراز وهراة(٤٥) ، هى المنبع الأول الذى استقى منه الفنان الذى قام بعمل تلك التحف عناصره الزخرفية .

٣ ـ غطاء الـرأس :

مما يلفت النظر الى غطاء الرأس فى أشخاص الترس والواقية والخوذة أنه غالبا ما يحمل ما يشبه العصا أو الريشة وأحيانا العصا والريشة معا ، وأحيانا ينسدل منه عصابة طائرة الى الخلف .

ويلاحظ أن هذا الغطاء المميز يشبه الى حد كبير العصا التى درج فنان مدرسة التصوير الصفوية الأولى الايرانية ـ التى انتشرت خلال القرن السادس عشر الميلادى ـ على وضـعها فى عمامة أشخاصهم بالتصاوير ، والتى يبرز من أعلاها طرف مدبب ، وأحيانا تخرج منها عصا حمراء أو سوداء أو ريشة . الا أن هذه العمامة كانت فى بداية العصر الصفوى شعارا لامراء الدولة الصفوية وأتباعهم ، ثم قل وجودها تدريجيا ، ثم صار وجودها نادرا فى التصاوير التى رسمت بعد وفاة الشاه طهماسب سنة ١٥٧٦ م(٤٦) .

كما كانت العصابة الطائرة من أهم العلامات المميزة للرسـوم الساسانية القديمة ثم انتقلت الى الدولة الاسلامية فى بداية عهدها .

الا أننا نرى فى نفس الوقت غطاء رأسى مختلف تماما به طابع أوربى واضح . وهذا الطابع الأوربى لا يتضح فقط فى غطاء الرأس بل أيضا فى الوجوه أو السحن وأيضا فى الملابس الفضفاضة ذات الطيات الكثيفة .

---

(٤٥) د. حسن الباشا : التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٤٦) د. زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية ، ص ٥٣٣ ، شكل ٨٥٢ .

٤ — الرســـوم التصويرية :

الرسوم التصويرية التى وجــدت على التحف السابقة والتى تصور مجالس الطرب أو مجالس الشراب أو الصـــيد أو القنص أو الانقضاض ، كلها مناظر ورسوم انتشرت أيضا فى سائر ميادين التحف التطبيقية فى ايران خاصة على السجاد والمنسوجات والخزف خلال القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[٤٧] .

(أ) ومن أمثلة ذلك ورود قطعة نسيج من القطيفة ، أرضيتها مغشاه بالخيوط المعدنية ، تنسب الى مدينة يزد من القرن ١١ / ١٧ م محفوظة فى رجستان كيف بكوبنهاجن[٤٨] وتحمل رسوم مناظر تصويرية كالتى وجدت على زخارف الترس والخوذة .

(ب) كما وردت أيضا على معطف حريرى من الديباج مناظر تصويرية للاسكندر يقتل التنين ، وترجع الى القرن ١٠ هـ / ١٦ م ومحفوظة بمتحف موسكو[٤٩] .

وأخيرا وبعد هذه المقارنات ومحاولة إيجاد أوجه التشابه بين تلك التحف المراد تأريخها ، والتحف المختلفـــة التى أوردت أماكن الاحتفاظ بها ، وكذلك بعد توضيح كل العناصر الزخرفية المختلفـــة وتشابهها مع مثيلاتها من نفس العناصر وجدت بتصـــاوير اسلامية تابعة للمدارس الايرانية ، وأيضا بعد اظهار الطابع المسيحى ورموزه على التحف موضوع البحث فاننى أحاول ارجاع هذه التحف — من وجهة نظرى الشخصية — الى ايران فى العصر الصفوى فيما بين

---

(٤٧) د. زكى حسن : الفنون الايرانية ، ص ٤٠ — ٤١ .

(٤٨) Pope : A Survey of Persian Art VI, PI. 1459.

(٤٩) Gluck and Diez : Die Kunst des Islam, p. 362.
Kuhnel (Ernst) : Die Islamische Kunst, Tafel XI p. 505.

القرنين السابع عشر الميلادى والنصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى وذلك لغلبة الطابع الأوربى المسيحى على التحف مستشهده فى ذلك بسير الأحداث التاريخية التى سجلت :

أولا : النهضة الفنية التى شهدتها ايران فى عهد الشاه عباس الأكبر الذى تولى الحكم فيما بين عام ٩٨٥ — ١٠٣٨ / ١٦٢٩ م ، والذى نهض بالجيش الصفوى وفرقته الجديدة[٥٠] وشجع صناع الأسلحة والصياقلة ومن أشهرهم « أسد الله الأصفهانى » و « محمد زمان الأصفهانى » و « صادق ابراهيم المشهدى » الذى وجد اسمه منقوشا على خوذة تحمل شعار الشاه طهماسب ١٥٦٢ — ١٥٧٥ م فى متحف أسطنبول[٥١] ونظرا لوفرة المعادن بالهضبة الايرانية ، وتشجيع الشاه لصناع السلاح المهرة ، فقد ازدهرت صناعة الأسلحة ازدهارا لم يسبق له مثيل وتألقت صناعة التكفيت بالفضة والذهب[٥٢] .

ثانيا : ظهور التأثيرات الأوربية المسيحية الواضحة فى كل من المجتمع والجيش والفن الايرانى نتيجة الاهتمام بتوثيق العلاقات السياسية والتجارية مع الدول الأوربية ، فقد أدرك الشاه عباس أنه لن يستطيع مناهضة الدولة العثمانية الا بالتعاون مع أعدائها الأوربيين ، ولهذا اتصل بجميع ملوك أوربا وحاول عقد كثير من المعاهدات بينه وبينهم .

وقد استقبل رسل ملوك أوربا وتجارها فى ايران ، مما أدى الى زيادة عدد الأوربيين بالعاصمة أصفهان وغيرها من المدن الايرانية .

---

(٥٠) د. محمد سعيد عبد المؤمن : دراسات فى الحضارة والأدب الصفوى ١٩٧٥ ، ص ٢٣ .

(٥١) د. عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الاسلامى ، ص ١٠٣ .

(٥٢) د. زكى حسن : الفنون الاسلامية ، ص ٥٠ .

إعجاب الشاه عباس نفسه بالغرب المسيحى والميل نحو الحضارة الغربية والفنون الأوربية كان من أهم أسباب نفاذ التأثيرات الأوربية وتغلغل التقاليد الأوربية بايران • وكان لهذا الاعجاب أكبر الأثر فى تشجيع كثرة الوفود والبعثات الأوربية المسيحية التى كانت ترد الى إيران وخاصة البعثة البريطانية برئاسة الأخوين « أنتونى وروبرت شرلى »[٥٣] •

ونتيجة ذلك تغلغل التأثير الأوربى فى عدة جهات :

أولا — التأثير الأوربى داخل الجيش الصفوى :

أراد الشاه الاستفادة من خبرة أفراد البعثة البريطانية فى تدريب الجيش الايرانى ، واعادة تنظيمه حسب التنظيمات الأوربية الحديثة ، كما أشرف بعضهم على اقامة مصانع الأسلحة النارية بأصفهان[٥٤] •

ثانيا — التأثير الأوربى داخل البلاط الصفوى :

تشير المراجع الى أن الشاه عباس الثانى سنة ١٠٥٢ — ١٠٧٨ هـ ، استعان برسامين هولنديين هما « انجل » و « لوكار » ليعلماه الرسم ، فصار يجيده على يديهما[٥٥] •

كما تشير المراجع الى الاستعانة بالصناع الانجليز المهرة للعمل بالبلاط الصفوى[٥٦] •

والى دخول طبقة ممتازة من الحرفيين كانت تعمل فى المصانع

---

(٥٣) د. ربيع جمعة ، د. احمد الخولى : تاريخ الصفويين وحضارتهم ، جـ ١ ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٤٠٠ •

(٥٤) المرجع نفسه ، ص ٤٠٥ •

(٥٥) د. محمد السعيد عبد المؤمن : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ •

(٥٦) المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ •

الملكية ، وأن هـؤلاء الحرفيين الأوربيين كانوا موضـع عنـاية وحمـاية[٥٧] .

ثالثا — داخـل المجتمـع :

تغلغلت العناصر الأوربية المسيحية داخل المجتمع بأسره حين رحب الشاه ترحيبا بالغا بالمبشرين القادمين بصحبة عدد من البعثات الأسبانية من قبل فيليب الثالث والتى زارت ايران خلال سـنتى ١٦٠٢ — ١٦٢٢ م وسمح لهم بالعمل فى ايران ومنحهم تصاريح لبناء كنائس يؤدى فيها المسيحيون شعائرهم بحرية كاملة وبلا قيود[٥٨] .

رابعا — التأثير الأوربى داخل الفن :

كان الفن الايرانى الصفوى من أهم المجالات استيعابا للتأثيرات الأوربية خاصة فى مجال « التصوير الايرانى » فظهـر المصـور « رضا عباس » فى العصر الصـفوى الثانى رائدا لهـذه المدرسـة التصويرية ذات التأثيرات الأوربية الغربية المسيحية ، وكان منهجه الفنى هو اظهار التعبيرات النفسية ، ومراعاة قواعد المنظور ، واستخدام الحبر الشينى ، وقد تكاملت وارتقت تلك الأساليب التصويرية الفنية على يد الفنان « محمد زمان » الذى عاد من بعثته الدراسية الى أوربا حاملا معه التأثيرات الأوربية والتقاليد الغربيـة بعد اعتناقه للدين المسيحى . واهتم بابراز الموضوعات ذات القصـص المسـيحى فى صـوره[٥٩] .

---

(٥٧) المرجع نفسه ، ص ١٢٦ .

(٥٨) د. بديع جمعة ، د. أحمد الخـولى : المرجع السـابق ، ص ٤٠٥ — ٤٠٦ .

(٥٩) د. جمال محمد محرز : التصوير الاسلامى ومدارسه ، ص ١٧ .

وقد استمرت التقاليد الأوربية المسيحية فى الفن الايرانى فى العصر الصفوى حتى نهاية ١٧٣٩ م ، وامتدت الى العصر « القاجارى » الذى تلاه وكان من أهم مميزاته زيادة وضوح التأثير الأوربى مع التأثر بالأسلوب الهنــدى[٦٠] نتيجة تجاور العاصمة أصفهان لبلاد الهنـــد .

وكان لابد من الاشارة الى ظهور تأثير فنى وارد من « تركيا » أى من الدولة العثمانية على المنتجات الفنية الايرانية ، على التحف موضوع بحثنا ، تمثل فى وجود عناصر نباتية (ثمار الرمان) نثرها الفنان كخلفية للموضوعات الرئيسية على التحف ، وهذه الثمار محببة لدى الأتراك وترمز أيضا للحياة الأبدية والخلــود عند السلاجقة الأتراك .

والمراجع التاريخية تشير الى أن العدو الأول للدولة الصفوية هى الدولة العثمانية فى تركيا .. وقد ظلت الحروب قائمة بينهما طويلا . إلا أنه فى نفس الوقت استقدم الشاه عباس الصناع المهرة الذين كانوا يعملون لدى الدولة العثمانية خاصة فى مجال الأسلحة ثم ثاروا على الأتراك للعمل فى بلاطه بأصفهان حيث وصل عدد هؤلاء الصناع والعمال الأتراك أكثر من مائتى عامل تخصصوا فى صنع الأسلحة ، وخاصة المدفع والقوس والسهم والسيف[٦١] .

ونظرا لغلبة كل هذه التأثيرات الفنيــة الخارجية على التحف موضوع البحث والتى حاولت ارجاعها الى ايران فى العصر الصفوى خلال القرن السابع عشر الميلادى ولنصف الأول من القرن الثامن عشر

---

(٦٠) د. حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢٧٨ .

(٦١) د. محمد السعيد عبد المؤمن : دراسات فى الحضارة والأدب الصفوى ، ص ٢٣ .

فاننى أرجح أيضا أن تكون هذه التحف قد صنعت خارج مصر وتم شراؤها أو اهداؤها للشخص الذى وصلت اليه .

ونستطيع استنتاج عدة نقاط هامة من خلال دراستنا لهـذه التحـف :

١ ـ أنها الدليل المادى على استمرار نشاط المصورين فى العصر الصفوى وتطرق نشاطهم التصويرى الى ميـدان « المعادن » أيضا بعد أن كان مقصورا على النسيج أو السجاد أو الخزف .

٢ ـ حظيت المنتجات التطبيقية المعدنية وخاصة الأسلحة فى العصر الصفوى بكل عناية واهتمام ، فصنعت من أرقى المعادن وأنفسها وتفنن الصـانع فى زخرفتها بكل الطرق الزخرفية الموروثة ، والتى ابتكرها فى هذا العصر للوصول الى أرقى ما وصل اليه الفن التطبيقى والصـناعى .

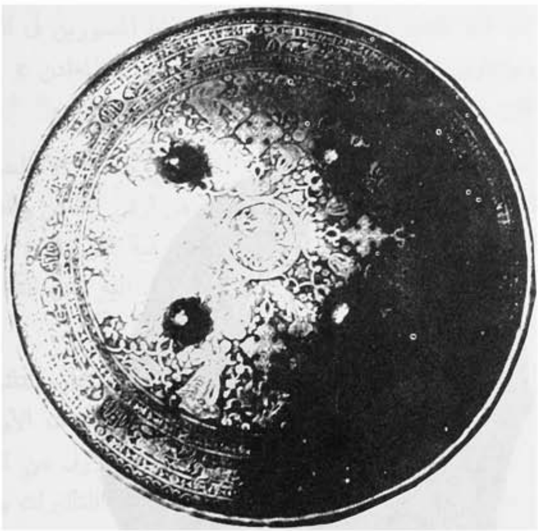
٣ ـ أن هذه القطع الثلاث الدليل المادى لانتشار التأثيرات الأوربية على التحف المعدنية بعد أن كانت هـذه التأثيرات الأوربية مقصـورة على المخطوطات الايرانية فى النصـف الأول من القرن السادس عشر ـ السابع عشر الميلادى . وكانت هذه التأثيرات وليدة الأوضاع السياسية والاقتصادية والتجارية فى العصر الصفوى .

٤ ـ لأول مرة تتجمع فى قطع فنية معـدنية صفوية عنـاصر زخرفية ذات تأثير أوربى مسيحى ، وتأثير اسلامى تركى وكان ذلك نتيجة حتمية لما اتبعه الشاه عباس من سياسة اسـتقدام الصناع الأتراك الى البلاط الصفوى .

٥ ـ تعتبر هذه القطع من التحف ذات القيمة الفنية العالية نظرا لأن الصانع أظهر بها لفظ الجلالة (الله) بطريقة زخرفية ، وجمع بينهما وبين الصلبان فى تحفة واحدة ، مما يجعلنا نرجح أن يكون الصانع فنان مسيحى أوربى متأثر بالأسلوب الاسـلامى واستطاع بذكاء أن يكيف شكل الصليب فى وضع زخرفى يخدم الموضوع ككل .



١ – خوذة نحاسية مكفتة بالذهب ترجع إلى إيران فى العصر الصفوى القرن ١٧ – ١٨ م بمتحف الفن القبطى .



٢ – ترس نحاسى مكفت بالذهب يرجع إلى إيران فى العصر الصفوي القرن ١٧–١٨ م بمتحف الفن القبطي .



٣- تفاصيل الترس السابق .



٤- تفاصيل الترس السابق



٥- تفاصيل الترص السابق



٦- تفاصيل من زخارف حلقة الترس السابق .



٧- تفاصيل من زخارف الترس السابق .



٨- واقية ذراع من النحاس المكفت من إيران العصر الصفوي القرن ١٧-١٨ م بمتحف الفن القبطي .



٩- خوذة مكفته بالذهب من عمل الصانع
حاجي مؤرخه ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م
محفوظة بمتحف بورت دي هال ببروكسل

Survey of Persian Art Vol. VI pl. 145 A.



١٠- خوذة من الصلب المكفت بالذهب
عليها كتابه باسم الشاه عباس الصفوي
من سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م . محفوظة
بالمتحف البريطاني بلندن
د/ زكي محمد حسن :
اطلس الفنون الزخرفية شكل ٥٥٠



١١- واقية ذراع للشاه عباس سنة ١٠٣٥ هـ /١٦٢٦ .
بالمتحف البريطاني .

Survey of Persian Art Vol. VI pl . 1429

المراجـــع العــربية

١ ـــ ابن منظـــور : جمال الدين محمد بن مكرم ـــ ت ٧١١ هـ •
لســـان العرب ـــ بيروت ١٩٥٤ م •

٢ ـــ ابن منكلى : محمد بن منكلى الناصرى ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م •
الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ـــ ميكروفيلم بمعهـــد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١ فروسية •

٣ ـــ ابن هـــذيل : على عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى ت ١٣٨٠ هـ •
حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن ـــ القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م •

٤ ـــ أحمد محمد توفيق الزيات : الأزياء الايرانية فى مدرســـة التصوير الصفوية وعلى التحف التطبيقية (دراســـة أثرية فنية) رسالة ماجستير ١٩٨٠ •

٥ ـــ الحسن بن عبد الله بن محمد : آثار الأول فى تدبير الدول ـــ القاهرة سنة ١٢٩٥ هـ •

٦ ـــ الاقصرائى : محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفى ت ٨ هـ / ١٤ م •

نهاية السؤال والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٣٨ •

٧ ـــ بديع جمعة (دكتور) ، أحمد الخولى (دكتور) ـــ تاريخ الصفويين وحضارتهم ، القاهرة ١٩٧٦ م •

٨ ـــ جمال محمد محرز (دكتور) : التصوير الاسلامى ومدارسه •
سلسلة المكتبة الثقافية ـــ العدد ٦١ الصادر سنة ١٩٦٢ م •
المعادن الايرانية فى متحف الفن الاسلامى • دراسات فى الفن الفارسى بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الامبراطورية دار التأليف والنشر ١٩٧١ م •

٩ ــ جورج فيرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها ــ ترجمة د٠ يعقوب جرجس نجيب ــ تقديم د٠ زاهر رياض ١٩٦٤ م ٠

١٠ ــ حسن الباشا (دكتور) : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ــ ٣ أجزاء ــ دار النهضة العربية ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ م ٠

ــ مدخل الى الآثار الاسلامية ــ دار النهضة ١٩٧٩ ٠

١١ ــ حسين عبد الرحيم عليوه : سلاح المحارب المصرى فى عصر المماليك ــ رسالة دكتوراه ١٩٧٤ ٠

١٢ ــ زكى محمد حسن (دكتور) :

ــ الفنون الاسلامية ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م ٠

ــ الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ــ القاهرة ١٩٤٠ م ٠

ــ أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ــ القاهرة ١٩٦٥ م ٠

١٣ ــ سعاد ماهر محمد (دكتور) :

ــ مشهد الامام على بالنجف وما به من الهدايا والتحف ــ دار المعارف ١٩٦٨ م ٠

ــ الخزف التركى ١٩٧٧ م ٠

١٤ ــ سهيلة الجبورى : السيف الاسلامى ــ مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد ٠

١٥ ــ صلاح العبيدى : القوس والسهم على الآثار العربية الاسلامية فى العصر العباسى ــ مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد ــ طبعة ١٩٨٠ م ٠

١٦ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :

ــ السيف فى العالم الاسلامى ــ مطبعة دار الكتاب العربى ١٩٥٧ م ·

ــ الحرب عند العرب ــ سلسلة كتابك ــ دار المعارف ــ العـدد ٨٨ ·

١٧ ــ عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدر الاسلام ــ دار المعارف ، سنة ١٩٦١ م ·

١٨ ــ عبد العزيز محمود عبد الدايم : الحيل فى حروب دولة المماليك ــ مكتبة الشرق ١٩٨٣ م ·

١٩ ــ الفيروزبادى : (الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب) ت ٨١٦ : القاموس المحيـط ــ أربعة أجزاء ــ سنة ١٩١٩ م ·

٢٠ ــ القلقشندى (الشيخ أبو العباس أحمد ت ٨١١ هـ) :

« صبح الأعشى فى صناعة الانشا » ــ ١٤ جزء ــ دار الكتب ، ١٩١٣ ــ ١٩١٩ م ·

٢١ ــ ماير ل· أ· : الملابس المملوكية ــ ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة وتقديم د· عبد الرحمن فهمى ·

٢٢ ــ محمد السعيد عبد المؤمن (دكتور) : دراسات فى الحضارة والأدب الصفوى ــ القاهرة ١٩٧٥ م ·

٢٣ ــ أ· ج محمود نديم أحمد فهيم · الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى ٦٤٨ ــ ٧٨٣ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٣٨٣ م الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م ·

٢٤ ــ مصطفى عبد الله شيحه (دكتور) : مدخــل الى العمارة والفنون الاسلامية فى الجمهورية اليمنية ــ القاهرة ١٩٨٧ م ·

٢٥ ــ نبيل محمد عبد العزيز : خزانة السلاح « لمؤلف مجهول » — مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٨ م ٠

٢٦ ــ نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط والعالم القديم — دار المعارف ١٩٨٤ م ٠

المراجــع الأجنبيــة

1. Akurgal (Ekrem) :

L Arten Turquie. 1981.

2. Arnold (Thomas) :

Painting in Islam. New York 1965.

3. Glück (Heinrich) and Diez (Ernst) :

Die Kunst des Islam. Berlin 1925.

4. Kühnel (Ernst) :

— Die Islamische Kunst geschichte.

— Islamische Klein Kunst, 1925.

5. Lane Pool (S) :

The Art of the Saracens in Egypt. London 1886.

6 Pope (A. U.) :

A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present. Vols IV, London and New York 1939.

7 Robinson :

Oriental Armour.

8 Stocklein (Hans) :

Arms and Armour (A Survey of Persian Art) Vol. 111.

9. Wilkinson :

Let Look at Arms and Armour.

المراجعـات والتقـارير وعرض الكتب

M. I. Finley : The Ancient Economy, Windus & Chatto, 1974.

« الاقتصاد القديم تأليف م. أ. فنلى ، لندن ١٩٧٤ »

عرض أ. د. سيد احمد الناصرى

يلفت هذا الكتاب نظر القارىء فى خروجه عن الطريقة التقليدية والمنهج العتيق الذى استخدمه مشاهير المؤرخين الذين تخصصوا فى دراسة الجانب الاقتصادى لتاريخ العالم القديم من أمثال روستوفتزف وتنى فرانك وجونسون وجونز ومن سار على دربهم ، وذلك لأنه محاولة لتنظير الفكر الاقتصادى فى العالم القديم فى ضوء النظريات الحديثة والمعاصرة لعلم الاقتصاد ، ورغم أن ذلك محاولة تتصف بالشجاعة والابتكار من جانب المؤلف الا أنها خلط بين المفاهيم الحديثة ونظريات علم الاقتصاد المعاصرة ، ومحاولة صب الفكر الاقتصادى القديم فى قوالب حديثة ، وفرضها عليها فرضا ، مما أدى الى تشويه الحقيقة ، لأن « النبيذ العتيق اذا وضع فى جرار جديدة فانه يرتق » . غير أن المؤلف قدم لنا مجهودا طيبا لتشخيص الفكر الاقتصادى فى العالم القديم[1] .

يقول المؤلف « أن علم الاقتصاد Economy بمفهومه الحديث لم يكن مكتملا فى العالم القديم بل جنينا embryonic ، اذ أن الفكر الاقتصادى لم يكن يتعدى بعض العبارات السطحية المستقاة من الحياة التجريبية العملية empirical . وذلك لأن مفهوم الاقتصاد فى العالم القديم كان مرتبطا دائما بمفهوم المجتمع فى دويلة المدينة أو فى القرية الزراعية بدرجة لا يمكن فصله عنها ، وذلك لأن سلطة الدولة كانت مطلقة وشاملة (ص ١٥٤) سواء من ناحية اللوائح والنظم أو القوانين ،

---

(١) سيد احمد الناصرى : فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه ، صص ٦٦ — ٧٨ .

أو من ناحية درجات المجتمع Stratification وطبقاته أو المكانة الاجتماعية والقانونية والطبقية للافراد ، وموقع الفرد من الدولة ، أو من ناحية تركيب المجتمع والبنية الفكرية Structures mentales ، أو واقعها وحالاتها النفسية • فالطبقة العليا كانت مثلا تتمسك بالثروة وتحافظ عليها لأنها مصدر وضعها الاجتماعى ، وجواز سفرها الى المناصب القيادية العليا . بينما كانت النظرة الأخلاقية العامة للمجتمع Ethos تحتقر العمل اليدوى سواء فى الصناعة أو التجارة ، ومن ثم ينتقل ذلك الى وسائل الانتاج الصناعى الذى ترك لطبقة الرقيق ، وكذلك الى مصادر التربح التجارى والتسويق وهما الدعامتان اللتان يقوم عليهما علم الاقتصاد بمفهومه الحديث ، وينطبق ذلك أيضا على ميدان التخصص فى الانتاج • ولقد كانت طبقة الرقيق والأجراء المعدمون (Thetes Coloni) التى هى مصدر العمل والعمال فى العالم القديم طبقة ذات وضع متدنى ، ومهضومة الحقوق ، وذلك لأن وضعها كان مرتبطا بوضعها الاجتماعى فقد كانت أشبه بآلات الانتاج التى تحقق لصاحب العمل الثروة والوقت وهما السلاح الذى يمارس به العمل فى السياسة أو الجيش ، وتمكنه من تحقيق انتصارات تعزز من موقعه فى الدولة والمجتمــع •

أما فى الفصل الرابع من الكتــاب فيتحدث المؤلف عن الزراعة وأهميتها فى اقتصاد العالم القديم ، وكيف أنها كانت المصدر الأول للدخل ، غير أنها كانت فى نفس الوقت أيضا وســيلة لتلبية الرغبات الاجتماعية لملاك الأرض Polykleroi ، وتسهيل طريقهم لتحقيق المكانة والوقار والوضع المتميز فى الدولة ، ومن ثم فرغم أهميتها بقيت جامدة ووسائل انتاجها متحجرة وغير متطورة • لقد كان اقتصاد العالم القديم اقتصادا زراعيا بالدرجة الأولى ، فقد كانت المدينة تعتمد اعتمادا يكاد يكون حيويا وكليا على ما ينتجه الاطار الريفى الذى يحيط بها ، وكذلك على المصادر الطبيعية الاخرى ، أما التجارة والصناعة فقد كانت تمثل دخلا هامشيا ، ومن ثم فقد كان الفكر الاقتصادى فكرا زراعيا

وبسيطا ، ولم تكن لدى الحكومات القديمة ذلك التعقيد الفكرى الذى تعرفه الدول الحديثة ، فلم يكن لديها النظرة التخطيطية والخطط الزمنية لتطوير اقتصادها ووسائل انتاجها ، ومن ثم لم يكن لها سياسة اقتصادية محددة الملامح اللهم باستثناء العمل على ضمان وجود القمح فى الأسواق بسعر معقول لأنه الغذاء الاساسى للناس ، وأحيانا استغلال المزايا المادية الناتجة من الحروب مثل الحصول على الرقيق وفرض الغرامات وأعمال السلب والنهب حتى أن الدافع الأول للحروب فى العالم القديم كان دافعا اقتصاديا • كما أنها لم تكن فى حقيقتها سوى عمليات سطو دولية حتى فى العصر الحديث يقول المثل الفرنسى :

" l'argent fait la guerre et la guerre fait l'argent ".

ولقد ركز الباحث على العصر الكلاسيكى اليونانى وهو عصر ليس فيه ما يغرى الباحثين فى هذا الموضوع ، بالرغم من محاولات سابقة لهذا المؤلف نذكر منها :

A. Austin and P. Videl Naguet : Economies et Societes en Grec anciene. Paris, Colin 1972.

وكذلك مؤلف :

W. Richter, Die Landwirtschaft in Historischer Zeit alte, Archaealogica Homerica, II. Goettingen, 1968.

وكتــاب :

M. Mele, Societa et Lavora nei Poemi Omerici, Naples, 1968, Universita degli Studi di Napoli Istuto di Storia e antichita greche e romana, Napoli 1968.

غير أن الباحث تفادى الدخول فى الاقتصاد فى العصر الهللينستى متجنبا التعقيــدات ، ولو خاض فيه لوجد ميــدانا خصبا من الفكر الاقتصادى اذ أن مفهوم الفكر الانسانى فى العصر الهللينستى بعد اتساع آفاق العالم المسكون قد تغير ، واختفت نبرة التعصب والقهر

الذى اتسمت به دويلة المدينة فى العصور الكلاسيكية ، ولعبت التجارة العالمية دورا هاما كاحدى وسائل الربط بين أجزاء الأمم ، وانتشر التعليم والثقافة ، وظهرت مشاكل مشابهة للمشاكل الذى يعانيها عالمنا المعاصر مثل الأسعار والأجور ، والاشتراكية والشمولية ، والتخصص فى الانتاج ، وأزمة العمل والعمال ، وتحديد النسل ، والدعوة الى تحرير الرقيق ، وحق الفرد فى الهجرة الى أى مكان ، وظهور نظام الاحتكار الحكومى أو ما أطلق عليه تجاوزا اسم الاشتراكية الحكومية State Socialism والمطالبة بنظام جديد للانسانية • كما امتد هذا التعبير الى عصر الجمهورية الرومانية والامبراطورية الرومانية •

ومن حسن الحظ أن هناك عدد من المؤرخين الاقتصاديين من غطوا هذا الجانب من أمثال ماكس وبر Max Weber وهيسبروك J. Hasebroek وغيرهم وظهرت اهتمامات أكثر أثناء انعقاد المؤتمر الثانى للتـــاريخ الاقتصـــادى ، والذى عقـــد عام ١٩٦٢ فى أكس — ان — بروفنس Aix en Provence ببلجيكا •

ان اهتمام القدماء بالمناصب الكبرى كغاية ، والاقتصاد كوسيلة لبلوغ هذه الغاية يجعل المقاييس والمعايير الحديثة لعلم الاقتصـــاد عديمة الجدوى • فالقدماء لم يعرفوا سياسة اقتصادية واضحة المعالم وذات نظرية ثابتة ، أو حتى الأساليب الحديثة فى عالم الاقتصاد مثل متابعة السوق والتسويق ، ولم يكن للدول ميزانية معروفة وميزان مدفوعات ، ولم تعرف معنى العجز أو المقاطعة الاقتصادية ، لأن مثل هذه الأساليب من خلق الفكر الاقتصادى الرأسمالى الاوربى والذى ظهر بعد حدوث الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر • كما أنه من الصعب أن تطبق نظريات كارل ماركس عن الاقتصاد وتفسيره للصراع الطبقى ، وثورات الرقيق ضد الرومان على اقتصاد العالم القديم ، لأنها لم تكن سوى جماعات ذات وجهات نظر مختلفة تتصارع داخل جهاز الدولة الواحد من أجل اقتسام توزيع المناصب والمهام والحقوق والامتيازات ، ولم يحاول أحد منها هدم النظام أو هيكله من أجل

اقامة مبدأ جـديد ، بل كانت هـذه الصراعات نزاع مطامع حـول الاختصاصات والمـزايا والامتيازات • أما عـن تركيز المؤلف على فكرة الاحتـكار monoply فهى فى حاجة الى بحث أعمق ، فبصرف النظر عن الجدل الذى قام بين المؤرخين حول فكرة النمط الأسيوى للانتـاج Asiatic Pattern of Production والذى تحدث عنه المؤلف فى ص ١٨٤ ، فاننا نجد أنه من الصعب أن نصدر أحكاما على اقتصاد العالم القديم بنفس النظرة الماركسية ، والتى بدأت تتحطم فى الآونة الأخيرة •

نخلص من هذا العرض السريع أن الباحث فى تاريخ الاقتصاد القديم يجب أن يكون اهتمامه بالاطار الاجتماعى كمدخل لدراساته ، لأنه الأوضح ، والاكثر فعالية ، ولان النظرة الاساسية للاقتصـاد القديم كانت داخل الاطار الاجتماعى للدولة ، ومن خلال النظام الطبقى المقدس ، ووضع الأفـراد فى موقعهم الطبقى المتعـدد للطبقات Stratification داخل الاطار الواحد للدولة • وأن يربط بين الثروة والموقع الاجتماعى والدرجة الوظيفية ففى دول العالم القديم لم يكن للطبقات المعدمة أى صوت فى الدولة لمجرد أنها لم تكن تمتلك شيئا أو تشغل منصبا • فبقدر ما يملك الفرد من ثروة بقـدر ما يحق له الوصول الى منصب أو ما يعرف فى اصطلاح علم الاجتماع بالتيموقراطية Timocracy أو بالبلوتوقراطية Plutocracy • كما أن الوضـع الاجتماعى والطبقى للفرد كان يتحكم فى تفكيره الاقتصادى وعلاقاته الاجتماعية ، وذلك على الأقل خلال عصرى الجمهورية والامبراطورية الرومانية ، وعلى ذلك لكى نفهم اتجاه الاقتصاد لابد وأن نتفهم تفكير الطبقة التى كانت تمتلك الثروة وتحتل المناصب الكبرى من الطبقـة الصانعة للقرار ، والتى أطلق عليها المؤلف اسم The top people بالاضافة الى ذلك لم يكن الفكر فى الدولة القديم فكرا واحدا ملزما لكل الطبقات ، فقد كانت هناك تناقضات تجعل من الصعب وجـود فكر اقتصـادى ذى اتسـاق واحد ، فقـد كان لـكل رأى نقيضه

every thesis had its anti - thesis على حد التعبير الأرسطى ، فقد كان هناك فكر اغريقى ، وآخر رومانى وثالث شرقى ، هذا على مستوى الامبراطورية الرومانية ، أما فى داخل ايطاليا نفسها فقد كان هناك متنقاضات بين فكر الطبقات ، فهناك أشراف Patrici وعامة Plebs ، وملاك ومعدمون ، سادة وأتباع ، سناتو وجمعيات شعبية ، مواطنون وغير مواطنين ، أغنياء موسرون honestiores وطبقات دنيا humiliores ، سكان مدن ، وسكان ريف ، مما جعل من المتعذر وجود نموذج ثابت للفكر الاجتماعى والاقتصادى • بالرغم من ذلك فقد شملت التجارة تعاون كافة الطبقات المتناقضة •

هذا وبالله التوفيق ، ،

سيد أحمد على الناصرى

القســـم الأجـــنبى

٣ ـ كذلك كانت أشارات الرحالة الذين كانوا يمرون بالقاهرة وغيرها من عواصم الدولة المملوكية ، وما كانوا يرونه من مناظر تتعلق باللهو والرياضة وغيرها من أهم المصادر التى تفسر مناظر تسليات البلاط وحياة الشعوب فى العصر نفسه .

٤ ـ أما فيما يتعلق بالحياة اليومية للعامة وأفراد الشعب فقد عكستها الأسواق بما كانت تحويه من تجمعات كبيرة وكذلك ما كان يمارسه أفراد الشعب من لهو ولعب وتسليات مختلفة .

٥ ـ عبر الفنان فى العصر المملوكى عن كل هذه الأنشطة من خلال تصاوير المخطوطات وكذلك التصاوير التى رسمها على أنواع الفنون التطبيقية المختلفة التى أنتجت فى العصر المملوكى والتى حوت مناظر شرب ورقص وفروسية ومعارك وكذلك الحياة من خلال الأسواق التى كان يرتادها أفراد الشعب والعامة .

٦ ـ نستطيع القول بأن معظم المناظر التصويرية التى رسمها المصور المسلم فى العصر المملوكى كان لها جانبا واقعيا ، وذلك لأنها مستمدة من الحياة المملوكية .

تسـليات البلاط وحيـاة الشـعوب

فى العصـــر المملوكى

ملخص للبحث باللغــة العربيــة

د. محمـود ابراهيم حسـين

استاذ مساعد الآثار والفنون الاسلامية

كلية الآثار — جامعة القاهرة

تدور محاور البحث الأساسية حول تحليل اشارات المصـادر التاريخية فيما يتعلق بتسليات البلاط وحياة الشـعوب فى العصر المملوكى ، والى جوار المصادر التاريخية نجد محور آخر هو التراث الأدبى وخاصة الشعر فى العصر المملوكى ، هذا بالاضافة الى محور ثالث وهو أقوال ومشاهدات الرحالة فى العصر نفسه .

ويقوم البحث على تحليل العناصر الثلاثة السابقة للوصول الى خلفية تبرر وتفسر ظهور مناظر تصويرية تتعلق بحياة البلاط وتسلياته بالاضافة الى الحياة اليومية للعامة وأفراد الشعب وخاصة ما يدور منها فى الأسواق ذات الأنشطة المختلفة وتوصل البحث الى عدد من النتائج منها :

١ — أن المصادر التاريخية فى العصر المملوكى حوت وصفا كاملا لنشاط السلاطين والامراء ورحلاتهم ولهوهم بالاضافة الى ما كانوا يمارسونه من أنواع الرياضة المختلفة مثل لعب الكرة والصولجان ، ألعاب السلاح المختلفة ، سباق الخيل ، والمصارعة وغيرها .

٢ — تناول الشعراء أيضا فى أشعارهم وصفا لحياة اللهو التى كان يعيشها هؤلاء السلاطين والأمراء وما يصاحبها من شرب ورقص ومنادمة .



Abb. (5)

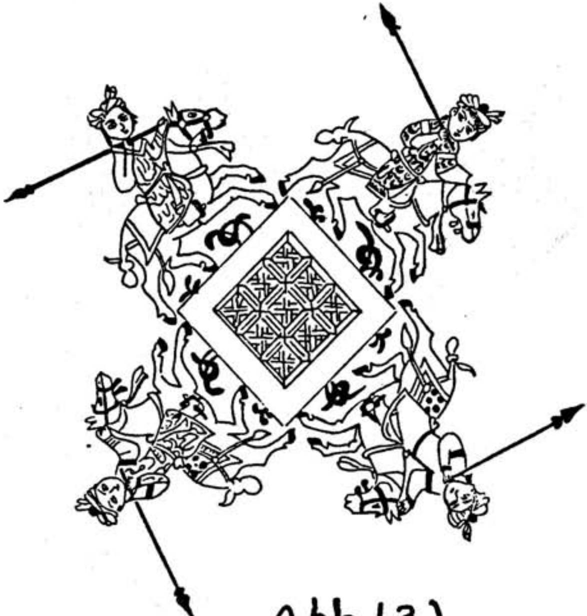


Abb.(3)



Abb. (4)



Abb.(1)

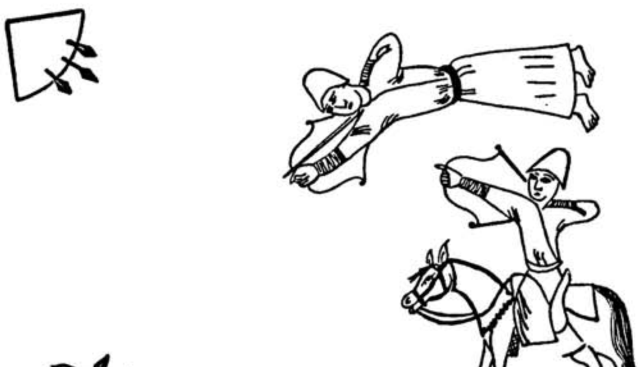


Abb.(2)

38. Maqrizi Hitat, B. I., S. 153.

39. Asur, S., 1962, S. 88.

40. Welt des Islam, Abb. 17.

41. Ibd., Abb. 18.

42. Ibd., Abb. 19.

24. La Ceramique Egy. de l'epoque Muslamane. Taf. 3, 93, 124.

25. R. Nr in Museum fur islamische Kunst in Berlin W. 14644.

La Ceramique Egy. de l'epoque Muslamane, Taf Li, 8.

26. Grohmam, A., Taf, 43, 45, a.

27. Gukindar (die Person, die guken stragt).

Guben istein Stuck mite iner Spitze in Kegelform.

Wahscheinlich war d'eses Spiel islamisch. Nach der uberlieferung soll al-Rasid eingefuhrt habe. Maqrizi as-Suluk, B.I.S. 16.

28. Eine Beschriebung des Platzes in der Nahe der Zitadelle in kairo gibt, Dieser Platz liegt vor der Zitadelle und hat eine Mauer, in dieser Mauer gibt es zwei Turen, eine grosse Ture, die andere kleine, um den Platz lagen viele Sitzplatze und wahrscheinlich eine Sitzplatz fur die Untersuchung der Rechtsfallen und ein kleines Platz, wasser-becken, Raume, Auf den beiden Seiten wurde gepflanzt, Der Sultan ging zu diesem Platz in einem grossen Umzug.

29. Tafur, Travels, S. 80.

30. Ibn Lys, T.L., S. S. 309.

31. Abu al-Mahassien, an-Nugum a z-Zahira, B.V., S. 28.

32. Ibd., B. VII, S. 311.

33. Maqrizi; as-Suluk, B. II, S. 26.

34. Maqrizi, B., IIII, S. 186.

35. Maqrizi Hitat, B. I., S. 153.

37. Asur, S., 1962, S. 87.

3. Zambauer, E., De., 1955, S. 184.

Maqrizi : As- Suluk, B. III, S. 37.

4. Abu al-Mahassan, 1929-1947, B. VI., S. 136.

5. Asur, S. 1970 S. 103.

6. Asur, S., 1962, S. 104

7. Asur, S., 1962, S. 104.

8. Ebd, S. 105.

9. Musikgeschichte in Bildern, Islam, Abb, 26.

10. Ibd., Abb. 37, 28.

11. Ibid., Abb. 65, S. 70.

12. Grohmann, A., Iaf, 34, 45.

13. Magid Abd El Munim, 1955, B. II, S. 133.

14. Ibd., S. 134.

15. Ibd., S. 235.

16. Maqrizi Asisuiuk Li ma'rnt duwal al-Muluk, B. II, S. 733.

Abu al-Mahassin, an-Nugum az-Zahira, B.V., S. 19.

Maqrizi Hitat, B. III, S. 180, 324-325.

at Qa'qassandi, Subh al-a sa, B. IV, S. 166.

17. La Ceramique Egyp. de l'epoque Muslamane, Taf, 82.

18. Ibd., Taf 104.

19. Ibd., Taf XXXVI., 8.

20. Abu all-Mahassan, an-Nugum az-Zahira, B.V., S. 5, 6.

21. Ibd., B. VI., S. 250.

22. Asur, S., 1962, S. 232.

23. Ibd., S. 232.

und Getranke auf der Strasse verkauften. Diese Wagen standen unter starker kontrolle wegen der Gesundheit der Menschen. Der "Muhtazib" hat diese Esswaren und letztere nicht verdorben waren. Er kontrollierte auch das Geschierr, das von diessn leuten benutzt wurde (38).

Die Maler in der mamlukischen zeit hatten auch einige Darstelunggen die Teile des Markts Zeigten (39). Eine Darstellung zeigt ein Laden, und eine Person, die Lebensmittel transportierte.

Der Maller hat uns einen Bogen gemalt, der als Laden bezeichnet wird und erlauterne einige Bundel in inneren des Ladens Gemalt (40). Ein ander Darstellung zeigt uns zwei Personen die Bundel aus einem Geschaft tragen (41).

Darstellungen von Markten konnen wir ausserdem in einer Illustration aus den "Maqamat" sehen (42). Abb. (5).

Anmerkungen

1. uber die Geschichte der Mamluken :

   Ibn Iyas : Bda'a 'az-Zuhur fi waqa'a ad-Duhur.

   Abu al-Mabassan : an- Nugum az-Zahra fi ahbar Muluk Misr wa al-Qahira.

   Said 'Asur : Al-Asr al mamliki fir misr wa as-Sam.

   Said 'Asur : al-Mugtam' al-Misri fi 'Asr Salatijn al-Mamlik.

   P.K. Hitti : A History of the Arabs, London 1946.

   Lanne Poole : Cairo, Sketches of its History, Monuments and Social Life, London, 1893.

   R.A. Nichalson : Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930.

2. Ibn Batuta, B.I., S. 91

Das Schwimmem gehorte auch zu dem Spielen an Hof der mamlukischen Sultanen. Es ist uberliefert, dass der mamlukischen Sultan, az-zahir Bebars, ein guter Schwimmer war.

Die Markte

Kairo war voll von Markten und Laden, die viele Waren zum Verkauf anboten. Dit Markte in den agyptischen Stadten woren einander ahnlich aber jeder markt war auf einer bestimmten Art von Waren spexialisiert. Es gab in Kairo einen Kerzen-market, einen Huhnermarkt, einen Vogelmarkt und einen Waffenmarkt. Zu den Vorteillen dieses System zahlt, dass kein Handler die Preise erhohen kann, do Konkurenz stark ist und der Kunde, dem die Preise nicht gefallen sich woanders hinwenden kann. Aber als Nachteil dieses Systems gilt, dass der kunde den ganzen Tag durch die Stadt langen muss, um seine Sachen zu kaufen, dann in jedem Markt findet man nur einen bestimmten Artikel.

Die Laden waren so klein das die Ware von der strasse gesehen werden konnten (35). Vor den Geschaft sass der Handler auf einem Stuhl scdass zu ihm seine Freunde kommen konnten. Die Laden waren zu diesser Zeit nicht nur der platz, an dem man etwas kaufen konnte, sondern auch ein Flatz Wodie Freunde des Handlers sich miteinander unterhalten konnten.

In den Ouellen aus dieser Zeit stosst man immer auf den Ausdruck und er hat dies seine Freunde in seinem Geschaft erzahlt (36). Oder "Er war einen Tog bei hihm in seinem Geschaft, und hat ihm erzaht". Disse Ausdrucke lassen wissen, dass die Laden Zentrum fur alie Neuigkeiten, sei es im politischen oder im privaten Bereich, waren.

In Kairo gab es zu dieser Zeit grosse Markte fur Essen und Getranke (37). Es wurde erzahit, dass Kairo uber 1200 Restaurants verfugte, wobei nicht die wagen eingeschlossen waren, die ihr Essen

Mannschaften finanzierten. Rinder, Pferde, Geflugel wurden ver-verzehrt, danch Sussigkeiten und Getranke vertent (31).

Die mamlukischen Maler haben diese Art von Spiel auch dargestellt (Abb. 1).

Ein Weiteres Spiel der Mamluken war eine Schiessubung. Die bei freudigen Anlassen vorgenommen wurde. Sie trugen zum Spiel festlicher Kleidung. Das ziel hiess "Oabaq". Es war Kreisformig und wurde manchmal durch einen Vogel erstzt. Der Sultan erlohnte immsr den Sieger. All Fursten, die teilgenommen hatten. Wurden zum Trinkenn eingeladen.

Die Fursten bekamen die Getranke in Glasern aus Gold und Silber serviert, aber die Soldaten tranken aus Wasserbecken. Die ein wohner von kairo gingen haufig zu den Spielplatzen. Wo das Schiessen stattfand. Hier gab es Stande, wo man essen und trinken konnte. Die mamlukischen Maler haben auch die Schiessubungen dargestellt (Abb. 2).

Neben Schisen und Polo gab es in der mamlukischen Zeit auch Spiele mit Schwert und Lazen. Die Mamluken des Qalawun haben diesbezuglich viele neue Spielarten eingefuhrt (32). Die mamlukischen Malter haben auch diess Spiel mit Schwert und Lanzen dargestelli (Abb 3 ‘ 4).

Ein weiteres Spiel war das pferdenrennen. Die Mamluken importanten aus verschiedenen Gegenden der Welt pferde die importierten aus verchidenen Gegenden der Welt pferde die Sultans trugen ein bestimmtes zeichen das Dug. hiess.

Das Rennen wurde zwischen den Pferden des Sultans und denen seiner Marmor errichtet, die saulen des Rennens genannt wurden (34). In der mamlukischen Zeit wurden viele Platze (z.B. Birkat al-Hag und Birkat all-Gisch) freigelegt fur dieses Speil Ein weiteres beliebtes Spiel, der Ringkampt wurde vor allem in Militarischen Schulen in Anwesenheit des Sultans gespielt.

Der Sport wurde von dem Mamluken als Kunstform aufgefasst, und deshalb auf verschieden Arten Betrieben Sportveranstaltung fanden in der Stadt Kairo oder ausserhalb statt, z.B. vor der Kairoer Festung) wo das Gebet in den Beidan islamischen Festen vorgenommen wurde. Dieser Platz wurde (der grosse Platz). Manchmal der gerunne platz, seitener der schwarze platz des Obaqes genannt Ein Sportplatz war der ausserhalb von kairo liegende Nasierieden Platz der sich am Nil Zwischen Miser und Kairo "Fustal" erstrackte.

Auch galt der Sriaqus platz der in einem Dorf in der Nahe von kairo lag als Sportplatz. Platze fur die Zuschauer waren immer vorhanden. Fur den Sultan und seine hohen Beamten wurde ein Zelt aufgebaut. Unter der Bekannten sportarten der Mamluken war das Polospiel beliebt. Die meisten Mamluken-Sultanen liebeten dieses Spiel besonders und hatten besonder Spielregeln aufgestellt. Diese Spiele standen unter der Leitung von besonderen de Gukndar hiess(27)

In der mamlukischen Zeit war das Polo-spiel sehr verbreitet. Es wurde von al-Nasir Mohammed fur Mamluken fur verschieden Wochentage (Dienstags-Sonntage) vorgeschrieben (28).

Ein Reisender, der die Mamlukenfursten wahrend des Spieles becbachtete, berichtet: " der Platz, wo sie spielen war gross und in verschiedenen Teilen durch weisse Farben geteilt. Auf beiden Seiten des Platzes standen die Mamlukn Fursten jeder hielt in seiner Hand den Gukan. In der Mitte ds Platzes lag ein Ball. Es ging in diesem Spiel darum welche Partei den Ball am langsten behalten konnten(29).

Meistens stand an der Spitze der einen Mannschaft der Mamluken-Sultan selbst an der Spitze der anderen Mannshaft stand "Atabk as-Askar". Das Spiel dauerte normalerwiese von Mittage bis zum Abend (30).

Es war ublich, dass die Verlierer ein Bankett fur die beiden

Ahnliche Darstellungen mit anderen Instrumenten sind vorhanden (11). Manchmal zeigt uns der Maler eine Gruppe voil Menschen die Musik horen (12).

Jagd

In der Mamlukenzeit gab es bestimmte Gegenden wo jagden Veranstaltet wurden. Einige davon befanden sich bei kairo nahe der pyramiden, wo es auch viele Gazellen gab (13). Andere Gebiete waren weit von Kairo entfernt, besonders in der Nahe von Alexandrien und in Oberagypten. Die Jagdreisen fanden meistens in Fruhjahr statt. Die mamlukischen Sultane hielten sich bisweilen bis zu acht Tagen an ihren Jagdort auf. Der Aufbruch des Sultans zur Jagd war ein offizieler Feiertag. Er wurde von seinen Fursten und deren Sklaven, und manchmal auch von den Frauen der Fursten begleitet. Auch einige Beamte nahmen an diesen Reisen teil, wie z.B. derjenige, der fur die Lebensmittelversorgungen wahrend der Fahrt zustandig war. Ferner durften auch Arzte nicht fehlen. An Vogeljagden nahmen einige bestimmte Beamten teil, wie z.B. Amir Sakar, der Jagdleiter des Sultans, (14) und die Vogelwachter, die jene Jagdgebiete zu kontrollieren hatten. Ferner waren die al-Bazdar oder "al-Bazuara" dabei die, Falken tragend, an der Spitze des Zuges gingen, nicht zu vergessen sind auch diejenigen, deren Aufgabe es war, die Vogel zu pflegen.*(15)

Da die Jagdgebiete weit entfernt waren, muusten Jagdzelte mitgefuhrt werden, sowohl fur den Sultan selbst als auch fur seine Begleitung. Diese Zelte waren in ihrer Ausstattung jener der Palaste vergleichbar. Wenn der Sultan auf seiner Raise ein Prinzliches Anwesen passierte, wurden ihm Huhner, Ganse und Zuckerrohr angeboten, die er dankbar annahm und den Prinzen dafur mit einem Ehrenkleid oder auch mit Geld belohnte.*(16)

Die mamlukischen Maler haben viele Darstellungen, die Manner

auf Pferde zeigten,(17) die wahrscheinlich zur Jagd gehen, manchmal mit einen Falken, und manchmal ohne.*(18) Es gibt auch eine Darstellung, die einen alten Mann zeigt, der einem Lowen ein Stuck Fleisch gibt.*(19).

ZECHER

Die Mamluken mochten auch wein und tranken ihn zu ihren Festen und zu Ihren Banketten (20). Es wurde gesagt, dass Sultan Farag, als er von der jagd kam, nicht auf der Strasse von kairo gehen konnte, sondern auf seinem pferd sitzen bleiben musste, weil er ganz betrunken war (21). Ferner wurde auch berichtet, dass Abi Bakr bin-Ahmed bin Oaluan mit Freunden in seinem Palast blieb und sie die ganze zeit Wein tranken, sodass sie kaum eine Stunde wach blieben (22).

Maqrizi schrieb, dass nicht nur die mamlukischen Sultane Wein tranken, sondarn auch die Prinzen und Handler und manchmal auch die einfachen Leute, besonders wahrend des Fastens (23).

Die mamlukischen kunstler haben auch viele Zecher mit Weinbecher in ihren Darstellungen gezeigt Auch auf dem Boden einer Schale mit farbiger Unterglasurmalerie Konnen wir diesen Zecher sehen (24).

Auf einer Scherbe aus Ton sehen wir auch einen Sultan der mit einem Weinbecher in der Hand sitzt (25). Der mamlukische Maler hat auch ein Furst beim Trinken gezeigt (26).

Sport und Spiel

Es ist wahrcheinlich, dass auch die Memluken Sport und Spiel liebten. Sie trieben haufig Sport, besonders in den Tabaq. (Militarische Schulen).

In der Literature und Dichtung jener Zeit tauchen die Namen der Sanger und Sangerinnen mehrfach auf. Ein Dichter baschrieb den Augenblick, als die Sangerim die er erwartete zu ihm kam.

Treten sie ein, das bring uns Freude, du bist bei Gott einen Ausflué der Gelibten. Du neigst nicht dazu, diesen Ort schnell zu verlassen und bringst uns debei vom Weg der jugend ab".

Der Sanger Abd al-Aziz al-Hafni z.B. wurde als Wunder seiner Zeit bezichnet; von der Sangerin Hadiga er-Rahbania wurde gassagt, dass es keine gabe, die so singe wie sie, und das Spiel der Laute so behersche wie sie. Die Sanger und Sangerinnen mussten Steuern entrichten, Daman al-Magani" Bis dies von Sultan Saban im jahre 178, H. aufgehoben wurde. Auch der Prinz Asqumr al-Mazani gehorte zujenem, die im Bereich der Musik sehr popular waren, ebenso Ahmed ibn-Muhammed Ibn Barkut und Muhammed Ibn Ali Ibn Omar al-Mazni, die wegen ihrer schonen Stimme bekannt waren (7).

Die Sanger bezogen in der Mamlukenzeit staathiche Gahalter "Rawatib all-aghani" "Gehalter der Singens" Auch der Tanz wurde von den Mamluken Gepflegt. Die Sultane hielten indische und aramische Tanzerinnen an ihren Hof&. Es ist-z.B. bekannt, dass die Frau des Sultans Tuman Bay. Eine private Tanzerin hatte.

Man tanzte nicht nur einzelnsondern auch in Gruppen. Was aus einer-Beschreibung des ibn Haldum anlasslich eines offiziellen Festtages hervorgeht (8).

Die mamlukischen Maler haben das alles wiedergegeben Viele Darstellungen zeigen Musikanten (9), die auf ihiren Musikinstrumenten spielen. Darstellungen von Musikanten auf glasierten Tohngefassen agyptischer Provenienz: Ein Harfenspieler (ganki) musiziert auf der Jahrtausendealten Harfe (arabisch ganki) mit leichtgekrummtem, aufrechtstehendem Resanator und vertikalem Seitenverlauf (10).

starben eines gewaltsamen Todes.

Die Allmacht der Mamluken stutzt sich aut staat und Wirtschaft; ihre heftigen Machtkampfe untereinander trugen wesentlich zur Stagnation in der Entwicklung des landes bei.

Nachdem mit den Sturz Teimurs eine weitere Welle des Terrors und der Vernichtung uber die arabischen lander herein gebrochen war, hatten die-arabischen Provinzen des ehemaligen Abbassiden-reiches dem vormarsch der turkischen Osmanen keinen ernsthaften Widerstand mehr entgegenzusetsen.

Singen und Musik

Wahrend-der Mamlukenzeit nahmen alle Schichten der Agyptischen Gessellschaft, selbst die Konservativen untr den Rechtsgelehrten und Wissenschaftlern, an Vergnugungen und zerstreungen teil (2). Ibn Batuta berichteh z. B. von einem der bedeutendsten Agyptens Oawam ad-Din al-Karamani, der haufig Statten der Unterhaltung aufsuchtt, (3)

Dle Agypter waren zu jener Zeit bakannt fur shre lebensfreude und Heiterkeit sodas z.B. der Sohn des Jemenitischen Herrschers Saif ad-Din Ali dawd nach einem Vier monatigen Aufenthalt in Agypten im Jahre 766-H mit. vielen Sangern, Tanzer innen und Handwerkern zuruckkehrt (4) Besonders der Musik und dem Gesang raumten die Agypter inen vorrangigen Platz ein Der'Grund dafur ist auch darin zu sehen, dass die Musik ant und Sanger Ermutigung und Unterstutzung durch dies mamlukischen Sultane erfuhren.

Von einem Rechtsgelehrten aus al-Azhar wird berichtet, dass er eine Neigung zu Musik und Tanz hatte obwohl er fur seine Askese bekannt war und jenen Vergnugen entsagte (5). Von einem anderer Rechtsgelehrten wird erzahlt dass er sich nach dem Gebet eilig au den Ort begab, wo eine bakannte Sangerin auftrate die er gerne horen wollte (6).

DIE VERGNUGUNGEN DES HOFES UN ALLTAGSLEBEN ZUR ZEIT DER MAMLUKEN

Von

Dr. MAHMOUD IBRAHIM HUSSEIN

Faculty of Archaeology - Cairo University

Die Mamluken(1) sind, worauf ihr Name hinweist, ehenmalige Sklaven und zwar aus den Sultans. Oder Emirsgarden, die sich durch Tuchtigkeit ausgezeichnet hatten und von ihren Hrren freigelassen waren. Wie die Abbassiden vor ihnen hatten die Ayoubiden, da die Bewohner der von ihnern besetzten Staaten dem Kreigdienst verpflichtet waren, sich auf kaufsklavn (Mamluken) stutzen mussen. Sie hatten aber auch schon oft ganze turkische Horden in ihren Dienst gnommen, die von den Mongolen in Vorderasien Erschienen waren.

Aus ihren fuhrenden Hauptern entstand dann wie so oft ein neues Herrschrgeschlect, das sich bis zur Eroberung durch die Osmanen in Agypten und Syrien behauptete.

Aibek der erste ihrer Reihe, gehorte zu der auf der Nilinsel Al-Rouda stationierten Garde, die darauffolgenden Herrscher kamen aus den Reihen der Bahriten (Fluss Mamluken) Der letzte konig der Bahriten war all-Nasirs Urenkel al-Salih Ibn Shaaben, der von Barquq dem Anfuhrer der nuen leibgarde gesturzt wurde.

Die Herrschaft der Burji-Memluken grundete isch auf einer eigentumlichen Oligarchie Der Grundsatz der Erblicheit galt ihnen nichts mehr: der Thron gehorte demjenigen, der die Mehrheit der millitarischen Anfuhrer hinter sich hatte.

Daher erbaten nur wenige Sohne der Thron ihrer Vater und viele

30 April 1900; al-Liwa 2, 23, 24, April 1900, 10-12 April 1901, 2, 4, 16 April 1904.

(93) F.O. 78/4669, Rodd to Kimberley, No. 96, 22 July 1895; Rida, Tarikh, part 1, p. 571; al-Mu'ayyad, 25 June and 1 July 1895.

(94) Farid, Memoirs, book 2, pp. 59, 62.

(95) F.O. 78/4863, Cromer to Salisbury, No. 77 conf., 26 May 1897. At that time there was war between Turkey and Greece. Thasos or Tashioz, was a Turkish island administered by the Khedive who owned a waqf there.

(73) Rida Tarikh, part 1, pp. 432-35, 484-86, 573.

(74) Ibid., pp. 466-67. Zawiyat al-'Imyan was a part of al-Azhar where the blin students lives.

(75) Ibid., p. 575; Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, p. 35.

(76) Rida, Tarkih, part 1, pp. 419, 892.

(77) Ibid. ,pp. 609-610, 622.

(78) Al-Mu'ayyad, 31 May 1899.

(79) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 1, p. 379.

(80) Rida, Tarikh, part 1, pp. 575, 891-92.

(81) Blunt, Diaries, part 1, pp. 263-64.

(82) Blunt, Secret history, p. 625.

(83) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 1, pp. 377-82.

(84) That Council was formed in 1895 under Cromer's pressure to prevent the Khedive's spoliation of the waqf funds.

(85) Ridi, Tarikh, part 1, p. 573, Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, pp. 34-35.

(88) Rida, Tarikh, part 1, pp. 497-8, 562, Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, pp. 45-46.

(87) Rida, Tarikh, part 1, p. 564; Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, p. 39.

(88) Rida, Tarikh, part 1, pp. 488-92, 558,66; Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, pp. 35-41, 65-66.

(89) Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 2, pp. 71-73.

(90) F.O. 633/6, Cromer to Kimberley, No. 231 private, 12 January 1895; F.O. 633/7, Kimberley to Cromer, No. 157 private, 25 January 1895; No. 158 private, 1 February 1895., vol. VII, pp. 101-2.

(91) Al-Mu'ayyad, 27 May 1894 and 15 April 1895.

(92) Cromer to Salisbury: F.O. 78/5026, tel. No. 112, 26 May 1889; F.O. 78/5086, No. 81 conf., 27 April, No. 91, 12 May, and encl. No. 97 conf., 26 May 1900, and encl.; F.O. 407/155, No. 36, 21 February 1900; Salisbury to Cromer; F.O.78/6025, tel. No. 71, 31 May 1899. For the protests of Muslim papers see al-Mu'ayyad, 27 May 1894, 15 April 2895, 16 November 1896, 27 November 1898,

(60) S.PP., box 12, Dawkins to Milner, 18 February 1895. For the attitude of Moberly Bell and The Times in Egyptian affairs see Blun, W.S., Mr. Blunt and The Times, London, 1907.

(61) S.PP., vol. 111/56, Rodd to Barrington, tel., 27 July 1898; vol. 113/78, Barrington to Rodd, tel. 30 July 1898.

(62) Beaman, A.H., The dethronement of the Khedive, London, 1929, p. 20: 'Abas, "Memoirs", al-Misri, 10 May 1951; supra, pp. 02. The Liberal M.P. John M. Roberison was among the politicians whose help Mosley secured.

(63) F.O. 78/4864, Cromer to Salisbury, No. 145, 19 November 1897, al-Mu'ayad, 4-23 November 1897. See also infra.

(64) Al-Mu'ayyad, 20 ,27 October, 5 November 1898.

(65) Boyle, Clara, A servant of the empire, a memoir of Harry Boyle, London, 1938, pp. 42, 43.

(66) Cromer, Modern Egypt, vol. II, pp. 175, 177, 178, 180, 181.

(67) Cromer, Modern Egypt, vol. II, footnote pp. 180, 181. Bayram published an Anglophile paper called al-A'lam in 1884. When it was discontinued in 1889, he was appointed judge in the national courts. A son of his was appointed private secretary to the Financial Adviser, then he became sub-governor of Cairo. His death in 1899 was considered by Harry Boyle, Cromer's Oriental Secretary, an irreparable political loss. The family was from Tunisia. See Byram, Muhammad, Safwat al-i'tibar bi-mustawda' al-masar wa 'l-aqtar, part 5, Cairo, 1311 (1893-1894), pp. Boyle, Clara, op.cit., p. 76. Cromer also helped al-Bakri against 'Abbas in the Scurrility Case. Supra, pp. 143, 144, 150, 151.

(68) Rida, Muhammad Rashid, Tarikh al-ustadh al-imam, al-Shaykh Muhammad 'Abduh, part 1, Cairo, 1350 A.H., p. 561. As the Muslim ruler, and deputy of the Sultan, 'Abbas was general trustee of the waqfs and the Awqaf Department was under his direct control.

(69) Blunt, Diaries, part 1, p. 272.

(70) Rida, Tarikh, part 1, p. 579.

(71) Al-Sayyid, Ahmad Lutfi, Qissat, p. 38.

(72) Amin, Ahmad, Zu'ama' al-islah, fi'l 'asr al-hadith, Cairo, 1948, p. 325.

Gazette (1880) in English, were also British organs. See Hartmann, op. cit., pp. 24, 40; Tarrazi, op. cit., part 3, pp. 21, 22, and part 4, p. 164; Attara, Qustaki Ilyas, Tarikh takwin al-suhuf al-misriyya, Alexandria, 1928, p. 127.

(47) Hartmann, op.cit., p. 11. See also al-Mu'ayyad, 3 October 1893, and 31 July 1895.

(48) F.O. 633/5, Cromer to Philip, No. 452 private, 31 December 1892; F.O. 633/8, same to same, 20 October 1896; Cromer to Sanderson, private, 24 February 1898; Wood, H.F.W., Egypt under the British, London, 1894, p& 118; Philip was the editor of The Egyptian Gazette.

(49) Al-Mu'ayyad, 27, 38 June, and 4, 7 July 1895. Al-Ahram, al-Watan and other papers joined in the attack.

(50) Tarrazi, op.cit., part 3, p. 38.

(51) M.PP., box 261, Milhem Shakoor to Wingate, 8 May 1896; F.O. 78/4956, Cromer to Salisbury, No. 75, 20 May 1898.

(52) F.D. 78/4514, Cromer to Rosebery, No. 59, 18 March 1893; F.O. 78/45178, same to same, No. 91 private 28 May 1893; al-Ustadh, pp. 507-532, 539-548, 5555-563, 695-699, 705-720, 921-948; M.PP., box 10, Molortir to Milner, conf., 24 July 1893.

(53) F.O. 633/6, Cromer to Kimberley, No. 228 private, 2 December 1894.

(54) S.PP., Vol. 108/2, Rodd to Barrington, 15 September 1895.

(55) F.O. 633/6, Cromer to Kimberley, No. 240 private, 21 April 1895; Farid, Memoirs, Book II, p. 59.

(56) 'Abdin Archives, Turkish section, box 534, file 'ara'id ka-khitabat, 'Ali Yusuf to Khedive 'Abbas, 25 December 1901 (the letter is in Arabic); 'Abbas, 'Memoirs', al-Misri, 13 May 1951.

(57) He paid Eugène Claval to establish Courier d'Orient in 1898. See Shafiq, Mudhakkirati, part 2, section 1, pp. 274, 275; 'Abduh, Ibrahim, op.cit., p. 297.

(58) F.O. 78/4452, Hardinge to Salisbury, No. 134 conf., 14 August 1892; F.O. 63307, Currie to Cromer, tel. No. 492, 14 November 1894.

(59) Rodd, J.R., Social and diplomatic memories, second series, 1894-1901, London ,1923, p. 68.

(40) For the Press Law see 'Abduh, Ibrahim, Tatawwur al-sahafa al-misriyya wa atharaha fi'l-nahdatayn al-fikriyya wa'l-ijtima'yya/Cairo, 1945, pp. 265-267. Britain tried — 2nd ed. to secure the consent of the powers to a press law applicable to foreign papers, but failed. See Cecil, Lady vendolen, Life of Robert Marquis of Salisbury, Vol. IV (1887-1892), London 1932, pp. 38, 39, 49.

(41) That French paper was very hostile towards the Occupation and Nubar's ministry. In 1885 it published a translation of a proclamation by the Mahdi in the Sudan challenging the Egyptian and Ottoman governments and inciting revolution against them. When the paper was suppressed and its printing-house closed, a serious political crisis followed. The French government considered the action as infringing the privileges enjoyed under the apitulations, and threatened to sever relations with Egypt, together with other measures. The printing-house was consequently re-opened, and Nubar officially apologised. See 'Abduh, Ibrahim, op. cit., pp. 145, 146. For full details see al-Shinnawi, 'Abd al-Aziz, "Hadith jaridat al-Busfur Ijibsyan", al-Majalla al-Tarikhiyya al-Misriyya, Vols. IX, X, 1960-1962, pp. 117 3 213.

(42) F.O. 78/4576, Rodd to Kimberley, No. 120 conf., 19 August, and No. 133, 15 September 1894.

(43) Al-Mu'ayyad was warned in February 1892 and September 184, and al-Ustadh was warned in March and May 1893. Al-Munir and al-Waqt were suppressed in August 1896. See al-Mu'ayyad, 22 February 1892, and 8 September 1894; F.O. 78/4763, Rodd to Salisbury, No. 111 conf., 24 August 1896.

(44) F.O. 407/169, Memorandum by Lord Cromer on the present situation in Egypt, 8 September 1906.

(45) Muhammad Bey Murad and Salim Sarkis, and their papers Mizan and al-Mushir respectively, received that protection. Other papers of the same tendency were: Lisan al-'Arab, Basir al-Sharq, al-Nibras, Ijtihad, al-Indhar, and Juhayna. See S.P.P., Vol. 109/5, Cromer to Barrington, private, 30 January 1896; W.P.P., box 262, Wingate to Milner, 21 February 1896; Tarrazi, op. cit., part 4, p. 219 footnote; Zakhura, op. cit., part 3, p. 251; Yakan, op. cit., part 1, pp. 66-71.

(46) Other British organs in Arabic were: al-Tayims al-Misri and al-Zaman (1882), al-Jarida al-Misriyya (188), and al-Ra'y al-'Am (1882). Le Progress Egyptien (1893) in French, and The Egyptian

'Abbas had agents for the trade in titles and decorations. 'Ali Yusuf, Mustafa Kamil, Ibrahim Bey al-Muwaylahi, and the poet Ahmad Shawqi Bey were among them. Cromer complained to the Foreign Office, and sometimes obliged 'Abbas to cancel what he had conferred. In 1906, 'Abbas was deprived of the initiative in conferring titles and decorations, and could do this only according to government recommendations.

Abbreviations :

F.O.: Foreign Office documents in the Public Records Office, London.

M.P.P.: Milner Papers.

S.P.P.: Salisbury Papers.

W.P.P.: Wingate Papers.

Margins :

(37) See the list of papers' titles in Tarrazi, Filib di, Tarikh al-Sahafa al-Aarabiyya, part 4, pp. 160-312. In 1892 Fraser Rae stated Egypt, and in his report for 1904 Cromer said that the number then was 149. See Rae, F., Egypte to-day, The first to the third Khedive, London, 1892, p. 239, F.O. 407/164, Cromer to Lansdowne, No. 25, 15 March 1905.

(38) Al-Mu'ayyad used to print 800 copies in 1889, 4000 in 1895, 6000 in 1986, and 8000 after that year. See Hartmann, M., The Arabic press of Egypt. London, 1899, p. 12; Zakhura, Ilyas, Kitab mir'at al-'asr fi ta'rikh wa-rusum akabir al-rijab bi-misr, Cairo, 1897, part 3, pp. 542, 3; Tarrazi, op. cit., part 3, p. 28. In 1897 Edward Dicey said that during the previous fifteen years the number of newspapers posted in Egypt increased from two to seven millions. See Dicey, E., "Egypt, 1881 to 1897", Fortnightly Review, new series, Vol. LXII, 1898, p. 694.

(39) Gibbons, H.A., "Egypt under the last of the Khedives", in his The new map of Africa (1900-1916), a history of European colonial expansion and colonial diplomacy, New York, 1916, p. 404.

missionary review Basha'ir al-Salam (precursors of peace) published an article so grossly insulting to Islam and the Prophet Muhammad that the Legislative Council asked the government to prosecute the editor, and a deputation of the members went to Cromer for this purpose. Cromer saw the danger of providing 'Abbas and the nationalist movement with a means of rallying Islamic opinion. His irritation was so strong that he asked permission to have the missionaries responsible prosecuted. In this he failed, but he succeeded in restricting their activities in the Sudan.(92)

Cromer's support of Muhammad 'Abduh in resisting the Khedive's application of the waqf funds was one side of a policy of depriving 'Abbas of means of strengthening his influence, winning support, and helping the nationalist movement. In 1895 the Higher Council for the Awqaf was established under Cromer's pressure. Its membership included the Mufti, the head of the Khedive's Arabic Bureau, and a Muslim member representing each of the Domains and al Da'ira al-Saniyya administrations. The Council had the right to approve the expenditure of the Awqaf Department. At the same time a system of audit and control of its accounts was established by the Ministry of Finance.(93) But the Department continued to be under the personal control of 'Abbas, and he continued to use the funds for his own ends. In his memoirs for 1913 Muhammad Farid said that 'Abbas took thirty thousand pounds to pay back a loan to a bank, and that this was why Kitchener caused the Department to be put under a minister.(94) In 1897 'Abbas sent some of his bodyguard to the island of Thasos to keep order and to secure the execution of a contract. The ship conveying them was captured by a Greek warship. When 'Abbas asked for British help, Cromer did not recommend any effective help, saying that this would deprive him of some money.(95)

Iitles and decorations were another means to strengthen loyalty and to get money to spend on Anglophobe propaganda.

Awqaf. 'Abduh influenced the members to refer it to experts to assess the value of each area. The result was that the Awqaf Department received £ 20,000 difference.(86)

The Khedive could have dismissed 'Abduh, but Cromer interfered in January 1904, telling 'Abbas that he would not allow the Mufti to be dismissed.(87) 'Abbas tried to induce 'Abduh to resign. He instigated some ulema of al-Azhar against him, and tried to make some members of al-Azhar Council resign to enable him to appoint more loyal and stronger people in their pace. He instigated a strong press-campaign against 'Abduh. Finally, 'Abduh and two of his supporters resigned their membership of al-Azhar Council in March 1904.(8) But 'Abduh remained mufti until he died in July 1905. 'Abbas reproached Ahmad Shafiq bittery for attending the funeral.(89)

On the Christian side the struggle was as active. Part of it was between the British and the French. The latter were running he whole Catholic machinery in Egypt, religious and educational, on Anglophobe lines. Their influence was predominant in the Vatican. In 1895 the Catholic Archbishop became very ill and was about to be replaced. Cromer wrote to Kimberley asking him to intimate to the Vatican the importance of appointing someone who would be friendly to Britain. The Vatican promised not to name an Anglophobe.(90) Cromer followed different tactics with the Egyptians. Muslim papers had always been critical of the activities of British missionaries who were not over scrupulous. Pamphlets were distributed in 1893 in al-Azhar propagating Christianity. In 1895 missionaries attacked Islam in their pamphlets and the ulema of al-Azhar protested.(91) When the reconquest of the Sudan began in 1896 missionaries increased their activities in Egypt and tried to extend it to the Sudan. In 1889 they preached Christianity in the streets, and some of them went so far as to preach inside a mosque in Tanta. A tract entitled "which of them, Christ or Mohamed?" was sent by mail to the umdas, the ulema, and the head of al-Azhar. Tracts derogatory to Islam were again distributed in 1903, and a monthly

as long as they have the support of the Chamber of Deputies.(81) He talked to his friends in this sense, and it could not have failed to reach 'Abbas. In his mouthpiece, al-Manar of 7 June 1902, 'Abduh wrote — under the pen-name Mu'arrikh that is, historian — an article on the occasion of the centenary of Muhammad 'Ali coming to power in Egypt. He attacked Muhammad 'Ali's policy and tyrany. In May 1904, after the Entente Cordiale, 'Abduh wrote to Blunt saying that if the khediviate stayed in the family of Muhammad 'Ali he Khedive should have no authority at all to interfere in the administration.(82) It was no wonder that the Khedive saw in 'Abduh an anti-khedivial tool, used by Cromer to undermine his authority in the Afqaf Department and inal-Azhar; two very important institutions until then left completely under his conrol. 'Abbas consuling 'Abduh on Leon Fahmi affairf in 1901 did not mean friendly relations as, in 1900, he appointed as rector for al-Azhar Shaykh Salim al-Bishri who began to obstruct 'Abduh's reforms, and in 1901 'Abbas was angry with Ahmad Shafiq for the help he gave to 'Abduh when he was in trouble with the police in Constantinople.(83)

'Abduh's power to obstruct the Khedive's spoliation of the waqf funds became more effective when he was appointed mufti in 1899, and consequently became a member of the Higher Council for the Awqaf.(84) The tension in their relations grew, and consquently 'Abduh became more reliant on Cromer's support. A vicious circle developed, and in the end hostilities became open after two major clashes in 1903. The first was over a robe of honour which 'Abbas ordered the Rector of al-Azhar to give to the Khedive's own imam, and 'Abduh influenced his fellow members of al-Azhar Council to give it to another shaykh, according to regulations.(85) The second was the Mushtuhur affair, which caused 'Abbas a loss of fifty thousan pounds. Mushtuhur was an estate of 'Abbas which he wanted to exchange for waqf land on the Giza-side of Cairo. He wanted the Awqaf Department to pay thirty thousand pounds as difference in value. When the deal was discussed in the Higher Council for the

to redirect any monthly or annual allowance or robe of honour, set free by the death of its holder, to the ulema they chose. 'Abduh managed to make the Council practice this right against the will of 'Abbas and he Awqaf Department. He even refused to allowa robe of honour to be given to Khedive's own Imam.(73) In 1897 al-Azhar Council got a verdict against the Awqaf Department to pay Zawiyat al-'Imyan funds held from it for years. To overcome difficulties and to have the verdict properly executed 'Abduh sought the help of Cromer and the Judicial Adviser.(74)

The friendly relations between 'Abduh and Cromer annoyed 'Abbas.(75) These started when 'Abduh returned from the exile imposed after the 'Urabi revolution and submitted to Baring a project to reform education, hoping to be appointed a teacher, or even head-master, to higher school.(76) In 1896 'Abduh submitted to 'Abbas a report on the then needed reform of the mahkama Shar'iyya, but northing was done. When the Judicial Adviser in 1897 though of introducing some new regulations for the mahkama, 'Abduh drew his attention to that report for his guidance.(77) 'Abbas probably thought that 'Abduh was forcing his hand. In 1899 Cromer considered substituting an Egyptian judge for the Turkish Grand Qadi of Cairo, who opposed the new regulations for the mahkama. 'Abbas resisted Cromer's pressure. At that time the press mentioned 'Abduh as a probable nominee,(78) which could not have pleased 'Abbas. Cromer sometimes used to consult 'Abduh on government affairs. He gave him a letter of recommendation to the British Ambassador when he visited Constantinople in 1901.(79)

By his friendship with Cromer 'Abduh hoped, as Rida said, to get British help to carry out his reforms and to escape khedivial tyranny.(80) He agreed with the British view that the powers of the Khadive should be restricted. In January 1896 he said to Blunt that 'Abbas should not be trusted with power, and that "the Ministry should be independent of him as far as possible, and supported by some sort of Constitution... The ministers ought to be irremovable

Religion and its servants, both Egyptians and foreigners, were used in the struggle for influence and popularity — to propitiate Islamic feelings, and ultimately to mould public opinion. Cromer used to visit the Ulema of importance on Islamic occasions.(65) He had friendly relations with some of them: Muhammad Tawfiq al-Bakri, 'Abd al-Khaliq al-Sadat, Muhammad Bayram, Muhammad 'Abduh, and some rectors of al-Azhar for instance.(66) He helped some of them, even against the Khedive, when they were in trouble.(67) But 'Abbas was in a stronger position. He conferred robes of honour, and controlled the Waqf funds which provided for allowances to be given to the mosques and to the Ulema.(68) He was the Muslim ruler, second to the Caliph.

The struggle can be best shown by the relations between Muhammad 'Abduh and both 'Abbas and Cromer. At first 'Abduh was on good relations with 'Abbas, who helped him in carrying out a part of his scheme to reform al-Azhar in 1895. According to Blunt, 'Abduh sometimes led the Friday prayer in the Qubba mosque in 1896, omitting to mention the Sultan's name.(69) 'Abbas used to consult him on important matters, as in the Leon Fahmi affair in 1901.(70) Bu it seems that the Khedive's attitude towards 'Abduh began to change after 1897, when he was angry with Lutfi al-Sayyid for fraternising very much with 'Abduh in Switzerland.(71) When the Rector of al-Azhar, Shaykh Hassuna al-Nawawi, was dismissed in 1899, 'Abduh hoped to take his place. At that time the Rector was also the Grand Mufti of Egypt. To 'Abduh's disappointment the two posts were separated and he was appointed Mufti only. When the new Rector died a month later, another shaykh was appointed,(72) and 'Abduh was more dispapointed. This change of attitude had several reasons. As a member of al-Azhar Council (formed in 1895 to organize the reforms) 'Abduh began to obstruct the Khedive's efforts to use the Waqf funds for al-Azhar to further his own ends and to gain the loyalty of the ulema, thus undermining the Khedive's influence. The law reforming al-Azhar gave its Council the right

other papers.(61) 'Abas had his cause defended through his British supporters. Blunt was strong in defencing the Khedive's and the Nationalists' cause by articles and pamphlets. Sometimes he wrote on the authority of the Khedive. Benjamin Mosley, an ex-judge in the Egyptian national courts, was the Khedive's adviser and agent in these affairs. He secured for him the help of some M.Ps and politicians.(6) Some papers were sympathetic towards the Khedive's and the Nationalists' cause. The most important of them were the Manchester Guardian, and the Tribune.

3 — Other means of popularity and influence

Another means of gaining popularity sometimes drew sharp response from Cromer when his relations with 'Abbas were strained. In November 1899 'Abbas paid a visit to the Delta provinces where he had a very warm reception. Immerdiately on his return to Cairo the Anglophile Ahmad Fu'ad circulated a broadsheet containing a poem, abusing the Khedive, which began :

A return; I do not call it a happy one.

A reign; which will vanish in the long run.

The Khedive decided against Cromer's advise that the man should be prosecuted, and the case, known in the Arabic press as the Scurrility Case, was started. It transpired that Shaykh al-Bakri was the author of the first verse, and that the res were by Musafa Lutfi al-Manfauti, a famous Egyptian writer. When the Prosecutor General, who was Egyptian, insisted upon searching al-Bakri's house, against the wish of the Judicial Adviser, Cromer forced 'Abbas to appoint a British Prosecutor General.(63) In this way he slighted 'Abbas, gained al-Bakri's loyalty, and secured another important post for the British. When the Khedive visited the Buhayra Province in October 1898, a shadow was cast on the visit from the start, as the Mudir was accused of forcing the people to pay for the decorations made on that occasion, and was prosecuted.(64)

Nevertheless, Abbas was in a better position in this aspect of the struggle. He was at home among his people, with his full prestige and influence as Khedive. He could confer titles and decorations, which mattered much at that time. He had his mother's and sister's money at his disposal, and was trustee of some of the Khedivial family Wacfs. The General Awqaf Department was also under his personal control. He did not fail to avail himself and his favourites of some of these funds.(55) This helped him to win support in the press, and to have his organs.

Nationalist papers, such as al-Ustadh, al-Mu'ayyad, al-Barq, al-Ahali, and Mustafa Kmil's papers afterwards, supported 'Abbas. Al-Mu'ayyad in particular was his organ, as he stated in his memoirs. 'Ali Yusuf, its editor-proprietor, was an agent of 'Abbas, whom he served in financial and political matters, as well as in journalism.(56) 'Abbas established French papers to defend his cause.(57) He was supported by French and French-inspired papers, such as al-Ahram, Le Bosphore Egyptien, and Le Journal Egyptien. Turkish-inspired papers took his side(especially when he was in good relations with the Sultan. Among these papers we can count al-Munir, al-Waqt, al-Sadiq, al-Mahrusa, al-Falah, and al-Saltana. The editors of these papers received subsidies and decorations from the Sultan.(58)

The press-war crossed the sea to Britain. Cromer was always anxious to have British public opinion on his side and used the British press for the purpose. Through it he used to pave the way before taking strong measures in Egypt. Reuters News Agency received an annual subvention of £ 1,000 from the Egyptian government. The Spectator was a faithful ally Cromer,(59) who also obtained the support of The Times through Valentine Chirol, its correspondent, and through Moberly Bell, its manager. Both were much interested in Egyptian affairs.(60) To express his gratitude to The Times, Cromer pressed Kitchener very hard in 1898 to accept two correspondents of The Times to accompany the expedition in the Sudan. It was an exception which Kitchener had not allowed to

interests.(45) One of these papers, al-Muqattam, became an important Arabic organ of the Occupation.(46) It was "exclusively paid by the English".(47)

The Egyptian Gazette, which was regarded as the semi-official journal of the Occupation, was subsidized by the British Agency. It is probable that other organs were also subsidized. The result was political control from the Agency. In 1898 £ 800 of the secret service money at Cromer's disposal was mainly assigned to newspapers.(48)

Cromer's growing control of the Egyptian administration gave him access to other means of helping the Anglophile papers, and fighting the anti-British press. Government advertisements, more access to sources of news, and protection against suppression or expulsion, helped the former. Al-Muqattam translated and published in Arabic Cromer's annual report. It printed also circulars and pamphlets of the Police Department, as the nationalist papers alleged, against regulations and at high prices. They even accused the Interior of pressing 'umdas and shaykhs of villages to subscribe to it.(49)

Intimidation and temptation were exerted against the Anglophobe papers in different ways. Al-Mu'ayyad was not allowed the official news during 1891-1892.(50) Together with al-Ahram, it was again refused the news, and banned from the Sudan, during the Sudan campaign.(51) Secret funds at the disposal of Baron de Malortie, the head of the Press Burtau, helped to persuade Nadim and to compensate him when he discontinued al-Ustadh and left Egypt in 1893.(52) The extremely Anglophobe French organ Le Bosphore Egyptien was bought out in 1894, and turned into a moderate journal. The proprietor, Octave Borelli, was satisfied when the Egyptian government, under pressure of Cromer, offered him, for a sewage under taking in which he was the principal partner, a higher price than it was really worth.(53) Isaac Picard, the Anglophobe editor of Le Journal Egyptien, and Paul Campana, formerly sub-editor of the Anglophobe Sphinx, were also tempted to cross to the other side ,and to publish in Paris an anti-colonial Anglophile paper called La Presse Libre.(54)

third offence ,if it had been warned twice for previous offences. It empowered the Council of Ministers to inflict these penalties even if the paper had not been previously warned.(40)

The capitulations enabled foreign papers in Egypt to enjoy freedom, especially after Le Bosphore Egyptien incident in 1885.(41) The last effort to intimidate foreign papers was in 1894, when Italy was pressed to expel Pietro Guarieri, the Italian editor of Le Journal Egyptien for violent attacks on the Occupation, but he was soon replaced by the more hostile French editor Isaac Picard.(42)

It was a different matter with the Egyptian papers against which the Press Law was applied up to August 1896.(43)

Some of them, al-Ahram and al-Falab for instance, learnt their lesson and sought the protection of a capitulatory power. This, together with other reasons, inclined Cromer to ignore the Press Law, although it was not cancelled, and instead to apply the Penal Code of 13 November 1883. As he told Grey in 1906, he was sure that if he ordered a paper to be suppressed or its editor exiled, it would reappear under the editorship of a foreigner, or its printing-press would be established in the house of a foreigner.(44).

Among other reasons which made Cromer change his policy towards the press were its increasing circulation, and its growing influence on public opinion. But more important was the fact that Cromer gradually acquired more means to take an increasingly vigorous share in the press-war. Many factors helped him. Many young Turks, and other discontented with the rule of Abd al-Hamid, went to Egypt and established their papers. They were always critical of the Sultan, and of the Khedive when he joined 'Abd al-Hamid against them. In this way they helped to undermine the Sultan's and the Khedive's prestige in Egypt. For this reason Cromer gave them, and their papers, the protection they needed against expulsion or suppression, and they repaid in furthering British

THE STRUGGLE BETWEEN KHDIVE 'ABBAS HILMI II AND THE OCCUPATION

(Second Part)

By : **Prof. Dr. Mohammad Gamal El-Din El-Messaddy**

Faculty of Arts, Cairo University

(First Part in The Previous Issue)

2 — The press-war

This mission of Lutfi shows the importance of the press in the struggle. It was a weapon which 'Abbas used freely against the Occupation. It was also used by the Nationalists, the British, the French, and the Turks. The press-war which took place contributed to the rapid development of Egyptian journalism. The Arabic papers and magazines publishel in Cairo and Alexandria during a period of twelve years from 1892 to 1903 were ten times as numerous as those published between 1880 and 1891 (495 to 49).(37) The circulation also greatly increased, judging by the increase in the number printed of al-Mu'ayyad, and in the number of newspapers posted in Egypt.(38) The effect of this progress was much increased by the fact that the illiterate Fellaheen used to gather around the literate villagers who read the papers to them(39). The result was a real political awakening, and a growing nationalist movement, which itself helped 'Abbas to resist the Occupation. It took his place in this resistance, and attacked him, when he followed a policy of submission towards the Occupation.

This rapid development of journalism could not have been achieved without a degree of press freedom, which did not exist under the Press Law of 21 November 1881. This law allowed the Minister of the Interior to confiscate, suspend, or suppress any paper on the

The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

Seventh Issue **July 1991**

Chief Editor : Prof. Dr. Sayed Ahmed **EL-NASSERY**

Managing Editor : Dr. Mahmoud Arafa **MAHMOUD**

All Correspondence to be directed to :

Porf. Dr. Sayed Ahmed El-Nassery. The Chief Editor, Cairo University, Faculty of Arts, A. R. E.

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS

THE EGYPTIAN HISTORIAN

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

Vol . VII

JULY

1991

ISSUED BY
THE HISTORY DEPARTMENT

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العــدد الســابع — **يوليــو ١٩٩١**

رئيس التحرير : أ. د/ سيد أحمد الناصرى

مــدير التحرير : د/ محمود عرفة محمــود

هيئــة التحــــرير

أ. د/ عبد اللطيف أحمد على

أ. د/ ســـيد احمــد الناصرى

أ. د/ محمد جمال الدين سرور

أ. د/ حســـن أحمــد محمود

أ. د/ عصام الدين عبد الرءوف

أ. د/ سعيد عبد الفتاح عاشور

أ. د/ حسنين محمــد ربيــع

أ. د/ حامــد زيــان غــانم

أ. د/ رءوف عبــاس حــامد

أ. د/ محمد جمال الدين المسدى

المراســلات :

ترســل البحــوث والمقــالات باسم الســيد الاســتاذ الدكتور / **سيد احمد الناصرى** على العنوان التالى :

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

محتـــوى العـــدد

ثانيا ــ القســـم الاجنبى :